كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

ها هي اليوم تتجدد ذكرى واقعة كربلاء المقدسة وهي تحمل في طياتها المعاني النبيلة التي أصبحت نبراساً لنهضة الحق ضد الظلم والتعسف والطغيان، وتمرّ هذه الواقعة في كل عام ـ على تاريخها الطويل ـ غضة طريّة، كأنها وقعت في زمن قريب. والغريب فيها أنك تجد أثرها في جميع المجتمعات على اختلافها واختلاف القيم الأخلاقية عندها، وذلك لما تحويه هذه الواقعة من الأبعاد المثالية التي اكتنفتها وبشكل شامل، ويرجع ذلك كله إلى الإرادة الإلهية التي شاءت أن تقع، والاستعداد الكامل من قبل من قام بها، والتسليم التام منه لأوامر الله سبحانه وتعالى.

ولم يعهد في تاريخ البشرية وقوع مثل هذه الوقعة مع ما لها من الآثار العظيمة على مر القرون من السنين، رغم ما لاقاه الأنبياء والأوصياء في العهود القديمة من الجبابرة والطغاة، والذي لا يقلّ جرماً مما وقع في كربلاء من بعض الجوانب، حتى أثر عن أبي عبد الله الحسين عليه السلام: أنه شبه نفسه الشريفة بيحيى بن زكريا، فإن رأس يحيى أهدي إلى بغيّ من بغايا بني إسرائيل، ورأسه عليه السلام أهدي إلى بغي من بغايا بني أمية.. لكن هيهات أن تبلغ الآثار المترتبة على مصرع يحيى عليه السلام مبلغ الآثار المترتبة على نهضة سيد الشهداء عليه السلام، ومصرعه المقدس، من يقظة ضمير الأمة.. ورفض شرعية الظالمين.. وكسر حاجز السكوت عن الحق الضائع.. وغيرها من الكثير الكثير، حتى ورد عنهم عليهم السلام: لولا سكوت الإمام الحسن عليه السلام ونهضة الإمام الحسين عليه السلام لاندرس الدين، وعادت الجاهلية الأولى، وعلّقت الأصنام في الكعبة.

وهذا يعطي مؤشراً خطيراً جداً لما كان عليه وضع الأمة الإسلامية والمتسلطين حينها. بيد قرب العهد من تاريخ الرسالة الإسلامية.

فيا ليت الأمة في عصورها المتأخرة تجد عمق القضية التي نهض من أجلها الحسين عليه السلام وتفرز الحق من الباطل من دون مجاملة ومحاباة تديّن بدين الآباء والأجداد على عمى. فإن لله الحجة البالغة والسلطان القويم.

ولا يخفى ما في هذه الوقعة من التخطيط الإلهي الذي لا يقبل الخطأ والاشتباه، باختيار الزمان والمكان ومن يقوم بها. ومع هذا كله كيف للفرد المسلم أن يتعامى ويغضّ الطرف عن مثل هذا الواقع ذي السر الغريب، ويحسبه قضية ذات طابع زماني خاص، دعت الضرورة حينها للتحرك، ثم تمّ التحرك بشكل غير متوازن عسكرياً، فأدى ذلك إلى تمزّق الثورة والغلبة بشكل ساحق، ليرجع ذلك كله إلى سذاجة

من قام بها (حاشا سيد الأباة وفادي الدين الحنيف عن مثل هذه الأوصاف).

وأكاد أقطع أن هذه الفكرة السخيفة ترجع إلى أمرين:

الأول: التعامي عن الحق وتذويب القضية الإلهية ذات الطابع الإعجازي في كثير من جوانبها لأغراض دنيوية، من محاباة السلطان، وتحصيل المراكز، لما في هذه النهضة المقدسة من الدعوة إلى إسقاط عرش كل من يحكم بالظلم والطغيان، فتذويبها تدعيم لأصحاب العروش من الحكام والمتسلطين.

الثاني: نعتها بالثورة المفهوم منها الانقلاب الذي يحدث كثيراً ضد حكام الجور من قبل الضعفاء والمحرومين، أو الانقلاب العسكري الذي يحدث كثيراً أيضاً من قبل القواد والأمراء على الحكام، للاستيلاء على مناصبهم. ويختلف ذلك باختلاف الأغراض الداعية إليها، وهذا التأريخ يحدثنا عن كثير من الثورات بطابعيها الشعبي والعسكري.

لكن نهضة أبي الأحرار عليه السلام لم تمت إلى أي الصنفين من الثورات بصلة أبداً. ولا نعلم سبب تسمية نهضته المقدسة بالثورة، ومن أول من سماها بذلك.

وفي الرجوع إلى تاريخه الشريف من لدن حمل أمه عليها السلام به إلى يوم مصرعه في كربلاء تتضح معالم نهضته بشكل لا يقبل الشك وأنه منذور للقتل من أجل قضية لا يعلمها إلا الله تعالى، إضافة إلى ما جنى من ثمارها المسلمون كثيراً .. فتحمل به أمه عليها السلام ..

وتنزل هذه الآية: ﴿**وحملته كُرهاً ووضعته كُرهاً**﴾ وتفسّر بالزهراء عليها السلام وحملها بالحسين عليه السلام. لما أخبرها به أبوها صلى الله عليه وآله من أنه مقتول، فقالت عليها السلام: «لا حاجة لي به»، فقال صلى الله عليه وآله لها: «لابد لك به لينال الشهادة»، فرضيت تسليماً لأمر الله تعالى..

وجاءت به إلى الدنيا.. وقد نغص عليها عيشها مما ترى ما يحمله النبي صلى الله عليه وآله من الأسى والحزن كلما وقع نظره عليه، فيبكي ويردد: إن ابني هذا مقتول بين عصابة من شيعته... ولا أظن أن هناك داعياً لأن ينوه النبي صلى الله عليه وآله بهذا الشكل المستمر إذا كان ولده ثائراً بهذا المعنى من الثورة ولم يحسب الحسابات العسكرية، بل كان الحري به أن ينبهه إلى أصول الثورات، وضرورة حساب الموازنة بين الأمور، وتجربة النبي صلى الله عليه وآله في ذلك المجال لا يظن من أحد الاعتراض عليها.

وتمضي الأيام والسنون.. ويلتحق النبي صلى الله عليه وآله بالرفيق الأعلى.. ويجري ما يجري من الأمور.. ويمضي الزمن.. ويرجع الحق إلى نصابه.. ويتولى أمير المؤمنين عليه السلام منصب الخلافة.. ويمر بتلك الفترات العصيبة، ويعلن الثورات بحروب لا هوادة فيه ضد مناوئيه.. ويقدم عليه السلام التضحيات الجسام، ولم يُعهد منه أن تنبأ بقتل رجل من أصحابه وبكى عليه قبل مقتله، علماً أنه قد قدّم من يستحقون البكاء، بل قد بكى عليهم بعد قتلهم بالفعل.

لكن لما كان ينظر إلى الحسين عليه السلام

يقول: «تعساً لقوم يقتلوك... أنت شهيد هذه الأمة... شاء الله أن يراك قتيلاً مضمخاً بدمائك...» وهكذا، إذن ما الفرق بين الأمرين؟!..

ومضى أمير المؤمنين عليه السلام شهيداً في محرابه، وجاء الإمام الحسن عليه السلام وتهيأ لحرب معاوية.. ثم عرضت الهدنة بينه وبينه.. ومن ثم وبعد أن دس له السم القاتل جاء الحسين عليه السلام لعيادته ورآه يتقيّأ دماً يقذف فيه كبده، وبعد حوار بينهما قال له الإمام الحسن عليه السلام: «لا يوم كيومك أبا عبد الله».. ومضى الحسن عليه السلام. وجاء دور الحسين عليه السلام مع معاوية، من دون أن يحرك ساكناً، وبعد موته وطلب يزيد ـ بعد اعتلاء عرش أبيه ـ من والي المدينة أن يأخذ البيعة من كثير من وجوه المدينة ومن الحسين عليه السلام، امتنع الحسين عليه السلام عن ذلك، وفي تلك الليلة ذهب إلى قبر جده صلى الله عليه وآله. وبات عنده يبكي، ويقول: «أشهد أنهم ضيعوني ولم يحفظوني»، ورأى عليه السلام رؤيا في المنام، فرجع إلى عياله أخبرهم بها، فضجت العائلة بالبكاء والنحيب، وعلا صراخهم، فلم يُرَ باكٍ وباكية في بيت بني هاشم أكثر من ذلك اليوم... ما الأمر إذا كان الحسين عليه السلام ثائراً كالثوار لماذا هذا البكاء...؟ قد ينتصر الحسين عليه السلام على يزيد ويصبح خليفة من دون منازع... ولكن هيهات...! ما كان الحسين عليه السلام ثائراً كالثوّار.

خرج الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة، وأرسل كتاباً إلى بني هاشم «أما بعد فإن من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح» سبحان الله.. أين من يدعي أن الحسين عليه السلام ثائر، فأي فتح هذا من الشهادة.. وهكذا خرج.. وبلغه خبر مسلم بن عقيل رضي الله عنه .. واستمر بالمسير.. ثم بلغه خبر قيس بن مسهر الصيداوي.. واستمر بالمسير كذلك. وهو في كثير من المواطن يأذن لأصحابه بالانصراف.. حتى ورد أرض كربلاء وجرى ما جرى.. إلى ليلة العاشر من المحرّم جمع أصحابه وأهل بيته وصرح لهم بشكل لا يقبل الشك أن القوم يطلبونه، وإذا ظفروا به لا يهمهم غيره، فانصرفوا وليأخذ كل واحد منكم بيد واحد من أهل بيتي فهل هذه هي طريقة الثوّار؟!..

وعلى كل حال فالحسين عليه السلام رجل قاتل من مبدأ العهد الذي عهده إليه جده رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولم يتوانَ في امتثال الأمر الإلهي في ذلك، فكان شبيه إسماعيل الذبيح في التسليم لأمر الله سبحانه.. وتبقى الحكمة البالغة في هذه الواقعة المجيدة تتجلى كثير من جوانبها في الواقع الإسلامي على مرّ العصور حتى نهاية الدنيا ولله أمر هو بالغه.

وقد حاولنا بتوفيق الله تعالى أن نخصص عدداً في الحسين عليه السلام من مجلتنا الغرّاء فكان ولله الحمد. ونحن إذ نتقدم بالشكر للأقلام التي ساهمت في إعداد هذا العدد نعتذر ممن لم ينشر له، لضيق الصفحات عن ذلك.

المشرف العام

(عدد خاص)

الإمام الحسين(ع) في محكم التنزيل
عادل عباس النصراوي ٨
قصيدة: أبليت يابن أخي عين الوجود دماً
السيد مرتضى السندي ١١
خطب التوابين بعد استشهاد الإمام الحسين(ع)
د. مشكور العوادي ١٢
الأربعون في المأثور الإسلامي
الشيخ عبد الجبار الساعدي ١٨
مع الشيخ كاشف الغطاء في رثاء السبط الشهيد
د. حسن الخاقاني ٢٤
خطبة الإمام الحسين(ع) ليلة استشهاده
حيدر الجمالي ٣٤
الامتداد التاريخي لثورة الإمام الحسين(ع)
أحمد سلمان هادي آل طعمة ٣٨
المخيم الحسيني
سلمان هادي آل طعمة ٤٢
قصيدة: تحية لوطن الروح
د. خالد التميمي ٤٨
قصيدة: الرأس المقطوع
عبد نور داود ٤٩
استطلاع مصوّر
منازل الزائرين (الخانات بين النجف وكربلاء)
حيدر الجد ٥٠
لماذا التخلص من الحسين(ع)؟
منذر جواد مرزه ٧٦
قصيدة: لله مدرسة الجهاد
السيد سعيد عبد المقرم الموسوي ٨١

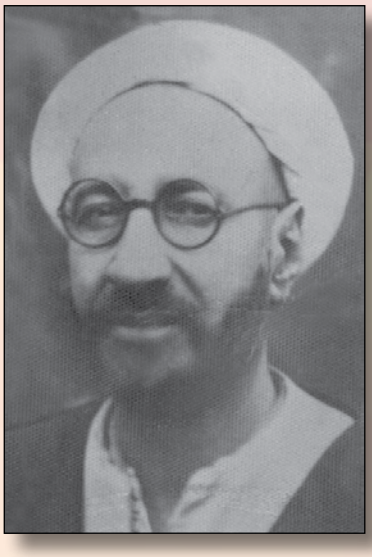

ص ٨٩

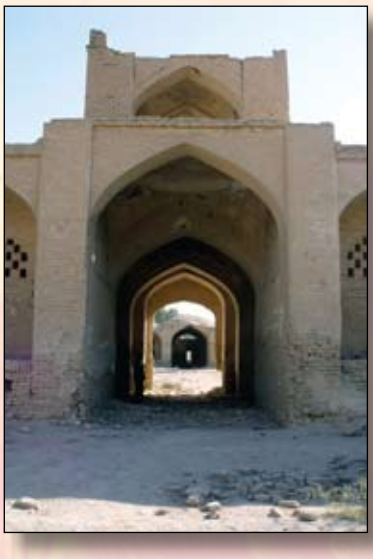

ص ٥٠

مجزرة كربلاء الرهيبة
السيد محمد أمين شبر ٨٢
ثورة الإمام الحسين(ع)
الشيخ محمد عبد الحسن الغراوي ٨٦
شيخ المجاهدين والخطباء العلامة محمد علي قسّام
أحمد الكعبي الطويرجاوي ٨٩
ذكرى أبي الشهداء(ع)
هادي عيسى الحكيم ٩٢
قصيدة: رمز الفداء
السيد عبد الأمير جمال الدين ٩٥
قصيدة: من كالحسين(ع)؟
كاظم محمد النقيب ٩٦
وفد الشعراء في شهر محرم
علي سعد النجفي ٩٨
استراتيجية نهضة الإمام الحسين(ع)
هاشم حسين ناصر المحنك ١٠٤
قراءة في تداعيات السياسة العباسية
السيد محمد علي الحلو ١١٠
ثورة زيد بن علي(ع) امتداد أصيل للثورة الحسينية
خليل المشايخي ١١٦
علامات مضيئة من نهضة الإمام الحسين(ع)
حسين جهاد الحساني ١٢٢
مظاهر العالمية في الثورة الحسينية
د. حافظ المنصوري ١٢٦
أجوبة مسابقة العدد (٨) وأسماء الفائزين ١٣٠
عاشوراء في العالم
ملحق مصوّر يعرض مراسم إقامة الشعائر
الحسينية في بعض أنحاء العالم ١٣١

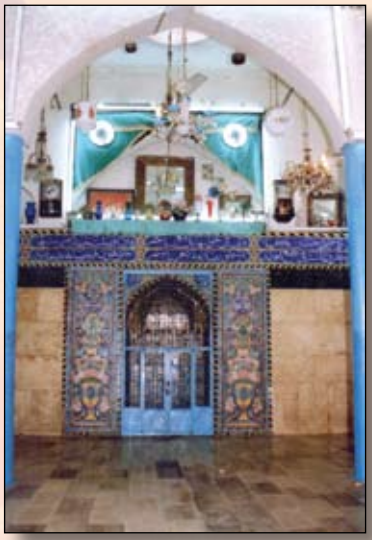

ص ٤٢

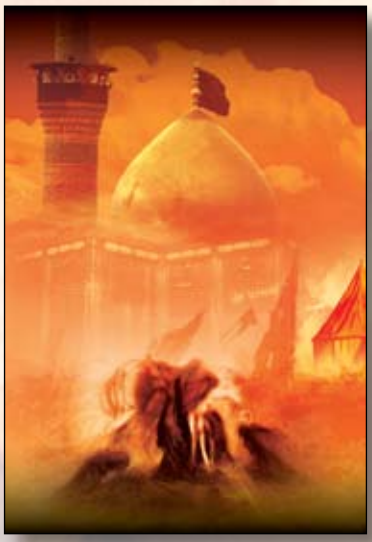

ص ١٣١

الإمام الحسين(ع) في محكم التنزيل بأسانيد أهل السنة

• عادل عباس النصراوي
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

إن الأمم تحتفل بذكرى زعمائها وتضفي عليهم كل حالات التعظيم والتقديس والتبجيل لأنهم يمثلون ضميرها ومحور حياتها لما قدموه لها من تضحيات، وهذه الشخصيات العظيمة في التاريخ أكثرها ما تكون إقليمية، وتهتم بمصالح بلدانها... ولكن في مقابل ذلك، هناك شخصيات عالمية لم تؤثر عملها على أبناء جلدتها وقومها، وإنما هي مشروع عالمي، بفضل ما تحمله من مبادئ سامية وإلهية. ولأن التشريع الإلهي لا يخص أمة دون أمة أو مجتمع دون مجتمع، فالتشريعات الإلهية هي عين ذات الرب سبحانه، وكلامه كلام القدرة الربانية التي تستوعب كل حاجات هؤلاء عباد الرحمن - الذين ينتشرون على بقاع الأرض أسودهم وأحمرهم، غير أن هذه الشخصيات العظيمة ربما تتعرض إلى الطعن نتيجة الحقد وقصور الطاعن عن أن يبلغ مبلغ هؤلاء العظماء فتنفعل النفوس وتستعر غيضاً وحقداً، لكن رغم ذلك لم يجدوا مطعناً، فيضطرون إلى الكذب والتلفيق لإرضاء نفوسهم المريضة بالنقص والمجبولة على الصغار أو لمصلحة مادية.

فمما نقله ابن أبي الحديد المعتزلي[٢] فقال: لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية - عام الجماعة - جاء إلى مسجد الكوفة، فلما رأى كثرة ما استقبله من الناس جثا على ركبتيه ثم ضرب صلعته مراراً وقال: يا أهل العراق تزعمون أني أكذب على الله ورسوله وأحرق نفسي بالنار، والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن لكل نبي حرماً وأن حرمي بالمدينة ما بين عير وثور فمن أحدث فيه فعليه

لعنة الله والملائكة أجمعين، وأشهد أن علياً أحدث فيها؟!.

فلما بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولاه إمارة المدينة.

ومما اشتهر عن عامر الشعبي، ما رواه إسماعيل بن خالد[٢] قال: سمعت الشعبي يحلف بالله لقد دخل علي حفرته وما حفظ القرآن...

ومن هذه الضغائن والأحقاد الشيء الكثير الذي ملأ بطون الكتب، والتي تعبر عما تتضمنه نفوس هؤلاء المرضى بالحقد والكراهية لآل البيت عليهم السلام.

على أن هناك كثيراً من المنصفين من أهل السنة الذين لم يرتضوا بهذا السلوك الشائن ولا السيرة الملتوية لبعض أهل الجرح والتعديل أو المحدثين المأجورين، فأخذ المنصفون ببث فضائل أهل البيت عليهم السلام وتقويتها سنداً ومتناً، حيث أنه لا يمكن حجب ضوء الشمس في بارقة النهار.

فما روي من آيات محكم التنزيل في الإمام الحسين عليه السلام وذكره أهل السنة بأسانيدهم المعتبرة قوله تعالى: (فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين)[٣].

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قدم وفد أهل نجران على النبي صلى الله عليه وآله العاقب والسيد فدعاهما إلى الإسلام، فقالا: أسلمنا قبلك، قال: كذبتما إن شئتما أخبرتكما بما يمنعكما من الإسلام، فقال: هات أنبئنا، فقال: حب الصليب، وشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير.

فدعاهما إلى الملاعنة فوعداه على أن يُغادياه بالغداة، فغدا رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ بيد علي وفاطمة وبيد الحسن والحسين عليهما السلام ثم أرسل إليهما فأبيا أن يُجيبا، فأقرا له بالخراج، فقال النبي صلى الله عليه وآله: والذي بعثني بالحق لو فعلا لمطر الوادي ناراً. قال جابر: فنزلت فيهم هذه الآية (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم...).

فقد ذكر هذه الواقعة بشخوصها أكثر من مئة مصدر من مصادر أهل السنة[٤] نذكر منها:

١- أحكام القرآن لابن عربي، ٢٧٤/١.

٢- أحكام القرآن للجصاص، ١٤/٢.

٣- أحكام القرآن للكرباسي، ٢٨٦/١.

٤- أسد الغابة، ٢٦/٤.

٥- الإصابة، ٥٠٩/٢.

٦- الدر المنثور، ٣٨/٢-٣٩.

٧- السنن الكبرى للبيهقي، ٦٣/٧.

٨- السيرة النبوية لدحلان، ٣/٥-٦.

٩- الصواعق المحرقة، ٧٢ و ٩٣.

١٠- الكامل في التاريخ، ٢٠٠/٢.

ومما روي أيضاً في الإمام الحسين عليه السلام وذكره أهل السنة قوله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)[٥].

عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله

جلّل الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. فقالت أم سلمة رضي الله عنها: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: إنك على خير.

فقد ذكرت هذه الواقعة بشخوصها في كتب أهل السنة ما جاوز مئة وأربعين مصدراً معتبراً عندهم[٦] نذكر منها:

١- صحيح الترمذي، ٣٥١/٥ و٦٦٣ و٦٩٩.
٢- أحكام القرآن لابن عربي، ١٥٢٦/٣.
٣- إعراب القرآن للنحاس، ٦٣٥/٢.
٤- الأحكام للآمدي، ٣٠٥/١.
٥- الاعتقاد للبيهقي، ٣٢٧.
٦- الاكليل في استنباط التنزيل، ١٧٨.
٧- التبصرة لابن الجوزي، ٤٥٣/١.
٨- الجواهر الحسان، ٢٢٧/٣.
٩- الخصائص الكبرى، ٢٦٤/٢.
١٠- الكشاف للزمخشري، ٢٨٣/١.

ومما روي أيضاً في الإمام الحسين عليه السلام وذكرته مصادر أهل السنة قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)[٧].

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت (قل لا أسألكم...) قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال صلى الله عليه وآله: علي وفاطمة وابناهما.

فقد ذُكر ذلك في مصادرهم ما ينوف على الستين مصدراً[٨] نذكر منها:

١- كفاية الطالب، ٣١-٣٢.
٢- أسد الغابة، ٣٦٧/٥.
٣- أنوار التنزيل، ١٢٣/٤.
٤- الاقتباس من القرآن، ٧٩، ٨٣.
٥- الصواعق المحرقة، ١٠١-١٠٢ و١٣٦.
٦- النعيم المقيم، ٥١٠.
٧- تفسير القرآن العظيم، ١١٢/٤-١١٣.
٨- فتح الغدير، ٥٢٢/٤.
٩- كنز العمال، ٢١٨/١.
١٠- مرفاة المفاتيح، ٥٩٠/٥.

وهناك العديد من الآيات المباركة قد نزلت في الإمام الحسين عليه السلام لكن لا يسع المجال لذكرها في هذه العجالة.

ونحن في هذه الأيام نشهد ذكرى استشهاده عليه السلام فما علينا إلا أن نحتفل بذكراه احتفال المنتصرين... انتصار الحق على الباطل وأن تكون هذه الذكرى المباركة نبراساً نستضئ به لردع الظلم والإرهاب الذي استشرى على بلادنا المجاهدة ■

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي، ج١/ص٣٥٨-٣٥٩.
(٢) القرطين لابن مطرق الكناني، ج١/ ص١٥٨، وتأويل مشكل القرآن، ص٢٣٣-٢٣٤.
(٣) سورة آل عمران/ الآية:٦١.
(٤) الكشاف المنتقى لفضائل علي المرتضى عليه السلام، ص٢٦-٣١.
(٥) سورة الأحزاب/ الآية:٣٣.
(٦) الكشاف المنتقى لفضائل علي المرتضى عليه السلام، ص٦٥-٧٢.
(٧) سورة الشورى/ الآية:٢٣.
(٨) الكشاف المنتقى لفضائل علي المرتضى عليه السلام، ص٨٠-٨٣.

قصيـدة:

أبليت يابن أخي عين الوجود دماً

• شعر
السيد مرتضى السندي
أستاذ في الحوزة العلمية الزينبية

تَرقْرَقَ الدمعُ في الآفاقِ لا المقلِ ... مُذ لاحَ عاشورُ بالأحزانِ والوجلِ
وجللَّتني الثيابُ السّود واتصلت ... أحزانُنا بمآسي خاتم الرُّسلِ
وهزّني الخطبُ واسوَّد الفضا ألماً ... وَصرْتُ أبحثُ في الآلام عن أملِ
وَقفتُ مكتَئباً والدمعُ سالَ دماً ... لمَّا تأمّلتُ أرزاءَ الإمـام علي
شبلاهُ في كربلا دارَ الزمانُ بهم ... وأصبحوا مِزقاً للهَمِّ والأجـل
سلِ الطفوفَ عنِ ابن المرتضى حَسَنٍ ... تنبكَ عنه بخيرِ القَوْلِ والعملِ
لو لا الزكي وفتيان لهُ شهَرَت ... بيضَ السّيوفِ لنصرِ الحقِّ كان بُلي
حيّاهم بذلوا غالي النفوس وما ... تَزلزلتْ همَمٌ شماءُ كالجبلِ
وإن نَسِبتُ فلا أنسى غداة مشى ... يلقى الكُماةَ ابنُهُ في حالِ مُرتجِلِ
يقولُ مرتجزاً في الحربِ مفتخراً ... إني أنا القاسِمُ ابن المجتبى البطلِ
تزَلزلُ القومُ من بأسِ الغلامِ فقد ... أردى الكما وأعيا كُلَّ ذي ختلِ
حتى إذا ما الضَّما ساقَ القضاءَ له ... حامَ الحِمامُ عليه سارَ في عَجَلِ
إلى الجنانِ يُنادي يا حُسَينُ ألا ... أدرك شباباً لكم ذادوه عن نهلِ
لهفي عليكَ غريبَ الدار إذ عصفت ... بك الرزايا التي تأتي على الرَّجلِ
سارَ الحُسينُ إليه هاتفاً ولدي ... اعذر مُجيبَكَ لن تُقصي الردى سُبلي
أبكيْتَ يا بن أخي عَيْنَ الوجودِ دَماً ... وبعدَ فقدكَ ها قد لاحَ لي أجلي
بقيتُ بـعـدكَ آهـاتـي تؤرقُني ... حُزناً ونارُ الظما في القلبِ كالشُعَلِ

خطب التوابين

بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام

المغزى والأسلوب

• د. مشكور العوادي
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

وبعد كربلاء تذكّر الخاذلون البكاء، فأدركوا أن أمة النبي العظيم الأمين قد انحرفت حينما سلمت قيادتها: إمامتها، خلافتها، بعيداً عن أهلها الأتقياء، أولي الأمر والعصمة الأصفياء... ليبدأ ثأر به يُغسل الذنب من أصله، ويهدأ دم طهور أبي، وحقاً وصدقاً سار ركب كبير من الكوفة والبصرة ومدائن بغداد يستنهض فبعد التضرع وذاك النحيب عند قبر الإمام الشهيد عليه السلام، انتفاضات، حركات، ثورات، شهداء، أبطال، مستميتون من أجلك يا سيد الشهداء، توبة وشهادة، على خطاك القويم لنصرة دين الله والحق المبين...

ظهرت حركة التوابين في أوائل النصف الثاني من القرن الأول للهجرة وكان زعماؤها من الكوفيين من أصحاب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، الذين تفاوتت مناصرتهم له على أعدائه، فمنهم من كان كثير التردد في مناصرته، حتى قال فيهم عليه السلام: (إذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم هذه حمّارة القيظ؛ أمهلنا يسبح عنا الحر وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم هذه صبّارة القرّ؛ أمهلنا ينسلخ عنا البرد: كل هذا فراراً من الحرّ والقرّ فإذا كنتم من الحرّ والقرّ تفرون فأنتم والله من السيف أفرّ)[1].

ومنهم من أخلص في تشيعه فأبلى بلاءً حسناً في موقعتي (الجمل) و(صفين) سنة (٣٧هـ)...

لقد امتدت هذه الحركة عند هؤلاء لتأنيب ضميرهم وندمهم واستشعارهم الحاد بالتقصير لاسيما وهم من رجال

السيف، فهم مقاتلون ولم يكونوا من كسبة أو حرفي الكوفة، والأدهى أنهم خذلوا (واعية الإمام الحسين عليه السلام): وهي دعوة حقيقية إلى الجنة وفي حينها لم يستجب لها أحد، بقولته المشهورة: (ألا من ناصر ينصرنا..) وهي واعية لأنها أمانة ثقيلة، فقد جاءت توعية للضمائر النائمة وايقاظاً لها، ولذلك كان الإمام عليه السلام ينصح جميع من يخاف عليهم بالابتعاد عن منطقة المعركة لكي لا تقع عليهم هذه الأمانة لأنها تترتب عليها تبعة عالية الحجة (على سامعها يوم القيامة) ممن سمعوا الواعية وخذلوا الإمام عليه السلام فلم ينتصروا له وهم في العسكر.

إذن عُرفت هذه الحركة بالتوابين لما انتاب أصحابها من ندم شديد حين قتل الحسين عليه السلام شهيداً بكربلاء سنة (٦١هـ) وقد كانوا دعوه للخروج إليهم ووعدوه المناصرة والبيعة فتخاذلوا ولم يوفوا بوعودهم فلاحظ بعضهم أن هناك شبهاً عظيماً بينهم وبين توابي بني إسرائيل فتدبروا أمرهم وأخذوا يهيئون لحركة بها يتوبون وبدأت حركتهم سرية فجمعوا الأنصار معتمدين بما لهم من قدرة على الإقناع والبيان، فقد كان في زعمائهم الخطيب والشاعر والداعية حتى ظهروا سنة خمس وستين للهجرة ليعلنوا خروجهم على سلطان بني أمية، ولكن جيش عبيد الله بن زياد (ت٦٧هـ) فتك بأغلبهم في موقعة (عين الوردة)[٢]. وهو رأس عين المدينة المشهورة بالجزيرة.

وكون هؤلاء التوابين من أهل العراق أدى ذلك إلى الاستشعار الندمي الذي أصاب أهل الكوفة بخاصة لأن الإمام الحسين عليه السلام قُتل بين ظهرانيهم وبحسب تقاليد العروبة تقع التبعة على أهل الأرض التي وقعت فيها المصيبة، لذا كان خروجهم عهداً قطعوه على أنفسهم فيه يُشهدون الله على أنهم خرجوا ثأراً للإمام الشهيد عليه السلام وتوبة من عظيم جرمهم... وربما يصح القول هنا إن هذا المسلك التوابي قد أصبح هو المسلك الشيعي بعامة، فما أن خذلوا الإمام علي عليه السلام وتباكوا عليه فيما بعده، خذلوا ابنيه الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، وتباكوا عليهما، وهكذا على كل مصلح وداعية على رأس كل قرن للهجرة، ليبكوه بعد موته وليصبح رمزاً من رموز الأصولية الشيعية، ويعزو بعضهم هذا المسلك إلى التقية الشديدة تجاه السلطات الغاشمة المتتابعة، فاستعملوها بدافع الخوف على أئمتهم وأوليائهم فخذلوهم ثم تبينت لهم مكانتهم الحقيقية من الشريعة، من هنا سمي الشيعة (بمقدسي الأموات)...

إن العدد الذي وصل إلينا من هذه الخطب هو سبع خطب فقد كان جمهورها من عامة التوابين وهي تتدرج من الطول إلى القصر بحسب ترتيبها التاريخي حيث طالت فترة أو حقبة الدعوة لحاجة الخطيب عندها إلى التفصيل والتماس الحجج وضرب الأمثال حتى يتم له الإقناع لجمهوره، وفي آخر مراحلهم وجدنا الخطبة تقتصر حتى تكاد ألا تسجل موقفاً أو عرضاً ما[٣].

لقد قامت محاور هذه الخطب الأسلوبية على طلب الشهادة لأجل التوبة والتزهيد في الدنيا والدعوة إلى الآخرة بإكثار الصلاة والتقوى والتذكير بالذنب العظيم وضرورة الأخذ بثأر الحسين عليه السلام ممن قتله رجاءً ومغفرة من الله، وقد جاءت مقدمات خطبهم مفعمة بهذه اللوازم المعنوية والمقصاد الأسلوبية التي تخصهم فقد أهملوا شأن عدوهم فلم تكن غايتهم إلا إعلان توبتهم وحتمية ولائهم إعلاناً تتألق فيه بلاغة الدم، وما كان ذلك إلا لمعرفتهم بمكانة الإمام الحسين عليه السلام واهتزازهم العميق لعدالة أبيه الإمام علي عليه السلام في الكوفة على خلاف سياسة بني أمية الجائرة بينهم، فهذه الصراحة أو الصحوة الحقانية المطالبة مقابل جَوْر السلطان الأموي؛ بعد ماذا؟!

ولكن المهم هنا هو حس التوبة (الثائر) المرافق للواعج الندم والتباكي والخطب المثيرة للأشجان والاستشعار بعدم جدوى الحياة والاستعداد للشهادة، من هنا كان العجب كل العجب لعدم استجابتهم لواعية الحسين عليه السلام وهم يعرفونه ولم يقوموا بواجبهم، فلما قُتل أحسوا بثقل الفرض الذي ضيّعوا...

وسنقف في هذا الصدد عند خطب مهمة توضح محاورهم الأسلوبية عن كثب، على نحو الاستشهاد والمناسبة والبيان، من ذلك خطبة (المسيّب بن نجبة) وهو المسيّب بن محمد بن نجبة الفزاري من أصحاب الإمام علي عليه السلام، ممن نزل بالكوفة فيمن نزل بها من المسلمين، وقد راسل الإمام الحسين بن علي عليهما السلام لكنه حين مقدم الحسين عليه السلام فضّل العزلة وطلب السلامة لنفسه فلما قتل عليه السلام كان أول من دعا أصحابه إلى الاجتماع لتدبر أمرهم، فكان رأساً من رؤوس التوابين وقتل سنة (٦٥هـ)، عرف عنه خطيباً وشاعراً، ومما سننقل عنه هو النص الموجود الوحيد الذي عثر عليه في مصادر التاريخ المعتبرة، وهو يقول فيها:

أما بعد:

فإنا قد ابتلينا بطول العمر والتعرض لأنواع الفتن فنرغب إلى ربنا ألا يجعلنا ممن يقول له غداً (... أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير...) (سورة فاطر/ الآية:٣٧).

فإن أمير المؤمنين عليه السلام (يعني علياً بن أبي طالب عليه السلام) قال: (العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة) وليس فينا رجل إلا وقد بلغه وقد كنا مغرمين بتزكية أنفسنا وتقويض شيعتنا حتى بلا الله أخيارنا فوجدنا كاذبين في كل موطن من مواطن ابن بنت نبينا صلى الله عليه وآله وقد بلغنا قبل ذلك كتبه وقدمت علينا رسله وأعذر إلينا فسألناه نصره عَوْداً وبدْءاً وعلانية وسراً فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قُتل إلى جانبنا، لا نحن نصرناه بأيدينا ولا جادلنا عنه بألسنتنا ولا قويناه بأموالنا ولا طلبنا له النصرة إلى عشائرنا فما عذرنا عند ربنا وعند لقاء نبينا وقد قُتل فينا ولده وحبيبه وذريته ونسله، لا والله لا عُذر دون أن تقتلوا قاتله والموالين عليه أو تُقتلوا في طلب ذلك فعسى ربنا

أن يرضى عنا عند ذلك وما أنا بعد لقائه لعقوبته بآمن...)[٤].

إذ نلحظ أنه قد سرد مطالبهم المعنوية على وسط من الفصاحة في وقت تدهورت اللغة نوعاً ما فكان يروم توصيل مقاصده بدليل النصوص بدءاً بالاستشهاد القرآني المحيط بآفاق الخطبة المدلل والمعضد لمعانيهم وصولاً إلى مقولة الإمام علي عليه السلام ليقرر أنهم شيوخ قد تجاوزوا مراحل الطيش وقد سلكوا باب التوبة، مخلصين متوجهين ذلك الاهتداء والسير (استشهاداً)، لأنهم أدركوا أن الواقعة فضيعة ـ وهم من المعاصرين ـ فلو وقفوا مع الحسين عليه السلام أول مرة لتغير وجه المعركة، من هنا كانت حركتهم الثورية ذات طابع خاص إذ أخذهم الندم فيها مأخذاً كبيراً، فضلاً عما لها من مغزى تاريخي وافر.

والخطبة الثانية التي سننقل عنها هي خطبة (عبيد الله المري)، وهو عبيد الله بن عبد الله المري عُرف بكونه أشهر دعاة التوابين ولم يُظفر له بترجمة كافية ـ كما ذهب إلى ذلك محقق خطبهم ورسائلهم

ـ وهذه الخطبة كان يرددها على مسامع التوابين حتى لا يتخاذلوا... فمما جاء فيها:

أما بعد:

فإن الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وآله على خلقه بنبوته وخصه بالفضل كله وأعزكم بإتباعه وأكرمكم بالإيمان به فحقن به دماءكم المسفوكة وآمن به سبلكم المخوفة وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) (سورة آل عمران/ الآية:١٠٣)...

فهل خلق ربكم في الأولين والآخرين أعظم حقاً على هذه الأمة من نبيها؟! وهل ذرية أحد من النبيين والمرسلين أو غيرهم أعظم حقاً على هذه الأمة من ذرية رسولها لا والله ما كان ولا يكون...

الله أنتم! ألم تروا ويبلغكم ما أُجترم إلى ابن بنت نبيكم؟! أما رأيتم إلى انتهاك القوم حُرمته واستضعافهم وحدته وترميلهم إياه بالدم وتجرارهموه

عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

إن الحسين بن علي عند ربه عزوجل ينظر إلى معسكره ومن حله من الشهداء معه، وينظر إلى زواره، وهو أعرف بهم وبأسمائهم وأسماء آبائهم وبدرجاتهم ومنزلتهم عند الله عزوجل من أحدكم بولده، وإنه ليرى من يبكيه فيستغفر له ويسأل آباءه عليهم السلام أن يستغفروا له، ويقول: لو يعلم زائري ما أعد الله له لكان فرحه أكثر من جزعه، وإن زائره لينقلب وما عليه من ذنب.

بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٢٨١

على الأرض! لم يرقبوا فيه ربهم ولا قرابته من الرسول صلى الله عليه وآله...

إن الله لم يجعل لقاتله حجة ولا لخاذله معذرة إلا أن يناصح الله في التوبة فيجاهد القاتلين وينابذ القاسطين فعسى عند ذلك أن يقبل التوبة ويقيل العثرة.

إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل بيته والى جهاد المضلين والمارقين فإن قتلنا فما عند الله خير للأبرار وإن ظهرنا رددنا هذا الأمر إلى أهل بيت نبينا)[٥].

وفي هذه الخطبة التي لا تختلف محاورها عن الأولى، نلحظ أن توصيل الفكرة جاء مفعماً بالأسلوب القرآني، ألفاظاً وتراكيب فضلاً عن كونها أساليب خطابية غير مدعمة بالبراهين والأدلة لأنها اعتمدت على المشهورات، فجاءت ارتجالية قيد الخاطر وذات نفثة حماسة، وهي بذلك لا تعطي نشاطاً كبيراً للعقل ليؤدي مهماته في تمحيصا...

أما الخطبة الثالثة من خطب التوابين التي سنعرض لها ولملامحها الأسلوبية فهي لـ(سليمان بن صرد بن أبي الجون بن منقذ بن ربيعة) يعود بالولاء إلى خزاعة، وقد نزل الكوفة فيمن نزل من المسلمين أسلم قبل فتح مكة سنة (٩هـ) وقد أشرف على الثلاثين من العمر، له بالرسول صحبة فنُسبت له أحاديث رواها عنه وصحبته بالإمام علي عليه السلام مشهورة فقد شهد معه (الجمل) سنة (٣٦هـ) و(صفين) سنة (٣٧هـ) عرف عنه تحرجه في الدين وكثرة توقفه، كان من بين من راسل الإمام الحسين عليه السلام وتخاذل عنه ثم تزعم حركة التوابين وقتل سنة (٦٥هـ) بعين الوردة. وهذه الخطبة هي أولى خطبه عند أول اجتماع للتوابين في منزله بعد مقتل الإمام عليه السلام. فمما جاء فيها:

أما بعد:

فإني والله لخائف ألا يكون آخرنا إلى هذا الدهر الذي نكدت فيه المعيشة وعظمت فيه الرزية، وشمل فيه الجور أولي الفضل من هذه الشيعة لما هو خير.

إنا كنا نمد أعناقنا إلى قدوم آل بيت نبينا نمنيهم بالنصر ونحثهم على القدوم فلما قدموا وئيْنا وعجزنا وداهنا وتربصنا وانتظرنا ما يكون حتى قتل فينا ولد نبينا وسلالته وعصارته وبضعة من لحمه ودمه إذ جعل يستصرخ ويسأل النصف فلا يعطاه اتخذه الفاسقون غرضاً للنبل ودرية للرماح حتى أقصدوه وعدوا عليه فسلبوه النصف... ألا انهضوا فقد سخط عليكم ربكم ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله والله ما أظنه راضياً دون أن تناجزوا من قتله أو تُبيروه...

كونوا كتوابي بني إسرائيل إذ قال نبيهم: (... إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم...) (سورة البقرة/ الآية:٥٤) فما فعل القوم؟ جثوا على الركب والله ومدوا الأعناق ورضوا بالقضاء حين علموا أنه لا ينجيهم من عظيم الذنب إلا الصبر على القتل فكيف بكم لو

قد دُعيتم إلى مثل ما دُعي القوم إليه، اشحذوا السيوف وركّبوا الأسنة وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل حتى تُدعَوا وتستنفروا)[٦].

وعند التأمل في هذه الخطبة ـ مما ورد منها ـ نلحظ أنها تقع في الفضاءات الأسلوبية للخطبتين السابقتين من الاستشهاد بالأسلوب القرآني واحتذائه ـ لما له من قوة تعبيرية معجزة ونافذة بيانية متفردة على طول الخط ـ علاوة على إحالاتهم البيانية المصورة التي جاءت بإمضاء ندامتهم الشديدة وشبههم العظيم بتوابي بني إسرائيل... فمن ذلك، نجد ذم الدهر في أول الخطبة، واستعمال الدهر هنا في موارد تخصص الزمان (وهو من المجاز والمقصود أهله) لأن زمان التوابين ـ كما يقول خطيبهم ـ أسوأ زمان لما فيه من قتل للأبرار وتهنئة للأشرار... وهنا ترفد معلومات الخطيب عند استشهاده من آيات القرآن رواية عن بني إسرائيل، لموارد تشابه الموضعين أو الموقفين، فأولئك قوم عتاة مردة من عقوبتهم وفاقاً لأعمالهم، كان قتل أنفسهم بأنفسهم، أي يقتل أحدهم الآخر (ابن جلدته) وكأنهم بأنفسهم، أي الموت بالقتل بأيديهم وهذا من أشنع أنواع القتل جزاءً وفاقاً بما كانوا يعملون من الظلم الذي هو سبب التوبة، ويقول الزمخشري: (... ويجوز أن يكون القتل تمام توبتهم، فيكون المعنى: فتوبوا، فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم...)[٧].

وخلاصة ما تقدم:

إن ثورة التوابين كانت مستمدة من شعورهم بعظيم ذنبهم لتخاذلهم عن نصرة الإمام الحسين عليه السلام فقد رأوا أن ذلك لا يغسله عنهم إلا بقتل قتلته أو الموت في هذا الأمر، وإن أخذ الثأر يمثل نشر العدل الإلهي على الأرض لأن الحالة الحسينية حالة عامة تغطي جميع الأصقاع بمصاديقها (فالثائر قبال الطاغية)، وما تجديد هذه الدماء التوابة الثائرة في نسغ الشريعة إلا استمرار للثورة الحسينية حتى الأخذ بذخول الطف تصديقاً للانتقام الإلهي، ولكي يهدأ الدم الحسيني الطاهر بأخذ الثأر... وإن إملاء الأرض قسطاً وعدلاً على يد الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه هو بعينه أخذ الثأر الحسيني.

والحمد لله ناصر المؤمنين ■

---

(١) نهج البلاغة (نصوص الإمام علي عليه السلام التي جمعها الشريف الرضي)، ٦٥/١.

(٢) ينظر: أنساب الأشراف، ٢١٢/٥، وأبو الشهداء للعقاد في مبحثه (جريرة كربلاء) وما بعدها.

(٣) ينظر: أثر حركة التوابين في الأدب، خطب زعمائها ورسائلهم (بحث) جمعها وقدم لها: محسن بن العربي، حوليات الجامعة التونسية ع٢٨ سنة (١٩٨٨م).

(٤) ينظر: الكامل في التاريخ، ٦٧/٦ن وما بعد كربلاء للعلامة محمود قانصو ص١٧٦، وأثر حركة التوابين، ص٢٧٣-٢٧٤.

(٥) ينظر: تاريخ الأمم، ٤٢٢/٦-٤٢٣، وأثر حركة التوابين، ص٢٧٥-٢٧٦.

(٦) ينظر: الكامل في التاريخ، ٦٧/٦-٦٨، وما بعد كربلاء، ص١٧٧-١٧٨، وأثر حركة التوابين، ص٢٧٧-٢٧٨.

(٧) تفسير الكشاف، ١٤٣/١.

الأربعون

في المأثور الإسلامي والسيرة العقلائية

• فضيلة الشيخ عبدالجبار الساعدي
أستاذ في الحوزة العلمية

نعيش هذه الأيام ذكرى أربعينية الثائر العظيم والمصلح الأوحد قدوة الأحرار وأنشودة الثوار (أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام) بعد أن مرت ذكرى مقتله الشريف في العاشر من شهر محرم الحرام.

ولرب سائل أن يسأل فيقول: هل من سند شرعي يسعف الاهتمام بإقامة أربعين للفقيد أو أنه خارج المأثور الإسلامي، وهل السيرة العقلائية والمذاق العرفي السليم يؤيدان هذا الموضوع، ونحن نقول إذا ما وجدا فلازمه أن العقل والذوق والأعراف السليمة كلها تؤيد المشروعية، وهل الدين إلا عقل وذوق وحصافة وتبصر. ومن مجموع التتبع والقراءات الفاحصة وجدنا المأثور الإسلامي الصحيح يذهب إلى مشروعية وإقامة الأربعين والاهتمام بها والحث عليها ورصد المال اللازم من أجل إقامة العزاء والنياحة وإعطاء الأجرة للنوادب، فضلاً عن آراء العلماء وأهل الفن والخبرة في مجالات التشريع الإسلامي، وناهيك عن السيرة العقلائية والمنطلقات الذوقية ـ وكل هذه العوامل مجتمعة ـ تذهب إلى مشروعية العزاء والبكاء وخاصة الأربعين ومعقولية إقامتها والحرص عليها لما يترتب على ذلك من نتائج كريمة وآثار خالدة لا يستطيع العاقل إغفالها ولا صاحب الذوق السليم الإشاحة عنها لما في الإعراض عنها وعدم الاهتمام بها من

مخالفة صريحة لسنن العقلاء وأهل الذوق والمعرفة... ولنبدأ بذكر بعض هذه الأقوال الشريفة والوقوف عندها لنستجلي مداليلها ومقاصدها العميقة المعاني:

١ـ قال النبي صلى الله عليه وآله كما عن حبر الأمة عبد الله بن عباس والصحابي الجليل أبي ذر الغفاري قالا قال النبي صلى الله عليه وآله: (إن الأرض لتبكي على المؤمن أربعين صباحاً) هنا وقفة تأمل واستنتاج لماذا التخصيص بذكر (الأربعين) لمَ لا تبكي السماء ثلاثين يوماً أو خمسين أو... الخ.

ولو تفحصنا المأثورات الإسلامية لوجدنا لرقم الأربعين سراً جليلاً يوحي بالشرف والتكريم لهذا الرقم وليس في وسعي التوسع في هذا المجال، لكن لنأخذ منه بقدر موجز على سبيل الاستطراد والتمثيل:

أ ـ إذا أراد الله أن يبعث الخلائق عند قيام الساعة، يأمر السماء أن تمطر أربعين صباحاً متواصلاً وبعدها ينادي مناد من بطنان العرش (أيتها الأوصال المتقطعة والأعضاء المتبددة هلمي واجتمعي لفصل الخطاب... نقول لماذا هذا التخصيص...

ب ـ عن النبي صلى الله عليه وآله من حفظ من أمتي أربعين حديثاً بُعث يوم القيامة فقيهاً.

ج ـ عن النبي صلى الله عليه وآله من رضي عنه أربعون مؤمناً وجبت له الجنة.

د ـ ورد أن تستغفر لأربعين مؤمناً عند القيام لصلاة الليل ـ ركعة الوتر ـ.

ونحن بدورنا نتساءل لماذا هذا التخصيص وما سر رقم الأربعين، وقد ورد غير ما ذكرنا ونحن تركناه خشية الإطالة، هذا من جانب ومن جانب آخر فإن المأثور عن الأديان السماوية الأخرى كالمسيحية واليهودية يضارع ما ورد في المأثور الإسلامي، فإن النصارى يقيمون حفلة تأبينية يوم الأربعين من وفاة فقيدهم يجتمعون في الكنيسة ويعيدون الصلاة عليه المسماة عندهم (بصلاة الجنازة) ويفعلون ذلك في نصف السنة وعند تمامها. وكذلك اليهود يعيدون الحداد على فقيدهم بعد مرور ثلاثين

عن علي بن الحسن بن فضال عن أبيه، عن الرضا عليه السلام قال:

من ترك السعي في حوائجه يوم عاشورا قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة، ومن كان يوم عاشورا يوم مصيبته وحزنه وبكائه، جعل الله عزوجل يوم القيامة يوم فرحه وسروره، وقرت بنا في الجنان عينه، ومن سمّى يوم عاشورا يوم بركة وادخر فيه لمنزله شيئاً لم يبارك له فيما ادخر، وحشر يوم القيامة مع يزيد وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد ـ لعنهم الله ـ إلى أسفل درك من النار.

بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٢٨٤

يوماً وبعد مرور تسعة أشهر، وعند تمام السنة (المصدر نهر الذهب في تاريخ حلب ج١، ص٦٣، ص٢٦٧)كل ذلك من أجل إعادة ذكراه وتنويهاً بها وبآثاره وأعماله إن كان من العظماء ذوي الآثار والمآثر الخالدة ـ وما أدري هل الحسين عليه السلام من العظماء ذوي المآثر والبطولة ـ أجب نفسك بنفسك أيها القارئ اللبيب.

٢ـ عن الباقر عليه السلام قال: (إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً تطلع حمراء وتغرب حمراء).

٣ـ ومثله عن الصادق عليه السلام: (إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً).

٤ـ وعنه عليه السلام: (والملائكة بكت عليه أربعين صباحاً).

الحمرة في السماء:

ذكر العالم الشهير (أبو المظفر يوسف شمس الدين الملقب بسبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ في دمشق من مشاهير علماء المذهب الحنفي) في كتابه الشهير (تذكرة الخواص ص٢٨٣ من منشورات المطبعة العلمية في النجف لسنة ١٣٦٩هـ) قال ما نصه: (ذكر ابن سعد في الطبقات أن هذه الحمرة لم تُرَ في السماء قبل أن يقتل الحسين عليه السلام قال جدي أبو الفرج الجوزي في كتاب التبصرة لما كان الغضبان يحمر وجهه عند الغضب فيستدل بذلك على غضبه وأنه إمارة على سخطه والحق (سبحانه) ليس بجسم فأظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين عليه السلام بحمرة الأفق وذلك دليل على عظم الجناية) أ.هـ.

وبالجملة فإن العاقل الحصيف لا ينكر مثل هذه الأمور الشرعية وكذلك لا يتجافى في أصحاب الذوق السليم عن هذه السنن والنواميس، ويعجبني هنا إيراد ما ذكره المرحوم الحجة السيد عبد الرزاق المقرم في كتابه الجليل (مقتل الحسين) من النواميس المطردة الاعتناء بالفقيد بعد الأربعين يوماً من وفاته بإسداء البر إليه وتأبينه وعد مزاياه في حفلات تعقد وذكريات تدون تخليداً لذكره على حين أن الخواطر تكاد تنساه والأفئدة أوشكت أن تهمله فبذلك تعاد إلى ذكره صورة خالدة بشعر رائق تتناقله الألسن أو بخطابات بليغة... إلخ ويخلص السيد المقرم إلى أن الفقيد يكون حياً كلما تليت هاتيك القصائد والخطابات فيقتص الناس أثره في فضائله هذا ما يخص الأفراد من الناس المعروفين بشيء من المزايا والصفات، وإن هذه السنة في حق رجالات الإصلاح والزعماء الكبار والمجاهدين العظام والمقتدى بهم من أهل الشرع والدين أهم وأكد وأركز وأسمى وليس ذلك من باب إعادة الصورة لهم ـ كما مر ذكره ـ وإنما في نشر فضائلهم وتعداد مآثرهم ما يحدو إلى إتباعهم واحتذاء سيرتهم والسير على دربهم ومنهجهم في التفاعل وتهذيب النفوس وتزكية الأرواح وشدهم نحو البطولات والمواقف الهادفة... وما أدري هل الحسين عليه السلام من هذه الكوكبة النيرة ـ أجب نفسك وكفى ـ فليس في عقد

الأربعين للفقيد ما يدعو إلى الاستغراب إذا كان المقصود هو الاهتمام به وإعادة ذكراه وتركيز صورته لئلا يُنسى وهو في حق الرجل العظيم من أمثال أبي عبد الله الحسين عليه السلام أهم وأركز لما يترتب على ذلك من مطالب قيمة في الاحتذاء والاستلهام ونشر تاريخه بين الناس كي لا تنساه الأجيال ولمعرفة مظلوميته إن كان مظلوماً مقتولاً - كالحسين عليه السلام بلا جريرة - وفي مظاهر التجمع والحزن والاحتفال ما يرد شيئاً يسيراً من مواقفه البطولية الرائعة، ومن الأشياء التي تدل على مشروعية العزاء والندبة وتعداد المآثر والمناقب ما جاء عن إمامنا أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام قال: (قال لي أبي أوقف لي من مالي كذا وكذا لنوادب تندبني عشر سنين بمنى أيام منى) فهل في هذه الوصية ما يحتاج إلى إيضاح وبيان، قال الإمام الباقر عليه السلام يوصي ولده الصادق عليه السلام بإقامة العزاء والندبة عليه كل عام في موسم (الحج) وفي منى - بالذات - نظراً لتجمع الحجاج فيها وأن يكرر ذلك عشر سنين...

ولا أريد هنا ذكر ما ورد في خصوص فقيد الإسلام الخالد وشهيد الكرامة والإنسانية الحسين بن علي عليه السلام من مشروعية الحزن والبكاء وعن فضل زيارته والقصد إلى حرمه الشريف والإقامة عنده والطواف حول ضريحه المطهر... فلقد صدحت بذلك أحاديث شريفة وأقوال منيفة من لدن سادة البيت النبوي الشريف وتصريحات مهمة نطق بها العلماء الأعلام - قديماً وحديثاً من علماء الأمة المحمدية - ونظمها الشعراء ودبّجها الأدباء في روائع مؤلفاتهم - وخصوصاً زيارة الأربعين - في العشرين من صفر أو ما يسمى بزيارة (رد الرؤوس) إلى كربلاء ودفنها مع الأجساد الزواكي، لأن الرواية القائلة بجلب الإمام زين العابدين عليه السلام الرؤوس معه إلى كربلاء ودفنها مع الأجساد الزواكي رأس الحسين عليه السلام وبقية رؤوس أهل بيته وأصحابه... هي أكثر الروايات وثوقاً واطمئناناً وعملاً، لأن هناك رواية تقول دُفن الرأس الشريف في الشام وأخرى في مصر - القاهرة - ولكن الله شاء أن يجمع الرؤوس مع الأجساد ليزداد شرف كربلاء المقدسة. وإن كان رأس الحسين عليه السلام

عن علي بن الحسن بن فضال عن أبيه قال: قال الرضا عليه السلام:

من تذكر مصابنا وبكى لما ارتكب منّا، كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكر بمصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب.

بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٢٧٨

مدفوناً في قلب كل مؤمن حر شريف ولنعم ما أجاب به (أبو بكر الآلوسي أحد علماء السنة) وقد سُئِل عن موضع الرأس الشريف فأجاب (المصدر تذكرة الخواص):

لا تطلبوا رأس الحسين
بشرق أرضٍ أو بغرب
ودعوا الجميع وعرجوا
نحوي فمشهده بقلبي

وللمرحوم الحاج مهدي الفلوجي الحلي هذان البيتان:

لا تطلبوا رأس الحسين فإنه
لا في حمىً ثاوٍ ولا في وادِ
لكنما صفو الوداد يُدلكم
في أنه المقبور وسط فؤادي

وقال المرحوم السيد صادق السيد ياسين السعبري (أحد فضلاء الحوزة العلمية):

إن يرفعوا لك فوق ميّاد القنا
رأساً فتلك مزية الأقمار
أو يتركوك بغير دفن في العرا
فلقد دُفنت بموضع الأسرار

وأختم قولي بما جاء من مرثية زعيم الرثاء الحسيني المرحوم السيد حيدر الحلي:

وسامته يركب إحدى اثنتين
وقد صرت الحرب أسنانها
فإما يُرى مذعناً أو تموت
نفس أبى العز إذعانها
فقال لها اعتصمي بالإباء
فنفس الأبي وما زانها
إذا لم تجد غير لبس الهوان
فبالموت تنزع جُثمانها
رأى القتل صبراً شعار الكرام
وفخراً يُزين لها شانها

إلى أن يقول واصفاً موقفه وهو بين مشتجر الرماح ومشرعات السيوف:

ركين وللأرض تحت الكماة
رجيف يزلزل ثهلانها
أقر على الأرض من ظهرها
إذا ململ الرعب أقرانها
تزيد الطلاقة في وجهه
إذا غير الخوف ألوانها

ويصف مصرعه فيقول:

عفيراً متى عاينته الكماة
يختطف الرعب ألوانها
فما أجلت الحرب عن مثله
صريعاً يجبن شجعانها ▪

عن إمام لبني سليم، عن أشياخ لهم قالوا: غزونا بلاد الروم فدخلنا كنيسة من كنائسهم فوجدنا فيها مكتوباً:

أيرجو معشر قتلوا حسيناً شفاعة جده يوم الحساب

قالوا: فسألنا منذ كم هذا في كنيستكم؟

قالوا: قبل أن يبعث نبيكم بثلاثمائة عام.

بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٢٧٨

زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم الأربعين

السَّلامُ عَلى وَلِيِّ اللهِ وَحَبِيبِهِ، السَّلامُ عَلى خَلِيلِ اللهِ وَنَجِيبِهِ، السَّلامُ عَلى صَفِيِّ اللهِ وَابنِ صَفِيِّهِ، السَّلامُ عَلَى الحُسَينِ المَظلُومِ الشَّهِيدِ، السَّلامُ عَلى أَسِيرِ الكُرُباتِ وَقَتِيلِ العَبَراتِ، اللهُمَّ إنّي أشهَدُ أَنَّهُ وَلِيُّكَ وَابْنُ وَلِيِّكَ وَصَفِيُّكَ وَابنُ صَفِيِّكَ الفائِزُ بِكَرامَتِكَ أكرَمتَهُ بِالشَّهادَةِ وَحَبَوتَهُ بِالسَّعادَةِ وَاجتَبَيتَهُ بِطِيبِ الوِلادَةِ وَجَعَلتَهُ سَيِّداً مِنَ السَّادَةِ وَقائِداً مِنَ القادَةِ وَذائِداً مِنَ الذَّادَةِ وَأعطَيتَهُ مَواريثَ الأنبياءِ وَجَعَلتَهُ حُجَّةً عَلى خَلقِكَ مِنَ الأوصِياءِ، فَأعذَرَ في الدُّعاءِ وَمَنَحَ النُّصحَ وَبَذَلَ مُهجَتَهُ فِيكَ لِيَستَنقِذَ عِبادَكَ مِنَ الجَهالَةِ وَحَيرَةِ الضَّلالَةِ، وَقَد تَوازَرَ عَلَيهِ مَن غَرَّتهُ الدُّنيا وَباعَ حَظَّهُ بِالأرذَلِ الأدنى وَشَرى آخِرَتَهُ بِالثَّمَنِ الأوكَسِ وَتَغَطرَسَ وَتَرَدّى في هَواهُ وَأَسخَطَكَ وَأَسخَطَ نَبِيَّكَ وَأَطاعَ مِن عِبادِكَ أَهلَ الشِّقاقِ وَالنِّفاقِ وَحَمَلَةَ الأوزارِ المُستَوجِبِينَ النَّارَ، فَجاهَدَهُم فِيكَ صابِراً مُحتَسِباً حَتّى سُفِكَ في طاعَتِكَ دَمُهُ وَاستُبِيحَ حَرِيمُهُ ؛ اللهُمَّ فَالعَنهُم لَعناً وَبِيلاً وَعَذِّبهُم عَذاباً أَلِيماً. السَّلامُ عَلَيكَ يابنَ رَسُولِ اللهِ، السَّلامُ عَلَيكَ يابنَ سَيِّدِ الأوصِياءِ، أشهَدُ أَنَّكَ أَمِينُ اللهِ وَابنُ أَمِينِهِ عِشتَ سَعِيداً وَمَضَيتَ حَمِيداً وَمُتَّ فَقِيداً مَظلُوماً شَهِيداً، وَأشهَدُ أَنَّ اللهَ مُنجِزٌ ما وَعَدَكَ وَمُهلِكُ مَن خَذَلَكَ وَمُعَذِّبُ مَن قَتَلَكَ، وَأشهَدُ أَنَّكَ وَفَيتَ بِعَهدِ اللهِ وَجاهَدتَ في سَبِيلِهِ حَتّى أتاكَ اليَقِينُ، فَلَعَنَ اللهُ مَن قَتَلَكَ وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ظَلَمَكَ وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً سَمِعَتْ بِذلِكَ فَرَضِيَت بِهِ، اللهُمَّ إنّي أُشهِدُكَ أَنّي وَلِيٌّ لِمَنْ وَالاهُ وَعَدُوٌّ لِمَن عاداهُ.

بِأبي أنتَ وَأُمّي يابنَ رَسُولِ اللهِ أشهَدُ أَنَّكَ كُنتَ نُوراً في الأصلابِ الشّامِخَةِ وَالأرحامِ المُطَهَّرَةِ لَم تُنَجِّسْكَ الجاهِلِيَّةُ بِأنجاسِها وَلَم تُلبِسكَ المُدلَهِمّاتِ مِن ثِيابِها، وَأشهَدُ أَنَّكَ مِن دَعائِمِ الدِّينِ وَأركانِ المُسلِمينَ وَمَعقِلِ المُؤمِنِينَ، وَأشهَدُ أَنَّكَ الإمامُ البَرُّ التَّقِيُّ الرَّضِيُّ الزَّكِيُّ الهادي المَهدِيُّ، وَأشهَدُ أَنَّ الأئِمَّةَ مِن وُلدِكَ كَلِمَةُ التَّقوى وَأعلامُ الهُدى وَالعُروَةُ الوُثقى وَالحُجَّةُ على أهلِ الدُّنيا، وَأشهَدُ أَنّي بِكُم مُؤمِنٌ وَبِإيابِكُم مُوقِنٌ بِشَرايِعِ دِيني وَخَواتِيمِ عَمَلي وَقَلبي لِقَلبِكُم سِلمٌ وَأمري لأمرِكُم مُتَّبِعٌ وَنُصرَتي لَكُم مُعَدَّةٌ حَتّى يَأذَنَ اللهُ لَكُم؛ فَمَعَكُم مَعَكُم لا مَعَ عَدُوِّكُم، صَلَواتُ اللهِ عَلَيكُم وَعَلى أرواحِكُم وَأجسادِكُم وَشاهِدِكُم وَغائِبِكُم وَظاهِرِكُم وَباطِنِكُم آمِينَ رَبَّ العالَمِينَ.

بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٢٧٨

مع الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء

في رثاء السبط الشهيد

ـ نص وتحليل ـ

• د. حسن الخاقاني

مدخل:

قبل الدخول في تحليل النص لابد من أن نسجل ملاحظتين هما:

الأول: عاش الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في عصر أدبي غلب عليه تقليد الشعر العربي القديم في عصوره الفنية المختلفة، من حيث البناء، ومن حيث التكوين الفني للقصيدة، فمن حيث البناء تعتمد القصيدة النسق التقليدي الذي يجعلها بوحدات متتابعة أولها المقدمة الغزلية، أو الطللية، ثم الغرض الرئيس وأخيراً الختام.

ومن حيث التكوين الداخلي تقوم القصيدة على الإيغال بتقنيات الصنعة البلاغية كالجناس والطباق، وغيرها من محسنات بديعية مقصودة، الغرض منها إظهار التفوق في قوة المراس والتمكن من نظم القريض.

الثاني: يبدو الفرق واضحاً بين الشاعر المحترف الذي اتخذ الشعر فنه الأول، الذي يهبه حياته، وبين من اتخذ الشعر هماً ثانوياً يفرغ فيه شجو نفسه وشجونها، ولا ينبغي أن نتوقع من الثاني ما يعطيه الأول، فالفرق بين الاثنين بيّن، ولقد فرق النقاد القدامى بين الشعراء المحترفين وما لديهم من اتقان وتجويد، وبين سواهم، كالعلماء الذين تغلب على شعرهم الصنعة ويزاحمه المنطق، ولاشك في أن الشيخ الجليل علم في العلماء، هاوٍ في الشعراء.

القصيدة:

نفس أذابتها أسى حسراتها
فجرت بها محمرة عبراتها
وتذكرت عهد المحصب من منى
فتوقدت بضلوعها جمراتها

سارت وراءهم ترجع رنة ... لا غرو أن تعتد بنوه الغدر
حنت مطاياهم لها وحداتها ... فالأبناء من آبائها عاداتها
طلعوا بيومٍ للوداع وقد غدى ... ولقد وجدت ملاءة الدنيا خلت
ليلاً فردت شمسه جبهاتها ... من عفة ونجابة فملأتها
وسروا بكل فتاة خدر إن تكن ... وأرى أخلائي غداة خيرتهم
بدراً فأطراف القنا هالاتها ... أعدى عدى شنت بنا غاراتها
فخذوا احمرار خدودها بدمائنا ... كنت الحماة أظنهم فكشفتهم
فجناتها دون الورى وجنتاها ... عن عقرب لسعت حشاي حماتها
واستعطفوا بالليل اعطافاً لها ... وتعدهم نفسي الحياة لها وقد
فلقد أقمن قيامتي قلماتها ... دبت إليها منهم حياتها
وعلى عذيب الريق بارق لؤلؤ ... أسدت إلي بكل سيئة ومن
بالمنحنى من أضعلي قبساتها ... صفحي أقدر أنها حسناتها
لاثت على شهدية بخمارها ... ولكم عليها من يد بيضاء لي
والخمر يشهد أنه للثاتها ... قد سودتها اليوم تمويهاتها
لله يوم تلفتت لو أنها ... ان فصلت لي الغدر أنواعاً فقد
كانت لقتلى حبها لفتاتها ... عرفت بخبث الجنس ماهياتها
ثملت بخمرة ريقها أعطافها ... لؤمت أساءتها فهانت واستوى
وزهت بلؤلؤ ثغرها لثاتها ... نبح الكلاب علي أو أصواتها
ومشت فخاطرت النفوس كأنما ... وتكرماً عنها صددت وانني
ماست بخطار القنا خطراتها ... لولا خساستها على خسأتها
ومن البلية انني أشكو لها ... ولقد دنت شأناً فلولا عفتي
بلوى الضنا فتزيدني لحظاتها ... عن وطء كل دنية لوطأتها
وأبيت أسهر ليلتي وكأنما ... وأنا الشجى في حلقها فلو أنها
قد وفرت في جنحها وفراتها ... تجد المساغ قذفن بي لهواتها
ومهى قنصت لصيدهن فعدت في ... وتهش بشراً إن حضرت فان أغِب
شرك الغرام وأفلتت ظبياتها ... قذفت بجمرة غيظها حصياتها
عجباً تقاد لي الأسود مهابة ... كما سانعتني بالدهاء وإنما أد
وتقودني وأنا الأبي مهاتها ... هي الورى شراً علي دهاتها
أنا من بعين المكرمات ضياؤها ... لكن جبلت على الوفاء فلو جنت
لكن بعين الحاسدين قذاتها ... يدها على عينى العمى لدرأتها
إن أنكرتني مقلة عمياً فلا ... وأنا العصي من الابا وخلائقي
عجب فإني في سناني فقأتها ... في طاعة الحر الكريم عصاتها
تعساً لدهر أصبحت أيامه ... عودت عيني الاباء فلم تسل
والغدر نجح عداتها وعداتها ... إلا لآل محمد عبراتها

كم غـارة لـك يـا زمان شـننتها ... أنتـم مشـيئته التـي خلقـت بها
لـم أسـتطع دفعـاً لها فشـنآتها ... الأشـياء بـل ذرأت بهـا ذراتها
وأرى الليالـي منـك جبلى لم تلد ... وخزانـة الأسـرار بـل خزّانهـا
للحـر غيـر ملمـة غدواتهـا ... وزجاجـة الأنـوار بـل مشـكاتها
تجري لهـا العبرات حمراً إن جرت ... أنـا في الورى قال لكـم إن لم أقل
ذكـراً علـى أسـماعنا عثراتهـا ... مـا لم تقلـه في المسـيح غلاتها
وودت مـذ جـارت علـى أبنائهـا ... سفهاً لحلمي إن تطر بثباتي السفـ
ورمـت بنيهـا بالصـروف بناتهـا ... ـهـاء مـذ طـارت بهـا جهلاتهـا
عدلـت بـآل محمد فيمـا قضت ... أنـا مـن شـربت هنـاك أول درها
وهـم أئمـة عدلهـا وقضاتهـا ... كأسـاً سـرت بسـرائري نشـواتها
المرشـدون المرفـدون فكم هدى ... فاليوم لا أصحـو وإن ذهبت بي الأ
وندى نميـح صلاتهـا وصلاتها ... قـوال أو شـدت علـى رماتهـا
والمنعمون المطعمـون إذا انبرت ... أو هـل ترى يصحـو صريع مدامة
نكبـاء صوحـت الثـرى نكباتهـا ... ممـا بـه إن عنفتـه صحاتهـا
والجامعـون شـتات غـر مناقـب ... أو هل يحول أخو الحجى عن رشده
لـم تجتمـع بسـواهم أشـتاتها ... ممـا تؤنبـه عليـه غواتهـا
يـا غايـة تقـف العقـول كليلـة ... بأبـي وبي مـن هم أجـل عصابة
عنهـا وإن ذهبـت بهـا غاياتهـا ... سـارت تـؤم بهـا العلى سـرواتها
يـا جذوة القدس التي ما أشـرقت ... عطري الثياب سرواً فقل في روضة
شـهب السـما لو لم تكن لمعاتها ... غب السحاب وسـرت بها نسماتها
يا قبة الشـرف التـي لو في الثرى ... ركـب حجازيـون عرقـت العلـى
نصبت سمت هام السـما شرفاتها ... فيهـم ومسـك ثنائهم شـاماتها
يـا كعبـة لله إن حجـت لهـا إلا ... تحـدو الحـداة بذكرهـم وكأنما
مـلاك منـه فعرشـه ميقاتهـا ... فتقـت لطيمـة تاجـر لهواتهـا
يـا نقطـة البـاء التي بـاءت لها ... ومطوحيـن ولا غنـاء لهم سـوى
الكلمـات وائتلفـت لهـا ألفاتهـا ... هـزج التـلاوة رتلـت آياتهـا
يا وحـدة الحـق التي مـا إن لها ... والـى اللقـاء تشـوقاً أعطافهـا
ثـان ولكـن مـا انتهـت كثراتهـا ... مهـزوزة فكأنهـا قنواتهـا
يـا وجهـة الاحديـة العليـا التي ... خفـت بهـم نحـو المنايـا همة
بالأحمديـة تسـتنير جهاتهـا ... ثقلـت على جيش العـدى وطآتها
يا عاقلي العشـر العقول ومن لها ... وبعزمهـا مـن مثـل مـا بأكفهـا
السـبع الطباق تحركت سـكناتها ... قطـع الحديـد تأججـت لهباتها
أقسـمت لو سـر الحقيقـة صورة ... فـكأن مـن عزماتهـا أسـيافها
راحـت وأمتـم للـورى مرآتهـا ... طبعـت ومـن أسـيافها عزماتهـا

قسم الحيا فيها فمن مقصورة ... فتخر بعد قلوبها أذقانها
الأيدي ومن ممدودة قسماتها ... وتفر قبل جسومها هاماتها
وملوك بأس في الحروب قبابها ... وباسرة من آل أحمد فتية
قب البطون ودستها صهواتها ... صينت ببذل نفوسها فتياتها
يسطون في الجم الغفير ضياغما ... يتضاحكون إلى المنون كأن في
لكنما شجر القنا أجماتها ... راحاتها قد أترعت راحاتها
كالليث أو كالغيث في يومي وغى ... وترى الصهيل مع الصليل كأنه
وندى غدت هباتها وهباتها ... فيهم قيان رجعت نغماتها
حتى إذا نزلوا العراق فأشرقت ... وكأنما سمر الرماح معاطف
أكنافها وزهت بهم عرصاتها ... فتمايلت لعناقها قاماتها
ضربوا الخيام بكربلا وعليهم ... وكأنما بيض الظبا بيض الدمى
قد خيمت ببلائها كرباتها ... ضمنت لمى رشفاتها شفراتها
نزلوا بها فانصاع من شوك القنا ... وكأنما حمر النصول أنامل
ولظى الهواجر ماؤها ونباتها ... قد خضبتها عندما كاساتها
وأتت بنوا حرب تروم ودون ما ... ومذ الوغى شبت لظى وتقاعست
رامت تخر من السما طبقاتها ... دون الشدائد نكصاً شداتها
رامت بأن تعنو لها سفهاً وهل ... وغدت تعوم من الحديد بلجة
تعنو لشر عبيدها ساداتها؟ ... قد أنبتت شجر القنا حافاتها
وتسومها أما الخضوع أو الردى ... خلعوا لها جنن الدروع ولاح من
عزاً وهل غير الإباء سماتها ... نيرانها لجنانهم جناتها
فأبوا وهل من عزة أو ذلة ... وتزاحفوا يتنافسون على لقى
إلا وهم آباؤها وأباتها ... الآجال تحسب أنها عاداتها
وتقحموا ليل الحروب فأشرقت ... بأكفها عوج الأسنة ركع
بوجوههم وسيوفهم ظلماتها ... ولها الفوارس سجد هاماتها
وبدت علوج أمية فتعرضت ... حتى إذا وافت حقوق وفاتها
للأسد في يوم الهياج شياتها ... وعلت بفردوس العلى درجاتها
تعدو لها فتميتها رعباً وذي ... شاء الإله فنكست أعلامها
يوم اللقا بعداتها عاداتها ... وجرى القضاء فنكصت راياتها

عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:
سمعته يقول: إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع، ما خلا البكاء على الحسين بن علي عليهما السلام فإنه فيه مأجور.

بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٢٩١

وهــوت كما انهالت على وجه الثرى ... وبهــم تــروج العاديــات وتغتــدي
من صم شــاهقة الــذرى هضباتها ... وجســومكم فــوق الثــرى حلباتها
وغــدت تقســم بالظبــا أشــلاؤها ... ونســاؤكم أســرى سرت بســراتكم
لكــن تزيــد طلاقــة قســماتها ... تدعــو وعنها اليــوم أين ســارتها
ثم انثنى فــرداً أبو السـجاد فاجـ ... ـتمعــت عليــه طغامهــا وطغاتها
غيــران يحمــلُ عزمــة حملت إلى ... بأبي وبي منهم محاسن في الثرى
حــرب جيــوش منيــة حملاتهــا ... للحشــر تنشــر فخرهم حسناتها
تلــوي بأولاهــم علــى أخراهــم ... أقــوت معالم انســهم والوحش كم
وتجــول في أوســاطهم ســطواتها ... راحــت ومــنٍ أســيافهم أقواتهــا
يحمي مخيمه فقل أســد الشــرى ... يا هــل ترى مضــراً درت ماذا لقت
ديســت علــى أشــبالها غاباتهــا ... فــي كربــلا أبناؤهــا وبناتهــا
خطــب العدى فوق العوادي خطبة ... خفــرت لهــا أبنــاء حــرب ذمــة
للســانه وســنانه كلماتهــا ... هتكــت لهــا مــا بينهــم خفراتها
وعظ اللســان ومذعتــوا عن أمره ... جارت علــى تلك المنيعــات التي
طعــن الســنان فلم تفتــه عتاتها ... تهــوى النجــوم لــو أنهــا جِاراتها
نثــر الــرؤوس بســيفه ونظمن في ... حتــى غــدت بيــن الأراذل مغنماً
ســلك القنــا لقلوبهــم حياتهــا ... تنتاشــها أجلافهــا وجفاتهــا
أن يشــرع الخرصان نحو مكردس ... فلضربهــا أعضادهــا ولســلبها
ردت ومــن أكبادهــا عذباتهــا ... أبرادهــا ولنهبهــا أبياتهــا
وإذا هــوت بالبيــض قبضــة كفــه ... وثــواكل لمــا دفعــن عــن البــكا
عــادت علــى أرواحهــم قبضاتهــا ... والنــوح رددت الشــجى لهواتهــا
يروي الثرى بدمائهم وحشــاء من ... زفراتهــا لــو لــم تكن مشــفوعة
ظمــأ تطايــر شــعلة قطعاتهــا ... بالدمــع أضرمت الســما جذواتها
لــو قلبــت مــن فــوق عُليــةِ قلبه ... وعلــى الأيانــق من بنــات محمد
صــم الصفــا ذابتٍ عليــه صفاتها ... في الشــمس تصليٍ حرها أخواتها
تبكي الســماء لــه دمــاً أفلا بكت ... أبــدى العدو لهــا وجوهاً لــم تبنْ
مــاء لغلــة قلبــه قطراتهــا ... حتى لأنفــاس الصبــا صَفحاتها
واحــر قلبي يــا ابن بنــت محمد ... ومروعــة في السـبي تشــكو بثها
لك والعدى بــك أنجحت طلباتها ... فتجاب ضرباً بالسـياط شــكاتها
منعتك مــن نيل الفــرات فلا هنا ... قامت تســب لهــا الجــدود أراذل
للنــاس وبعــدك (نيلهــا وفراتها) ... قعــدت بهــا عن شــأوهم ســباتها
وعلــى الثنايا منك يلعــب عودها ... يــا غيــرة الجبــار أنــى والعــدى
وبرأســك الســامي تشــال قناتها ... راحــت وفــي أبياتكــم غاراتهــا

مع الشيخ كاشف الغطاء في رثاء السبط الشهيد

يـا حرمـة هتكـت لعـزة أحمـد
وهمـا اللـذان عليكـم قـد جرءا

فيهـا وعـزة ربـه حرماتهـا
مـن لا يدانـي نعلكـم جبهاتهـا

أحمـات ديـن الله كيـف بناتكـم
جـرا إليكـم كل جـور نالكـم

سـاروا بهـا والشـامتون حماتها
مـن عصبـة فعليهمـا لعناتهـا

تطوي الفـلاة بها وما ضاقت على
فلرزئكـم إن لـم أمت حزنـاً فلي

حـرب بشـعث خيولكـم فلواتهـا
نفـس أذابتهـا أسـى زفراتهـا

كفأت لكم ظهر المجن فهل سـوى
ولقـد نشـرت رثـاً لكـم وكأن في

عزماتكـم وهـي الحتـوف كفاتها
طـي الجوانـح للقنـا وخزاتهـا

وخيامكـم تلـك التـي أوتادهـا
وإليكـم مـن بكـر فكـري ثـاكل

شـهب السـماء وعرشـها داراتها
تنعـي فتهتـف بالنفـوس نعاتها

بالنـار أضرمهـا العـدو وأنتـم
منكـم لكـم أهديتهـا وبرزئكـم

أربابهـا وحريمكـم رباتهـا
آل النبـي ختمتهـا وبدأتهـا

فرت تعـادى فـي الفـلاة نوائحاً
ولنشـأتي أنشـأتها ذخـراً لكـم

حسـرى تقطـع قلبها حسـراتها
أفهـل أخيـب وفيكـم أنشـأتها

حتـى إذا وقفـت على جثـث لكم
ولمهجتـي بولاكـم الحسـنى إذا

طالـت عليهـا للضبـا وقفاتهـا
فقدت غـداً بصحيفتي حسـناتها

قدحت لكم زنـد العتاب فلم تجد
فولاؤكـم حسـبي وإنـي عبدكـم

غيـر السـياط لجنبهـا هفواتها
فخري وذخري إن تضـق حلقاتها

وسـرت على حال يحق لشـجوها
وإليكـم شـكواي من نفـس غدت

الأفـلاك لـو وقفت لهـا حركاتها
تقتادنـي للسـوء إماراتهـا

حنـت ولولا زجر (زجـر) ما حدت
وجرائـم عبـت بمهلـك لجـة

أظعانها بسـوى الحنيـن حداتها
ترمـي لهـا بنفوسـها غفلاتهـا

يا لوعة قعدت وقامت في الحشـا
وأنـا الغريـق بهـا فهـل إلا بكم

خرسـاء تنطق بالشـجى نفثاتها
للنفس يا (سـفن النجاة) نجاتها

قعـدت ولا تنفـك أو ارزاؤكـم
وعليكـم يـا رحمـة البـاري من

بقيـام (قائمكـم) تصـاب تراتها
التسـليم ما سـارت بـه صلواتها

فانهـض فدى لك أنفس كمنت بها
طيـر الشـجون كأنهـا وكناتهـا

واحصـد رؤوسـهم فكـم رأس لكم
حصدتـه بعد ولم يشـب شـباتها

واحـرق لهم صنمي ضـلال وطّدا
لهـم الأمـور فأمكنـت وثباتهـا

تبعـاً بما ابتدعـا فما من سـوأة
إلا وفـي عنقيهمـا تبعاتهـا

التحليل:

تمتد المقدمة على مدى خمسـة عشر بيتـاً بدءاً مـن المطلـع السـردي العنيف الذي يكشـف عما حل بالنفس من أسى وحسـرات، تقابلها حمر العبرات، وهو مدخل يتناسـب مع ما سيجري في النص

من عرض للمصائب التي أعقبت ذلك الحزن

نفس أذابتها أسىً حسراتها

فجرت بها محمرة عبراتها

وقد ينجح المطلع في توثيق عرى النص بالمشكلة الرئيسية التي هي الحزن والتفجع، لما جرى على آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله في كربلاء، وهي حلقة في سلسلة مصائب، جرها الدهر عليهم، وبذلك يمكن عد الوحدة الأولى من القصيدة، أو ما يسمى بالمقدمة الطللية كناية، أو ترميزاً عن المصيبة كلها، فالبيت الثاني:

وتذكرت عهد المحصب من منى

فتوقدت بضلوعها جمراتها

إنما هو تذكر لآل البيت، وموضعهم من منى، التي هي رابط ديني أكثر منه رابطاً مكانياً وهو يثير الحزن بصفته الدينية لا بصفته المكانية حسب.

وأما البيت الثالث:

سارت وراءهم ترجع رنة

حنت مطاياهم لها وحداتها

إنما هو كناية عن مسير رحل آل النبي من الحجاز إلى العراق، لكن هذا الأمر لا يتسق مع مجموع أبيات الوحدة الطللية كاملة، فهناك من الأبيات ما غلب عليه التقليد ليصبح خارج الذات مهتماً بالتقابلات اللغوية وما تنتجه من رنين صوتي مثل: فجناتها وجناتها، واستعطفوا أعطافاً، فلقد أقمن قيامتي قلماتها، وغيرها وهذا على غير ما اتقنه كبار الشعراء من أهل هذه الصنعة، فلو قارنا مقدمة هذه القصيدة بمقدمة تائية دعبل الخزاعي الشهيرة في الموضوع نفسه، لبان الفرق واضحاً، فمن واجب المقدمة أن تكون مدخلاً إيحائياً يوجز ما سيأتي، ويرتبط معه ارتباطاً فنياً وثيقاً، وليس كذلك الأمر في قصيدة الشيخ هذه إذ تهتم في بقية أبياتها بإظهار ما ترك مسرى الفتاة في البيت الخامس من دون أن تصبح هذه الفتاة رمزاً متمكناً في التعبير عن الواقعة مثلما فعل دعبل بتمكن واقتدار.

تنتهي المقدمة في البيت الخامس عشر، ليبدأ البيت الذي يليه فاصلاً من الفخر بالنفس، إذ يسيطر ضمير المتكلم حتى البيت السادس والثلاثين ليتخلل الفخر ذم الزمان وأهله وهو ما يقدم فرصة جيدة أمام الشاعر لذم زمان أزرى بآل النبي صلى الله عليه وآله لكنه لا يفعل ذلك، بل تطغى الذات واضحة في النص، حتى تكاد تصنع نصاً آخر داخل النص منفصلاً عنه خطاباً وموضوعاً، فمن حيث الخطاب تتراجع فورة الأسى التي بدأ بها النص متحسراً على ما جرى على آل النبي صلى الله عليه وآله حيث ينقطع التواصل بين الأمرين، ومن حيث الموضوع يبدو النص وقد فتح موضوعاً جانبياً لا علاقة وطيدة تحكم ارتباطه بالسياق العام الذي ينبغي أن يكون أكثر تماسكاً واتصالاً، فقد ضيع الموضوع الجديد تماسك النص مع طول الأبيات التي استغرقها، حتى البيت السادس والثلاثين:

عودت عيني الإباء فلم تسل

إلا لآل محمد عبراتها

ليكون مدخلاً إلى المصيبة، ولكن بالعموم المتمثل بآل محمد صلى الله عليه وآله، الذي ينتقل في البيت الثاني والأربعين فاصلاً

طويلاً من المدح يستمر حتى البيت الثاني والستين ليبدأ البيت:

ركب حجازيون عرفت العلى
فيهم ومسك ثنائهم شاماتها

التخصيص بذكر ركب الإمام الحسين عليه السلام وآل بيته، في أبيات ذات نسق سردي، تستغل المسافة الواقعة بين الانطلاق والوصول لغرض المدح باستعمال ضمير الغائب في إظهار شجاعة هؤلاء المتجهين نحو منياهم، ليكون هذا المديح مقابلاً لما سيجري عليهم من عنف وقتال. وتعظيماً لوقع المصيبة التي سيأتي ذكرها بعد مقطع سردي، إخباري، يظهر بالأفعال والحركات وصول الركب إلى كربلاء، وذلك في البيت:

حتى إذا نزلوا العراق فأشرقت
أكنافها وزهت بهم عرصاتها

يقابله أفعال بني أمية، لإظهار الفرق بين طرفي الفعل، وذلك في البيتين:

وأتت بنو حرب تروم ودون ما
رامت تخر من السما طبقاتها
رامت بأن تعنو لها سفها وهل
تعنو لشر عبيدها ساداتها؟

وهذا يقابله الرفض القاطع برفض الخيار المتاح تمهيداً للمواجهة:

وتسومها إما الخضوع أو الردى
عزاً وهل غير الإباء سماتها
فأبوا وهل من عزة أو ذلة
إلا وهم آباؤها وأباتها

ليكون هذا توافقاً للمديح الذي قدمه الشاعر بحق هؤلاء، ولا يبقى بعد الرفض سوى المواجهة، التي تأتي بصيغة ضمير الجمع:

وتقحموا ليل الحروب فأشرقت
بوجوههم وسيوفهم ظلماتها

فتستمر المواجهة على مدى الأبيات ٨٣-٩٧ وفيها استمرار للمدح وإظهار الشجاعة، لكن المصيبة واقعة لا محال، ولا ملاذ للتهوين من وقعها سوى أن تكون من مشيئة الإله، وذلك بأن أصحاب الحسين عليه السلام قد صرعوا، فلا يبقى سوى الحسين عليه السلام وحده ليتجرد من بين العموم، تطرأ في ذلك شجاعته قتالاً ووعضاً، ممازجاً بين المدح والفخر، ويستمر ذلك حتى البيت ١١٠ الذي يهتم بقضية ظمأ الإمام الحسين عليه السلام التي تكون مدخلاً إلى قضية رئيسة في النص وهي مقتل الإمام عليه السلام نفسه، فكنى عنه بالظواهر الدالة عليه. كبكاء السماء، وإظهار التفجع، ليوجز السرد، بنقلات سريعة، حتى لتبدو في غير موضعها

عن القداح، عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال:
مرّ علي بكربلا في اثنين من أصحابه قال: فلما مرّ بها ترقرقت عيناه للبكاء ثم قال: هذا مناخ ركابهم، وهذا ملقى رحالهم، وههنا تهراق دمائهم، طوبى لك من تربة عليك تهراق دماء الأحبة.

بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٢٥٨

أحياناً، ما آل إليه أمر الحسين عليه السلام بعد مقتله، بالإشارة إلى عصا يزيد وهي تلعب على ثنايا أبي عبد الله عليه السلام، وذلك في البيت:

وعلى الثنايا منك يلعب عودها
وبرأسك السامي تشال قناتها

ليسرد واقعة رفع رأس الإمام الحسين عليه السلام على رمح، وفي هذا تفاوت في الحدث فرفع الرأس، على أية حال، يسبق لعب العصا على ثناياه، ولا يدري، بعد ذلك، أن قصد مسير الرأس إلى الشام أم إلى الكوفة التي سبقت مسير الشام، فذلك الأمر هو من نتائج المعركة، ولعل النتيجة الأخطر، أن الأمر لم يقف عند هذا وحسب، بل شاء أعداء الله ورسوله أن يكون بنات النبي صلى الله عليه وآله أسارى تساق بين أيدي الظالمين، وهذا من فجائع الدهر وعظيم رزاياه، بآل النبي صلى الله عليه وآله ودينه، وقد تناول الشاعر هذه القضية بأسلوب العتاب، بالخطاب الموجه إلى آل النبي صلى الله عليه وآله في الأبيات ١١٦-١٣٦ ليكشف عما جرى على هؤلاء النسوة في طريق وعر طويل. على رواحل هزل عليهن ذل الأسار وقد آل أمر هذه إلى عدوهن بعد قتل أوليائهن.

يعود الشاعر إلى استذكار حدث خارج سياقه التاريخي، أو التراثي في النص فبعد أن ساق قضية الأسر، والمسير إلى الشام، يستذكر حرق الخيام، وكان من حق هذا الحدث أن يقدم على السبي، لكونه مقدمة له، فقد جرى الحرق عصر مقتل الحسين عليه السلام وصحبه، ليعود الشاعر ثانية وبعد هذا القطع الذي جادت به الذاكرة، إلى استئناف ما بدأ به من ذكر مسير السبي في لحظة انطلاقه، مفارقاً جثث أوليائه، ولعله جعل هذا بما فيه من حر المصيبة، وشدة الانفصال، مقدمة (للاستنهاض) وهو جزء من القصيدة الحسينية، يتوجه الخطاب به إلى الإمام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه) ليأخذ الثأر لجده الحسين عليه السلام وذلك بدءاً بالبيت ١٤٥ ليلتفت ثانية إلى أثر المصيبة على الذات التي تنطق بضمير المتكلم، خاتماً نصه بالدعاء والتوسل طلباً للنجاة، بسفن النجاة وهم آل النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، جمعنا الله وإياهم في دار المقام، والحمد لله رب العالمين ■

عن داود الرقي قال:

كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذا استسقى الماء، فلما شربه رأيته قد استعبر، واغرورقت عيناه بدموعه، ثم قال لي: يا داود لعن الله قاتل الحسين عليه السلام فما من عبد شرب الماء فذكر الحسين ولعن قاتله، إلا كتب الله له مائة ألف حسنة، وحط عنه مائة ألف سيئة، ورفع له مائة ألف درجة، وكأنما أعتق مائة ألف نسمة، وحشره الله يوم القيامة ثلج الفؤاد.

بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٣٠٣

روي أنه لما أخبر النبي (صلى الله عليه وآله) ابنته فاطمة (عليها السلام) بقتل ولدها الحسين (عليه السلام) وما يجري عليه من المحن بكت فاطمة بكاءً شديداً، وقالت: يا أبت متى يكون ذلك؟

قال: في زمان خال مني ومنك ومن عليّ. فاشتدّ بكاؤها، وقالت: يا أبت فمن يبكي عليه؟ ومن يلتزم بإقامة العزاء له؟

فقال النبي (صلى الله عليه وآله): يا فاطمة إن نساء أمتي يبكون على نساء أهل بيتي، ورجالهم يبكون على رجال أهل بيتي، ويجددون العزاء جيلاً بعد جيل في كل سنة، فإذا كان القيامة تشفعين أنت للنساء وأنا أشفع للرجال، وكلّ من بكى منهم على مصاب الحسين أخذنا بيده وأدخلناه الجنة.

يا فاطمة كلّ عين باكية يوم القيامة، إلا عين بكت على مصاب الحسين فإنها ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنّة.

بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٢٩٢

عن عبد الله بن بكير قال:

حججت مع أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث طويل... إلى قال: فقلت: يا ابن رسول الله لو نبش قبر الحسين بن علي (عليهما السلام) هل كان يصاب في قبره شيء؟

فقال (عليه السلام): يا ابن بكير ما أعظم مسائلك، إن الحسين ابن علي (عليه السلام) مع أبيه وأمه وأخيه في منزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعه يرزقون ويحبرون، وإنه لعن يمين العرش متعلق به، يقول:

يا رب أنجز لي ما وعدتني. وإنه لينظر إلى زواره فهو أعرف بهم وبأسمائهم وأسماء آبائهم وما في رحالهم من أحدهم بولده، وإنه لينظر إلى من يبكيه فيستغفر له ويسأل أباه الاستغفار له ويقول: أيها الباكي لو علمت ما أعد الله لك لفرحت أكثر مما حزنت، وإنه ليستغفر له من كل ذنب وخطيئة.

بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٢٩٢

خطبة
الإمام الحسين(ع) ليلة استشهاده
ـ دراسة في الأسلوب ـ

• حيدر الجمالي
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

لما كانت الخطب الكريمة التي وردت عن لسان سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام أثناء المسيرة الكربلائية ذات أهمية بالغة نظراً لدلالتها على الأسباب التي أدت إلى قيام هذه الثورة الجهادية والأحداث التصحيحية التي اقتضتها مصلحة الإسلام المعد لأن يكون دين البشرية جمعاء رأينا دراسة آخر خطبة له عليه السلام.

قال صلوات الله عليه وسلامه بعد أن جمع أصحابه ليلة العاشر من المحرم فقال[1]:

أثني على الله أحسن الثناء... وأحمده على السراء والضراء... اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن... وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً... وأبصاراً... وأفئدة ولم تجعلنا من المشركين...

أما بعد:

فإني لا أعلم أصحاباً أولى ـ وقيل (أوفى) ـ ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ـ ولا أوجل من أهل بيتي فجزاكم اله عني جميعاً، وقد أخبرني جدي صلى الله عليه وآله يأتي سأساق إلى العراق، فأنزل أرضاً يقال لها (عمورا)[2] و(كربلاء) وفيها أستشهد، وقد قرب الموعد ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً... وإني قد أذنت لكم... فانطلقوا جميعاً في حل[3] وليس عليكم في ذمام[4]، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي فجزاكم الله جميعاً خيراً وتفرقوا في

سوادكم، ومدائنكم فإن القوم إنما يطلبوني، ولو أصابوني لذهلوا، فقال له إخوته وأبناؤه وبنوا أخيه وأبناء عبد الله بن جعفر: لم نفعل ذلك؟.

لنبقى بعدك؟! لا أرانا الله ذلك أبداً.

بدأهم ذلك القول العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام ثم تابعه الهاشميون والأصحاب سلام الله عليهم. فجزّاهم الحسين عليه السلام خيراً ودعا لهم.

توطئة:

من الثابت القول بأن الخطابة في عصر صدر الإسلام ازدهرت ولأسباب معلومة منها بزوغ الدين الجديد مما دعا الباحثون إلى الاعتقاد بأن النثر كان أكبر أثراً من الشعر في هذا العصر، وقد سن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في خطبه الشريفة منهاجاً للخطباء ساروا عليه من استفتاح واستشهاد بالآيات والانتهاء وقد ذكرها ابن قتيبة في عيون الأخبار وتعددت أنواعها منها: الدينية، وخطب الجهاد والوفود والزواج ووصايا الجيوش والخطب السياسية وهذه الأخيرة ظهرت في العصر الأموي لتعدد الأحزاب السياسية، وخطبة الإمام الحسين عليه السلام يمكن أن نصفها من خطب الجهاد والاستنفار ولابد من القول أن الخطابة الأموية ظلت محافظة بمكانتها العالية ومنزلتها الرفيعة ولاسيما بعد ظهور الثورات العارمة والأحزاب السياسية.

فظهرت خصائص عامة وأخرى فنية تجمع في التأثر بالقرآن الكريم، وجزالة اللفظ وحلاوة التعبير، وقلة الغريب والسجع والاعتدال في الحسنات البديعية فضلاً عن الأسلوب العاطفي والخيالي والتصويري، ولعل من أهمها هنا:

١ـ الافتتاح والانتهاء:

وقد دأب الخطباء ولاسيما الإمام الحسين عليه السلام بالسير على النهج الإسلامي في الاستفتاح من ذكر الله عز وجل وحمده، فقد قال:

أثني على الله... وأحمده الله... وقدم لخطبته بمقدمة غاية في الذوق والحسن الفني فقال: أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين... إلى أن ختم هذا الاستفتاح بكلمة أما بعد دلالة على الدخول في الخطبة وهذه المقدمة لها علاقة وطيدة بموضوع الخطبة إذ أن القوم قد أيقنوا أن الجانب المعادي قد استقر رأيه على منازلة الحسين، والحسين عليه السلام أراد أن يبين لأصحابه هذه الحقيقة التي ستمثل لهم غداً فأراد الإمام عليه السلام أن يختبر أصحابه هذا الاختبار فابتدأ هذا التدرج في المقدمة وكذلك خاتمة الخطبة أنه عليه السلام دعا لهم بعد أن بين لهم منزلتهم وما أعده الله لهم.

٢ـ الاستشهاد بالقرآن الكريم:

بألفاظه ومعانيه وصوره وأسلوبه كيف لا والحسين عليه السلام سليل أهل بيت هو أحد الثقلين المتلازمين وأكد الرسول صلى الله عليه وآله على التمسك بهما لأنهما لن يتفرقا، فجاءت ألفاظه ومعانيه إسلامية خالصة ولا تشوبها شائبة ولعلنا إذا تمعنا فيها رأينا صوراً لآيات قرآنية استشهد بهما الإمام الحسين عليه السلام ففي قوله: (وجعلت لنا أسماعاً... وأبصاراً... وأفئدة...) إشارة إلى قوله تعالى: (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم

تشكرون).

وكأنه سلام الله عليه أراد أن يؤكد معنى قوله تعالى: (لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) فذكر هذا المعنى بقوله: (فإني لا أعلم أصحاباً أوفى...) واستعار الليل هنا من قوله تعالى: (والليل إذا يغشى) ولفظة الليل أخذت بعداً إيحائياً أوسع فهذا آخر ليل لهؤلاء القوم لأن الموعد غداً.

٣- الطابع البدوي:

ولا أقصد به الغلظة والوحشي بل ثمة ظاهرة تلتفت الانتباه إليها في الخطابة ولاسيما خطب الجهاد، إن هذه الخطابة لم تساير تمام المسايرة حياة التحضر إلى انتقلت إليها كثرة العرب في هذا العصر فظلت الخطابة بوجه عام تحمل أسلوبها طابعاً أقرب إلى البداوة سواء في ألفاظها أو في تراكيبها فالمقصود هنا بالطابع البدوي هو الفصاحة الأصيلة والبيان العربي الناصع السليم بعيداً عن شوائب اللحن واللكنة. والحسين عليه السلام سبط أفصح العرب وأبوه سيد البلاغة العربية وقد تربى في حجر النبوة، فإذا نظرت إلى ألفاظه تجدها كلها فصيحة، بعيدة عن الغموض، ذات إيحاء دلالي وتناسق لفظي. وهذا واضح جلي.

٤- التناسق: ويقصد به تنظيم الألفاظ وأجزاء الخطبة ومكوناتها وفقاً للمعاني الموجودة في الذهن، فقد أراد عليه السلام أن يوضح لهم فكرة مهمة وغاية الأمر أن هذا الجمع مقبل على الشهادة غداً.

وقد عضد ذلك المعنى وقوّاه باستشهاده بقول رسول الله صلى الله عليه وآله له بأنه سيساق إلى الشهادة، وأكد هذا الموعد وقربه إليهم بقوله: (ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً...) فنرى التناسق رغم خطورة الموقف فجاءت أفكاره متناسقة ومما أضفى على الخطبة هذه الصفة أسلوب الحوار الذي ساد في خطبته فبعد أن عرض لها تكلم أهل بيته وأصحابه وبينوا مواقفهم دلالة على أنهم قد اقتنعوا بحقيقة الأمر وهم أصحاب العقيدة والعلم.

٥- الإيجاز:

ولعل الإيجاز من أبرز سمات الخطابة وبها تظهر موحية الخطباء ولا تظهر روعة الأداء الخطابي إلا في مقدرة الخطيب على التعبير عن أفكاره تعبيراً موجزاً مركزاً ولاسيما في خطب الجهاد.

والإمام الحسين عليه السلام أراد أن يبين لأصحابه حقيقة الوضع الذي هم عليه، ولا ننسى الموقف فالإمام عليه السلام يدرك أن الإطالة في مثل هذا الموضع غير مجدية لأن القوم على شفا قتال وبينهم وبينه سويعات معدودة فلذا رأينا قصر هذه الخطبة وعظم مدلولها فقد وظفنا توظيفاً رائعاً لتدل دلالة واضحة على شرف المقصد الذي أراده الإمام لأصحابه وهو إحدى الحسنين، ولاسيما بعد انتهاء المفاوضات بين الطرفين، وتيقن الإمام عليه السلام أن القوم عازمون على قتله وقتل أهل بيته عليهم السلام، فيعد استشهاده بقول رسول الله صلى الله عليه وآله: قال عليه السلام: (ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً) ثم أحلهم من بيعته وأذن لهم بالرحيل، وهنا تظهر عقيدتهم الراسخة فيستهينون بالموت:

قوم إذا نودوا لدرئ ملمة
والقوم بين مكردس ومكدس

لبسوا القلوب على الدروع وأقبلوا يتهافتون على ضياع الأنفس

٦- الأسلوب العاطفي:

من ميزات الأسلوب الخطابي أنه يهدف إلى إثارة العواطف والأحاسيس لدى السامعين وهذا يحتاج إلى أسلوب خاص يطلق عليه بالأسلوب العاطفي ومن ركائز هذا الأسلوب الإتكاء على الأسلوب الإنشائي باستعمال صيغ النداء، والتعجب والاستفهام، واستخدام الجمل الشرطية ومنها (ولو أصابوني لذهلوا) والتساؤل والاستفهام ولاسيما في تساؤل أصحابه: (لم نفعل ذلك) والتقديم والتأخير: (ليس عليكم مني ذمام) والتأكيد ولاسيما بأن المشبهة: (فإني لا أعلم أصحاباً) و(إني قد أذنت لكم) و(فإن القوم إنما يطلبونني)، والتكرار ولاسيما دعاؤه عليه السلام: (فجزاكم الله جميعاً خيراً).

ومن ركائز هذا الأسلوب أيضاً: البراعة في استعمال ألفاظ ذات إيحاء قوي تؤثر في النفس بجرسها ورنينها (أسماعاً) (أبصاراً)، (أولى)، (أوفي)، (سأساق)، (كربلاء)... وغيرها. ومع ضخامة الجيش المعادي فإنها يأذن لأهله وصحبه بالرحيل بعبارات غاية في الإيحاء (ليس عليكم مني ذمام، وهذا الليل قد غشيكم... فاتخذوه جملاً وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي...).

٧- السجع والتوازن:

ليس السجع من الظواهر الفاشية في خطب الجهاد ولأنها خطب آنية... إلا ما ندر دعا إليها الإيقاع وجمالية التصوير الفني كقوله عليه السلام: (السراء والضراء)، (أسماعاً وأبصاراً)، (سوادكم، ومدائنكم).

٨- المؤثرات البلاغية والبديعية:

وهي من كماليات النص الخطابي يستعين به الخطيب في تقوية صوره وإبداعاته فنلحظ الطباق في قوله (السراء والضراء) و(سوادكم ومدائنكم) وكذلك التشبيه حينما شبه الليل بالجمل لذهاب أصحابه فقال: (هذا الليل... فاتخذوه جملاً) وهي صورة حسية أضفت على أسلوبه دلالة إيحائية ولكن عزيمة أصحابه وقوة عقيدتهم كانت مثار إعجاب ■

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ٢٤٧/١، بحار الأنوار ٣٩٢/٤٤، مقتل الحسين للمقرم: ٢١٢، الطبري ٢٣٨/٦، الكامل لابن الأثير: ٣٤/٤، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢٠٢.

(٢) عمورا: اسم من أسماء كربلاء.

(٣) الاسم من تحليل اليمين.

(٤) لذهلوا: لشغلوا.

عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:
نفس المهموم لظلمنا تسبيح، وهمه لنا عبادة، وكتمان سرنا جهاد في سبيل الله.
ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: يجب أن يكتب هذا الحديث بالذهب.

بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٢٧٨

الامتداد التاريخي
لثورة الإمام الحسين عليه السلام

• أحمد سلمان هادي آل طعمة
كلية الطب/ جامعة كربلاء

من خلال قراءة سريعة للأحداث التاريخية التي تلت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله لحين قيام الثورة الحسينية. نجد أن مبررات الثورة على الحكم الأموي كانت - في نظر البعض - متوفرة في عهد معاوية، وقد كان الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام هما الأكثر إدراكاً للواقع الاجتماعي والسياسي للمجتمع والقبائل المحيطة وما احتقن به الشارع من تداعيات خلفت وقائع الجمل وصفين والنهروان.

ولكن ثمة عوامل مهمة أدت إلى صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، وقعود الحسين عليه السلام عن الثورة عليه، منها أن رؤساء القبائل قد باعوا أنفسهم لمعاوية الذي كان يغريهم بالذهب والأموال الطائلة لتخليهم عن الحسن والالتحاق في معسكره، فكاتبوا معاوية واعدين بأن يسلموا الحسن حياً أو ميتاً!!

إضافة إلى أنه هناك شخصيات مهزوزة تميل مع المعسكر الغالب من دون الأخذ بجانب الحق والاهتداء بسيرة النبي وأهل بيته الطاهرين. كما أن مخلفات الحروب السابقة - الجمل وصفين والنهروان - قد أدت إلى ظهور جماعات تميل إلى السلم على حساب الظلم والاستعباد والذل لئلا تدخل في حرب قد تكلفها إلى دفع حياتها وحياة

أبنائها ثمناً لها.

كما أن الخوارج الذين حاربوا أمير المؤمنين عليه السلام كانوا متواجدين على الساحة في الوقت الذي ينتهزون الفرص للدخول في معسكر الحسن عليه السلام للنيل منه وتفريق صفه وإثارة الفتنة واغتيال الرموز والشخصيات الإسلامية التي قد تلعب دوراً في حسم القرار السياسي أبان تلك الفترة.

وثمة عوامل أخرى سياسية واجتماعية وعسكرية كقوة جيش معاوية وكثرة السلاح الموجود بين صفوفه والعناصر المراوغة والخادعة فيه أدت إلى صلح الإمام الحسن عليه السلام الذي أدرك أن الظروف النفسية في مجتمع العراق جعلت هذا المجتمع عاجزاً عن النهوض بتبعات القتال وانتزاع النصر، وإن الحرب سوف تكلفه استئصال المخلصين من أتباعه، بينما كانت الظروف ملائمة لمعاوية لانتزاع النصر الحاسم.

فصالح الإمام الحسن عليه السلام معاوية وفق شروط وضعها هو عليه السلام بنفسه ليكشف زيف الدعاية الأموية والشعارات الزائفة لمعاوية وأتباعه.

ونحن لسنا بصدد عرض تلك الشروط، حيث دونت في كثير من المصنفات التي تناولت المراحل التاريخية لتلك الفترة، إلا أن المهم لدينا هو أن الإمام الحسن عليه السلام قد أعد العدة في صلحه هذا لبناء مجتمع واع قادر على تحمل المسؤولية والقيام بالثورة ضد الطاغوت الأموي فيما بعد. وكان الإمام الحسين عليه السلام يسير جنباً إلى جنب مع أخيه الحسن عليه السلام لبث الروح الرسالية لدى الجماعات المقربة من بني هاشم والتي تسير على خطى أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وفي الوقت نفسه نرى أن الإمام الحسين عليه السلام كان مدركاً لسياسة معاوية وساخطاً عليها، ونراه بين الحين والآخر من خلال الكتب التي يبعثها إليه يذكره بالويل الذي أصاب المسلمين جراء سياساته التعسفية وسلوكه المنحرف.

فيقول في كتاب أرسله إلى معاوية يحذره على ذلك (وأما ما ذكرت أنه رقى إليك عني، فإنما رقاه إليك الملاقون، المشاؤون بالنميم، المفرقون بين الجمع، وكذب الغاوون. ما أردت لك حرباً، ولا عليك خلافاً وإني لأخشى الله في ترك ذلك منك ومن الأعذار فيه إليك، والى أوليائك القاسطين الملحدين، حزب الظلمة وأولياء الشيطان)

ثم يذكره باعتداءاته السافرة على رموز المسلمين فيقول:

(ألست القاتل حجر بن عدي أخا كندة وأصحابه المصلين العابدين، الذين كانوا ينكرون الظلم ويستفضعون البدع، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يخافون لومة لائم؟ ثم قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة ألا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم جرأة على الله واستخفافاً بعهده).

(أولست القاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله العبد الصالح، فقتلته بعد ما آمنته؟).

ثم يقول: (أو لست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية أنهم دين على علي صلوات الله عليه؟ فكتبت إليه أن اقتل كل من كان على دين علي، فقتلتهم، ومثل بهم بأمرك، ودين علي هو دين ابن عمه صلى الله عليه وآله الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلست مجلسك الذي أنت فيه).

ثم يذكره بنقض العهود والمواثيق، فيقول:

(ولقد نقضت عهدك بقتل هؤلاء النفر الذين قتلهم بعد الصلح والأيمان، والعهود والمواثيق، ولم تفعل ذلك إلا لذكرهم فضلنا، وتعظيمهم حقنا، وليس الله بناس لأخذك بالظنة، وقتلك أولياءه على التهم، ونفيك أولياءه من دورهم إلى دار الغربة)[1].

إلا أن السؤال الذي يدور في الأذهان، ما هو السر في قعود الحسين عليه السلام عن الثورة في عهد معاوية؟

لقد ذكرنا سابقاً بأن الوضع الاجتماعي في تلك الفترة ميّال إلى السلم والتعايش حيث أن الحروب التي نشبت بين الفئات المختلفة - أعني أصحاب معاوية وأصحاب الإمام علي عليه السلام - قد خلّفت مجتمعاً يحن إلى السلم والموادعة، فقد مرت عليهم خمس سنين وهم لا يضعون سلاحهم من حرب إلا ليشهروه في حرب أخرى. وهذا الشعور بدأ يظهر بوضوح في نهاية عهد الإمام علي عليه السلام وبداية إمامة الحسن عليه السلام.

كما أن شخصية معاوية المتميزة بالدهاء والمكر والمراوغة والأساليب الخداعة التي يتعامل بها مع الرعية والقيادات السياسية في الجيش لها الأثر الواضح في سير الأحداث السياسية، فلو ثار الإمام الحسين في عهد معاوية لما استطاع الإمام أن يسبغ على ثورته هذا الوهج الساطع والأهداف السامية التي قامت من أجلها، حتى ظن بعض الأعلام أن (الأسلوب الذي يتبعه معاوية في القضاء على ثورة الحسين عليه السلام - لو ثار في عهده - هو أنه كان يتخلص منه بالسم قبل أن يتمكن الحسين من الثورة)[2].

لقد كان معاوية خليقاً بأن ستغل في سبيل تشويه ثورة الحسين عليه السلام - لو ثار في عهده - الميثاق الذي كان نتيجة صلح الحسن عليه السلام مع معاوية، فلقد عرف عامة الناس أن الحسن والحسين عليهما السلام قد عاهدا معاوية على السكوت عنه والتسليم له مادام حياً[3].

لقد ثبت الإمام الحسين عليه السلام على هذا العهد والميثاق حتى بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام، فقد روى الكلبي والمدائني وغيرهما من أصحاب السير أنه (لما مات الحسن بن علي عليهما السلام تحركت الشيعة بالعراق، وكتبوا إلى الحسين في خلع معاوية والبيعة له، فامتنع عليهم، وذكر أن بينه وبين معاوية عهداً وعقداً، ولا يجوز له نقضه حتى تمضي المدة، فإذا مات معاوية نظر في ذلك)[4].

إذن، فلم يثر الحسين عليه السلام في عهد معاوية لأن المجتمع لم يكن مهيئاً للثورة، كما أوضحنا ذلك في صلح الحسن عليه السلام مع معاوية من قبل. أما بعد

وفاة معاوية وتولي ابنه يزيد من بعده، فقد اختلف الأمر، فلم يكن يزيد هذا يمتلك شيئاً من التروي، فقد كان أبعد الناس عن الحيطة والحذر، حيث كان إنساناً صغير العقل متهوراً سطحي التفكير[٥]. وقد وصفه المؤرخون بأنه (لا يهم بشيء إلا ركبه)[٦] لذلك فالأمر مختلف بالنسبة إلى زمن يزيد عنه في زمن معاوية، حيث انتهكت حرمات المسلمين على يد يزيد، وبدأ الفسوق والجور والظلم والطغيان يتفشى علناً ومن دون رادع، وعطلت الحدود ورفع الأمر بالمعروف وما إلى ذلك من أمور هزت كيان الأمة الإسلامية، مما جعل الإمام الحسين عليه السلام يثور مع جماعته الصغيرة العدد والقوية الإرادة بصبر عظيم وإيمان راسخ حاملاً لواء لا إله إلا الله ليبين أن الظلم والطغيان لابد أن ينتهي يوماً.

لقد بالغ بعض كبار المتكلمين باسم أهل السنة في النيل من أولئك العظماء الأشراف، ولعل من أشهرهم ابن تيمية الذي وصف نهضة سيد شباب أهل الجنة وسبط الرسول وريحانته بأنها فساد كبير، ولا يرضى بها الله ورسوله!! وكذا وصف نهضة بقية المهاجرين والأنصار في المدينة المنورة، ثم بالغ في إعذار يزيد في التصدي لهم وقتلهم جميعاً لأجل حفظ ملكه، ولم ينكر على يزيد إلا أنه أباح المدينة ثلاثة أيام[٧].

وما يتعلق في ذلك أيضاً، يعتبر ابن تيمية أن الرجل العظيم في العلم والدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يوم القيامة، أهل البيت وغيرهم، قد يحصل منه نوع من الاجتهاد مقروناً بالظن ونوع من الهوى الخفي، فيحصل بسبب ذلك ما لا ينبغي اتباعه فيه وإن كان من أولياء الله المتقين، ومثل هذا إذا وقع صار فتنة[٨].

والظاهر أن ابن تيمية قدم إمامة الفاجر والجاهل على غيره من الصحابة وأهل البيت عليهم السلام، ورفضها أولئك فأصبحوا في نظره - ونظر غيره من المتلبسين باسم الدين - خارجين عن جادة الطريق ومتبعين للظن والهوى الخفي!!

فأصبحت ثورة الحسين عليه السلام نبراساً ومنهاجاً للثائرين الذين أرادوا من خلال العمل الثوري ترسيخ دعائم الإسلام ونشر الوعي بين صفوف المسلمين ■

---

(١) راجع خطبة الإمام الحسين عليه السلام في: الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، ١/١٨٩-١٩٠، أعيان الشيعة، السيد محسن العاملي، ٤/ق١ ص١٤٣-١٤٦، الاحتجاج، الطبرسي، ١/٨٩، وما بعدها، وقد رواها الكشي في رجاله ١/٢٥٢ في ترجمة عمرو بن الحمق.

(٢) ثورة الحسين، محمد مهدي شمس الدين، ص١٢٠.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، ج٤ ص٨.

(٤) الإرشاد، الشيخ المفيد، ص٢٠٦، أعلام الورى، الطبرسي، ص٢٢٠، تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص٢٠٦.

(٥) ثورة الحسين عليه السلام، شمس الدين، ص١٢٩.

(٦) أنساب الأشراف، البلاذري، ٤/ق١/٢.

(٧) منهاج السنة، ابن تيمية، ٢/٢٤١-٢٤٣، ٢٥٣، الوصية الكبرى، ٥٤.

(٨) منهاج السنة، ابن تيمية، ٢/٢٤٥.

المخيم الحسيني

• سلمان هادي آل طعمة

خيمة القاسم بن الإمام الحسن عليه السلام

في الزاوية الجنوبية من سور كربلاء بناء مسور، له بابان، الأول رئيسي يطل على ساحة واسعة يفضي إلى موضع يقال له (المخيم الحسيني)، والثاني يقع في شارع فرعي. ويبعد هذا الموضع عن ضريح الإمام الحسين عليه السلام بمسافة تقدر بـ(٢٠٠) متراً.

حظي هذا المزار باحترام وتقديس الصالحين من عباد الله، والذاكرين من الزهاد، والمتعبدين من الزوار، يؤدون صلاتهم ويعقدون مجالس الوعظ والأذكار، مأخوذون بذكر الله والنبي صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام، لاسيما في شهري محرم وصفر. فمن الباحثين والمؤرخين من تحرى أخبار المخيم وتقصاها في عديد من المصادر.

جاء في كتاب (سفرنامه اديب الملك بعتبات) سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م وصف موجز للمخيم هذا تعريبه: وبالجملة فالمخيم يقع خارج باب القبلة ومن الصحن المطهر إلى المخيم أكثر من ١٠٠٠ قدم، ويقع في أرض منخفضة، وبني على شكل خيمة قلندرية[1] ومقابل هذا الجادر القلندري بني على طرفي المحمل حائط من الجص والطابوق، وعلى أطرافه بنيت الأطواق، وفي الزاوية اليمنى يقع الصحن. وهناك غرفة تعرف بـ(حجلة القاسم) وتحت المخيم وجد بئر مشهورة ببئر حضرة العباس عليه السلام، والناس يستخرجون الماء تيمناً وتبركاً يغسلون وجوههم ويلعنون قاتلي الحسين[2] عليه السلام.

أما كتاب (مدينة الحسين) فقد وصف المخيم بقوله: (في سنة ١١٥٤هـ زار كربلاء نادر شاه وخيم في معسكر في أطراف هذا الموضع عن طريق الحر ـ كربلاء، فسمي هذا الموضع فيما بعد بـ(خيمكاه نادري) ثم حذفت كلمة (نادري) وبقيت كلمة (خيمكاه) ثم عربت الكلمة إلى (المخيم) عام (١٢٤١هـ) على أثر نشوب ثورة المناخور. ويروي السيد محمد تقي الطباطبائي عن المرحوم السيد حسن الصدر أن مخيم الحسين عليه السلام كان قريباً من المستشفى الحسيني في كربلاء، ويغلب على الظن أن هذا

الواجهة الأمامية للمخيم الحسيني (المدخل الرئيس)

الموضع أقرب إلى الصواب)[٣].

إن بناء المخيم الحالي شيد في القرن الثالث عشر الهجري كما يستدل من المستندات القديمة المحفوظة عند بعض السادة في كربلاء التي تشير إلى أن هذه البقعة كانت تعرف بمحلة آل عيسى حتى أواخر سنة (١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م)، أما بعد هذا التاريخ فقد عرفت تلك البقعة بمحلة المخيم أو مقبرة المخيم وأصبح الناس يتبركون به[٤] والحقيقة التي لا جدال فيها أن المخيم كان يشغل مساحة أوسع من هذا المكان لاسيما يوم ورود الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء في الثاني من محرم الحرام سنة (٦١هـ).

وقد ذكر المخيم الرحالة أبو طالب خان في رحلته المسماة (مسير طالبي) أو رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوربة لدى زيارته كربلاء سنة (١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م) فيقول: وقد أريت أيضاً الموضع الذي نصب فيه الإمام زين العابدين خيمته يوم الوقيعة، وقد بنت الأميرة زوج النواب الأخير لكنو آصف الدولة مقاماً رائع البيان، وبدأت هذه الأميرة أيضاً في بعض نواحي كربلاء بإنشاء خان للمسافرين ولكن وفاة النواب اضطرتها إلى العدول عن ذلك[٥].

وقد ورد في كتاب (بغية النبلاء في تاريخ كربلاء) ما هذا نصه: (قد استوفى المؤلف الكلام عن جميع المواقع التي وردت على خارطة كربلاء خلا موقع المخيم لعدم توفر معلومات يمكن الوثوق إليها عن هذا المكان سنكتفي بما أورده أبو طالب الاصفهاني في رحلته الشهيرة (مسير طالبي)... الخ[٦]. وفي حاشية الكتاب المذكور قوله: (ألا وقد ورد في مدينة الحسين ج١ ص١٥ - حسب تحرياته الخاصة - أن السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض الذي شيد بناء المخيم عند تشييده لسور كربلاء بعد غارة الوهابيين سنة (١٢١٦هـ)[٧].

وجاء في مقال كتبه يوسف رزق الله غنيمة في مجلة (المقتطف) فقال: المخيم وهو واقع غربي المدينة وفيه ضرب الحسين أطناب خيامه، ونصبت أعمدتها يوم نزل سهل كربلاء يخطب ود العراقيين ليبايعوه الخلافة وقد بنى هناك أهل التقى جامعاً لطيفاً وأقاموا في داخله أعلاماً مشيدة بالآجر ومطلاة بالكلس الناصع البياض تمثل خيام الحسين عليه السلام، وأن ما يعجب من هذا البناء بابه المحفور حفراً لطيفاً على خشب فاخر، وحول الباب وفوقه نقوش بديعة زاهية من القاشاني ومنها كتابات من آيات قرآنية[٨].

وكتب العلامة الشيخ محمد الكرباسي الحائري عن المخيم فقال ما تعريبه: (المشهور بين ألسن المؤرخين أن عبد المؤمن دده في القرن العاشر الهجري جاء إلى كربلاء واتخذها موطناً وبنى غرفة في المحل المعروف بالخيمكاه وزرع بجنبها عدداً من النخيلات وعرف المكان ببستان دده.

وهذه العمارة الحالية شيدت في سنة ١٣٠٠هـ، وجاء في مدينة الحسين

ج٣ ص١٦١: (إن زوجة آصف الدولة الوزير الهندي بنى عمارة مقام السجاد عليه السلام في المخيم انتهى. وبستان دده حتى العام الماضي مع النخيلات كانت موجودة وقد حل محلها بناء مدرسة تابعة للدولة، ولا يرقى إليه الشك أن الخيمكاه كان في هذه البقعة معروفاً حيث أن الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام في اليوم الثاني من المحرم جاء إلى أرض كربلاء وجعجع به الحر بن يزيد الرياحي ومنعه من التحرك، وسأل الإمام عليه السلام ما اسم هذه الأرض قيل له كربلاء فقال الحسين عليه السلام ها هنا محط رحالنا ها هنا مناخ ركابنا كما جاء تفصيل ذلك في كتب المقاتل وأعطى الإمام عليه السلام دستوراً لوضع المخيم بحيث لا ترى أعين العيال والأطفال ميدان المعركة. وكان يفصل سوق وتل الزينبية بينه وبين المخيم، وأرضها مرتفعة وميدان المعركة كانت أرضه عالية)[٩].

إن هذا المقام كان ولا يزال يشغل حيزاً مرموقاً في وجدان محبي الإمام الحسين عليه السلام وزواره، وكل من اطلع على مجريات واقعة الطف، لابد أن يجد نفسه وهو في طريقه إلى المخيم الحسيني وكأنه يعيش تلك اللحظات من الزمن الذي مضى عليه ما يقارب الثلاثة عشر قرناً، فتقفز الدمعة من عين هذا المؤمن وهو يتمنى لو كان في الوقت الذي أريد له أن يكون في صف الحق فيفوز فوزاً عظيماً.

وعلى الباب الرئيسي للمخيم أبيات شعرية نقشت بالكاشي الكربلائي وهي للمرحوم السيد حسين العلوي المتوفى سنة (١٣٦٤هـ):

هذي خيام بني النبي محمد
بالطف حصناً شيدت للدين
قد خصها الباري لكل فضيلة
شرفاً فلا نبت لها بقرين
إن قلت مكة قلت هذي كربلا
فخراً سرت في عالم التكوين
سلها إذا شرفت في أعتابها
أين الحسين بعبرة وشجون
فتجبك ما قد ناله وأصابها
من بعده أعداؤه حرقوني

ولدى دخولنا من الباب الرئيسي وتجاوز العتبة، نكون قد دخلنا خيمة العباس عليه السلام وهي بناية دائرية الشكل، وعلى الجبهة العليا منها آيات قرآنية نقشت على الكاشي (بسم الله الرحمن الرحيم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه). وهذه الخيمة ترمز إلى مكانة أبي الفضل العباس عليه السلام من المخيم، فهو موقع عسكري يكون مقابلاً للطرف الآخر من الصراع. ثم نسير عدة خطوات حتى نمر بين عدة هوادج مبنية بالآجر والجص على شكل أقواس ترمز إلى مواقع هوادج أطفال الحسين عليه السلام وأهل بيته، وندخل بعد ذلك في طارمة مسقفة لا تتجاوز مساحتها ثلاثة أمتار، تقع على اليمين منها غرفة رئيس الخدم، وعلى اليسار منها يوجد مخزن لحفظ الأثاث. ثم ندخل الحرم وهو واسع نسبياً، ويكون على شكل دائري تزينه من الأعلى الفسيفساء، ويتوسطه اثنا عشر عموداً من الرخام، ويقع أمامه المحراب،

وكتب على جبهته الآية الكريمة: (بسم الله الرحمن الرحيم إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين) وتلت هذه الآية آيات أخرى مكتوبة على المرمر. اتخذ هذا المقام رمزاً لخيام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، ويتخذ اليوم كمصلى.

يحيط المقام جدار مبني على الطراز الإسلامي، أي أن الأقواس إسلامية، وكما دخلنا في تفاصيل المخيم من حيث البناء، نجد أن العناية فيه تكاد تكون في تواصل مستمر من أجل إظهار هذا الصرح بالمظهر اللائق، ويناسب ما ينسب إليه من مكان مشرف لمسكن الإمام الحسين عليه السلام وآله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

وفي الزاوية الجنوبية الغربية من مدخل المخيم توجد غرفة القاسم بن الحسن عليه السلام، وتعرف بـ(حجلة القاسم) وهي غرفة مسقفة تتقدمها طارمة مسقفة، وهذه الغرفة مزينة بالكاشي الكربلائي البديع والمرايا والمقرنصات، ويقع المحراب باتجاه القبلة، وتكسو جدرانه نقوش جميلة. وفوق الجدار نقشت بعض الآبيات الشعرية وهي:

يا زائراً خيم الحسين بكربلا
طف في جوانبها بدمع ساجم
فإذا وصلت لخيمة ضربت بها
في يوم عاشورا لعرس القاسم
لم أنسه لما هوى من مهره
والرأس مفلوق بحد الصارم[10]

هناك مخاطبات رسمية بين مديرية الأوقاف في كربلاء وبين رئيس خدم المخيم الحسيني، حيث خصصت هذه المديرية درجات وظيفية بعنوان (خادم) ودرجتان بعنوان (منظف) والعنوان الأول يجب أن يكون من عوائل الخدم، وظل المخيم يدار على هذه الشاكلة حتى الوقت الحاضر وفيما يلي ندرج أسماء من شغل وظيفة رئيس الخدم في المخيم، حسب تسلسلهم الزميني:

١- السيد سلطان السيد محمد السيد أحمد آل طعمة - وقد أطلقت العامة عليه لقب (خيمكة) لكونه يمارس الخدمة في هذا المكان المقدس، وأصبح لقباً له ولذويه من بعده. تولى شؤون المخيم الحسيني سنة (١٢٨٦هـ) المصادف ١٣ نيسان سنة (١٨٦٨م)، وتوفي سنة ١٩١٣م/ ١٣٣٢هـ، ودفن في رواق السيد إبراهيم المجاب في الروضة الحسينية.

٢- السيد صالح بن السيد سلطان آل طعمة - ولد سنة ١٨٨٠م/ ١٢٩٨هـ عين في المخيم سنة (١٩١٣م/ ١٣٢٢هـ)، وتوفي سنة (١٩٢٤م/ ١٣٤٣هـ).

٣- السيد عطية بن السيد صالح السيد سلطان آل طعمة - عين بموجب الأمر الصادر بتاريخ ٢٠/ ١/ ١٩٢٥م - ١٣٤٤هـ، حيث تنازل لأخيه السيد مهدي، ثم توفي ودفن في رواق السيد إبراهيم المجاب.

٤- السيد مهدي بن السيد صالح السيد سلطان آل طعمة - عين بموجب الأمر الصادر تاريخ ٢٠/ ١/ ١٩٢٥م - ١٣٤٤هـ ولحين تاريخ وفاته يوم ١٠/٢٣/

١٩٦٦م الموافق ٧ رجب سنة ١٣٨٦هـ ودفن تحت خيمة العباس عليه السلام في المخيم الحسيني.

٥- السيد هاشم السيد حسن السيد حسن السيد سلطان آل طعمة - عين بتاريخ (٧/ ١/ ١٩٦٧م - ١٣٨٧هـ) ولغاية وفاته بتاريخ ١٤/ ٩/ ١٩٩٥ - ١٤١٦هـ ودفن في الوادي الجديد.

٧- السيد صاحب السيد عبد الوهاب السيد حسن السيد حسين السيد سلطان آل طعمة: عين بعد وفاة عمه سنة ١٩٩٥م - ١٤١٦هـ حتى الوقت الحاضر.

أصحاب الغرامين:

١- السيد مهدي السيد صالح آل طعمة.

٢- السيد مصطفى السيد حسون آل زيني.

٣- الشيخ سلمان بن مهدي الفتوني.

٤- صبري بن محمد حسين.

الخدم الذين تولوا الخدمة في خيمة القاسم بن الحسن عليه السلام:

١- الشيخ على الفتوني.

٢- الشيخ سلمان الفتوني.

٣- الشيخ حسين الفتوني.

٤- الشيخ محمد صالح الفتوني.

٥- صبري محمد حسين.

ثم اندمجت خيمة القاسم مع المخيم، أما الذين تولوا إدارة المخيم فهم:

١- السيد يوسف السيد حسون آل زيني.

٢- السيد مصطفى السيد حسون آل زيني وفي سنة (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) تم هدم المخيم الحسيني من الأساس لغرض إعادة بنائه وتوسيعه، والعمل مازال جارياً حالياً ■

(١) القلندري: خيمة الدراويش والمتصوفة.

(٢) سفرنامة اديب الملك بعتبات (١٢٧٣هـ - ١٨٥٦م) ص١٥٦- ١٥٧.

(٣) مدينة الحسين، السيد محمد حسن الكليدار آل طعمة ج٢ ص٢٥.

(٤) مدينة الحسين ج٢ ص٢٣.

(٥) رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوربة ص٣٨٣.

(٦) بغية النبلاء في تاريخ كربلاء، السيد عبد الحسين الكليدار آل طعمة ص١١٠.

(٧) مدينة الحسين ج٢ ص٢٣.

(٨) مجلة المقتطف، يوليو ١٩١٩م ص١٨ مقال (خواطر في العراق)، بقلم: يوسف رزق الله غنيمة.

(٩) تاريخجه كربلا، للشيخ محمد الكلباسي الحائري (فارسي) ص١٤٧.

(١٠) ديوان الشيخ هادي الخفاجي الكربلائي ص٧١.

عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

أربعة آلاف ملك عند قبر الحسين عليه السلام شعث غبر يبكونه إلى يوم القيامة، رئيسهم ملك يقال له: منصور، فلا يزوره زائر إلا استقبلوه، ولا يودعه مودع إلا شيعوه، ولا يمرض إلا عادوه، ولا يموت إلا صلّوا على جنازته، واستغفروا له بعد موته.

كامل الزيارات ص:٢٣٢

قصيدة:

تحية لوطن الروح

د. خالد التميمي
مسقط/ سلطنة عمان

سلامٌ عليكَ إمامَ الهُدى ... إمامَ الأُباةِ وحصنِ الإبا
سلامٌ عليكَ وحبٌّ طغى ... ودمعٌ سخينٌ يثيرُ الجوى
إلى ابن البتولِ فخار النساء ... على العالمين، وأهل الكسا
إلى ابن عليٍّ صفي الرسول ... وسيفُ الإلهِ ورمزُ الفِدا
سلامٌ ومجدُك يا سيّدي ... بلوح القضاءِ كشمسِ الضُحى
بروحي فديتُكُ طفلاً حَبَا ... وكتفُ النَّبي له مُرتقى
يزاحم "جبريل" عند اللقا ... ويغشى الطهارة تحت الرِّدا
بعثت سلاماً مع الزائرين ... لأرضٍ تفوحُ بسرِّ السّما
كأني أشمُّ عبيراً زكا ... يجوزُ المسافات من كربلا
يَجُوسُ بروحيَ نورٌ سَمَا ... ويسمو بعقلي فوق المدى
تضوَّعَ ذِكرُك بالأصغرين ... فباحا ببعضِ خزينَ الولا
ولاءٌ لبيتٍ علا شَأنُهُ ... بما درَّ زمزَمُهُ والصَّفا
سلامٌ ومجدُكَ في الخالدين ... منارٌ، ومجدُ عداكَ العَفَا
سلامٌ عليك مع العائدين ... وعهدٌ يجدّدُ عَهْدَ الوَفَا
أُقَبِّلُ صَحْباً وما تلتقي ... عيونٌ وأيدٍ لمثوى الندّى
سَنرجعُ حَقّاً بوسط الجموع ... لنمحق ليلاً بفجرٍ دَنَا
ونجعَلُ طيناً بجُرف الفُرات ... خضاباً يُداف بدمعٍ جَرَى
أعودُ أُقَبّلُ ترب الحسين ... لعلّي أروّي لهيبَ الظما
وأسعى إليه كسعي الحجيج ... حسيراً إلى الحاسِرِ المُرتضى
لمثوى علي إمام الورى ... ورمل الغري وواد سما
فَعَدْلُ الإلهِ لنا مرتجى ... وعزمُ الكرام وأهلُ التُّقى

قصيدة:

الرأس المقطوع

شعر:
عبد نور داود

نافِضاً عَنْ تُرابِ عُمْري شَقائي ... قُمْتُ مِنْ كَرْبلا.. أنا أشلائي
جُثَث عَسْكَري وَراءَ رُؤوس ... وَقعتها الرماحُ... للإهداءِ
مِنْ عُبَيْدٍ والحامِلون عَبيدٌ ... يَقْطَعُون الأمامَ نَحْوَ الوَراءِ
لِيَزيدَ الذي سَيَأْتي إلينا ... أوْ عَلَيْنا مِنْ عِتْرَةِ الطُّلَقاءِ
دُونَ رَأسٍ أَتَيْتُ هُمْ قَطَعوه ... حَسِبُوا فيهِ يَقْطَعونَ وَلائي
قِيلَ فَخّاً مُلَغْماً كان رأْسي ... أبْطَلَتْهُ ذَبْحاً يَدُ الخبراء
قِيلَ كان الحَجّاجُ يَشْرَبُ فيهِ ... نَخْبَ سَيَّافِهِ على الأتقياءِ
فلماذا يَصيرُ رأسي... لَدَيْهِمْ ... مُتْحَفاً لِلرُؤوسِ والأعضاءِ
قِيلَ فِيهِ العراقُ أبْرَمَ حِلْفاً ... ومَعَ اللهِ لا مَعَ الحُلَقاءِ
قِيلَ بَلْ يا حُسَيْنُ رَأسُ حَبيبٍ ... كان عَنْ رُمْحِهِ تَرَجَل نائي
دارَ فَوْقَ الأعْناقِ يَطْلُبُ ثأراً ... ويُعِدُّ الأعْداءَ لِلأعداءِ
أَخذوهُ وأطْلَقوني سَجيناً ... أنا يا سَيّدي سجينُ ردائي
سَيّدي يا حُسَيْنُ تَذْكرُ وَجْهي ... أَيْنَ مِنْ مُقْلَتيَّ عَنْكَ اخْتِبائي
أنا ذاكَ العراقُ... ألْفُ إبائي ... أنتَ يا سَيّدي وصَرْحَهُ لائي
أينَ أمضي وحَرُّ سيفِك صَيْفي ... وفُراتي على خُدود شتائي
تنزفُ الشمْسُ مِنْ دِماكَ نهاري ... وَحِدادٌ عليك ثوبُ مَسائي
أينَ أمْضي وكربلا بِئْرُ دَمْعي ... وعُيوني للشاربين دلائي
كَوْثَرٌ مِنْ هُنا إلى اللهِ يَجْري ... أنا شَلّالُه... دَمُ الشُّهداءِ
مِنْ تُرابي تَبْني السماءُ سَماها ... وَهيَ فينا تقيم لا في البناءِ
في ترابي مَوْجُ السماءِ قِبابٌ ... ساكنٌ في خدودها أحيائي
بِتُرابي تَوضّأ الماءُ فَرْضاً ... وَبِكَفّيْ يُدَقُّ بابُ الدُعاءِ

منازل الزائرين

الخانات بين النجف وكربلاء

شواهد حية على عمق التواصل بين الحسين(ع) وشيعته

- استطلاع: حيدر الـجد
- تصوير: ضرغـام كمونة
إحسان الحكيم

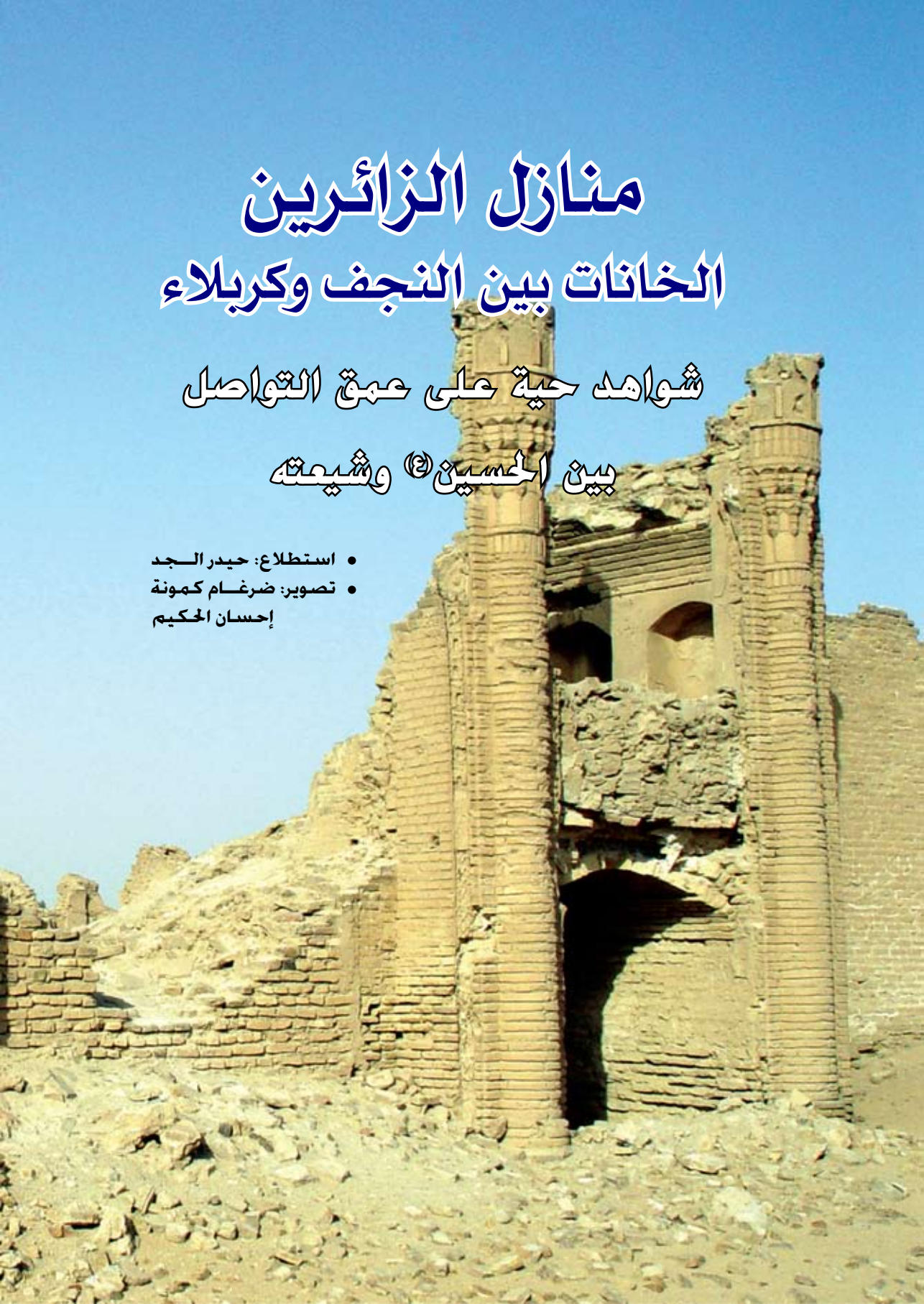

نظرة عامّة:

ما أن وضعت معركة الطف أوزارها، وتناقلت الركبان أخبارها حتى بدأت شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله تزحف نحو كربلاء من كل حدب وصوب وهم ينشدون باسم الحسين عليه السلام ويترنمون برثائه ورثاء أهل بيته عليهم السلام الذين جادوا بأنفسهم الزكية ودمائهم الطاهرة دفاعاً عن مبادئ الإسلام والتي أراد الأمويون القضاء عليها وإعادة الجاهلية كرّة أخرى.

وعندما نتصفح كتب التاريخ والسيرة والمقاتل نجد أن أربابها يتفقون مرة ويختلفون أخرى حول شخصية الزائر الأول لقبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام فتارة يذكرون جابر بن عبد الله الأنصاري وعطية العوفي اللذين وردا كربلاء أيام أربعين الإمام الحسين عليه السلام، ونكاد نجزم أن خلال هذه المدة (أي: الأربعين يوم بين استشهاده عليه السلام في العاشر من المحرم ويوم الأربعين، المصادف للعشرين من صفر) قد زار الحسين عليه السلام ثلة من شيعته ومن أهل بيته وتكفي الإشارة إلى ورود الإمام علي السجاد عليه السلام يوم الثالث عشر من المحرم لدفن تلك الأجساد المطهرة كي نعتبره عليه السلام الزائر الأول.

وعلى أية حال فلم تكن الرحلة إلى كربلاء بالسهلة الميسرة، بل إن مجرد التفكير فيها يولد تحسبات عدة للمخاطر الجمة التي يتعرض لها الزائر، وأول هذه المخاطر هو انتشار المسالح (جمع مسلحة وهي اليوم بمثابة السيطرة الأمنية بين المدن)، وكانت مهمة هذه المسالح، ضبط زائري الحسين عليه السلام وحجزهم، ثم اقتيادهم إلى دوائر السلطة الأموية الحاكمة.

وقلما ينجو أحد من شَرَطة المسالح، وتبدو هنا غاية الأمويين واضحة فهم يريدون قطع الطريق أمام الزوار الذين يتمثل لهم الحسين عليه السلام في كربلاء أنموذجاً مثالياً للثورة ضد الطغيان، ودماً يطلب من محبيه الأخذ بثاره.

وقد حثّ أئمة آل البيت عليهم السلام على زيارة الحسين عليه السلام وعبؤوا لهذا الأمر شيعتهم ومحبيهم تعبئة فكرية شاملة، حتى أفرد أرباب كتب الأدعية والزيارات باباً بعنوان (ثواب زيارة الحسين على خوف)، فعن ابن بكير قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: إني أنزل الأرجان[1]، وقلبي ينازعني إلى قبر أبيك، فإذا خرجت فقلبي وجل مشفق حتى أرجع خوفاً من السلطان والسعاة وأصحاب المسالح، فقال عليه السلام: يا ابن بكير، أما تحب أن يراك الله فينا خائفاً، أما تعلم أنه من خاف لخوفنا أظله الله في ظل عرشه، وكان محدثه الحسين عليه السلام تحت العرش، وآمنه الله من أفزاع يوم القيامة، يفزع الناس ولا يفزع، فإن فزع وقرّته الملائكة وسكّنت قلبه بالبشارة)[2].

وهذا الحديث يكشف عن مدى الصعوبات المعيقة المتعلقة بزيارة الحسين عليه السلام فما بالك بقصده عليه السلام بعد استشهاده، ويعطينا الشخص الذي كان بمعية جابر يوم وروده كربلاء بقوله: (...وكان جابر ومن معه من آل الرسول صلى الله عليه وآله، وجماعة من بني هاشم عند قبر الحسين عليه السلام وعندما لاح له سواد

منازل الزائرين (الخانات بين النجف وكربلاء)

قد طلع عليهم من بعيد من جهة الشام، قال لي جابر: انطلق إلى هذا السواد وأتنا بخبره، فإن كانوا من أصحاب عمر بن سعد فارجع إلينا لعلنا نلجأ إلى ملجأ..)[٣].

وهكذا كان ديدن الشيعة على مر العصور وما تعاقب على الحكم فيها من حكام متسلطين شنوا حرباً شعواء على نهج الحسين عليه السلام ومن سار عليه.

وعندما استتب الأمر لبني العباس زادوا في الكيل مقداراً ومقداراً، وكان البدء بما قام به هارون عندما قلع السدرة، التي كان يستظل بها الزائرون عند قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وعلى خطاه سار بنوه فالمتوكل الذي حرث أرض كربلاء وأجرى الماء لطمس معالم تلك القبور ولم يكتف بذلك بل أوعز إلى شرطة المسالح والعيون والجواسيس بتغريم من يجدوه في طريقه قاصداً كربلاء وكان المبلغ المأخوذ مبلغاً ضخماً. ومع ذلك تحدى محبوا الحسين عليه السلام وجاؤوا بما لديهم من غالي المتاع ونفيس المؤونة يدفعونه عوض التعطر بشذى القبر والأخذ من معاني البطولة والتزود بالدعوات والصلوات بما يريح النفس ويزيل الألم والهم.

ثم ارتأى المتوكل أن يجعلها غرامة جسدية وذلك بأن يقطع يد الزائر لعله يمتنع عن زيارته، فلم تنفع تلك المحاولة أيضاً، فقد أعطى الزائر يده اليمنى ثم أتى العام المقبل ليقول خذوا اليسرى!!

في العصور المتأخرة وما فيها من عسر ورخاء كان على الزائر أن يوطّن نفسه لتحمل المشاق غير المتعلقة بمشكلة موقف الدولة الحاكمة وسياستها اتجاه قضية الحسين عليه السلام، منها التعرض للسلب والنهب.. وحشة الطريق وعناء السفر.. السير ليلاً ونهاراً.. حراً وبرداً.. إضافة لخطر المواجهة مع الحيوانات المفترسة، خصوصاً وأن الزائرين قد يأتون من أماكن بعيدة يقصدون زيارة أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف وزيارة الحسين عليه السلام في كربلاء.

إذن لابد لهم من منازل بين هاتين المدينتين المقدستين، يأوون إليها ويرتاحون فيها. فكّر أصحاب الهمم العالية والأيادي السخية من علماء أعلام (قدست أرواحهم) ومحسنين كرام بالأمر ملياً، فقرروا إنشاء منازل حصينة مأمونة تكون وقفاً لأبي عبد الله عليه السلام ينزل بها الزائر ليجد المأوى والمأكل والمشرب إضافة لما يبتغيه من خدمات.

منازل ثلاثة، أو بالأصح كما يقال: خانات ثلاثة بين النجف وكربلاء (خان المُصلى، خان الحماد، خان النخيلة).

زرناها ووقفنا على معالمها، التي تركتها يد الزمن أطلالاً، وصيرتها بعد العمران بلاقعاً، إلا ما أدركتها حصيلة الترميم أو تلك التي صمدت بوجه العاتيات.

لنقف معاً في هذا العدد الخاص نقلّب صفحات الماضي بما يخصها وهي جديرة بالاهتمام والاحترام كيف لا وقد آوت زائري الحسين عليه السلام.

مصطلح الخان:

الخان هو حانوت أو محل نزول المسافرين، وقال في المنجد (الخان)

كلمة دخيلة أعجمية أدخلت في كلام العرب والجمع خانات[٤] أما ابن منظور فيقول يعني بكلمة الخان الحانوت أو صاحب الحانوت وهو أي الخان فارسي معرّب[٥] وبالرغم من أعجمية كلمة الخان إلا أن لها تاريخ موغل في القدم في استعمالات العرب وعند تصفحنا لبعض الكتب نجد أنها وردت في كتاب الطبري وغيره من مؤرخي تلك الفترات ولعل استعمالها أبعد من ذلك بكثير إذ أن الطبري يوردها دون تفسير لمعناها، وهذا يدل على أن المتلقي يعرف بديهياً معنى الخان دونما تعريف لهذه الكلمة، وحتى عند الإنكليز (Inn) وهو يعني الفندق أو المنزل الذي يأوي إليه المسافرون.

انتشار الخانات:

بما أن الخان كان يعد بمثابة الفندق اليوم، فقد ازدحمت المدن بالخانات التي تأوي المسافرين وتوفر لهم وسائل الراحة وخصوصاً في الحواضر الإسلامية فضلاً عن انتشارها في الطرق المؤدية إلى هذه الحواضر وغيرها من المدن الإسلامية.

هناك رأيان فيما يخص الطريق بين كربلاء والنجف:

الرأي الأول: أن الخانات المنتشرة والتي أشرنا إليها آنفاً هي مرتبة وفق حاجة المسافرين بصورة عامة دونما الأخذ بنظر الاعتبار اختصاصها بزائري المدينتين المقدستين دون غيرهما، وعليه فالزائر يأوي إليها أي الخانات مثلها مثل الفنادق اليوم التي ينزل بها الزائر، وهكذا حتى الوصول إلى النجف أو كربلاء.

الرأي الثاني: يقول إن هناك سلسلة من الخانات الموقوفة خاصة لزوار العتبات المقدسة ففي صحيفة (الأهالي) نشر بحث (خان النص) وفيه يقول الكاتب (وجدت أن هناك ٩٩ خان تمتد من طهران إلى النجف ثم خانات ثلاث تتصل بكربلاء) على أنني شاهدت وفي الطريق إلى خراسان، حيث مشهد الإمام الرضا عليه السلام خاناً شبيهاً بخان النص (خان الحماد) وعندما سألت عنه هناك، قيل

الشكل النموذجي للإيوان (خان النخيلة)

إيوان يقع في منتصف كل جانب من جوانب الخان

لي إنه خان يأوي قاصدي الإمام الرضا عليه السلام.

هناك خبر يقول إن الخانات ممتدة من مدينة البصرة مروراً بالديوانية ووصولاً إلى النجف ثم كربلاء، وإلى الإسكندرية ثم بغداد إلى خان بني سعد، ومنه باتجاه الأراضي الإيرانية، وما يؤكد هذا الخبر كثرة الزوار الإيرانيين الذين يقصدون العتبات المقدسة في العراق والذين لابد لهم من مأوى، الذي يستريحون فيه من عناء الطريق استعداداً لرحلة جديدة، تواصل الدرب باتجاه كربلاء الحسين عليه السلام.

طريق النجف ـ كربلاء:

لم يشهد طريق حدثنا به التاريخ حركة مستمرة مثلما شهده طريق النجف ـ كربلاء الذي ازدحم بالزائرين، فهم يتنقلون بين وادي السلام حيث حامي الحمى وصي المصطفى صلى الله عليه وآله، ووادي الطفوف، كربلاء الشهادة والبطولة والتضحية عموماً فقد كان استخدام هذا الطريق يتم بواسطتين:

أولهما: الدواب (قبل ظهور وسائل النقل السريعة).

ثانيهما: المشي على الأقدام، وكان لهذا الاستخدام وقعاً خاصاً بالنفوس حتى أصبحت هذه الحالة من مراسم زيارة الأربعين والتي من خلالها تزحف الناس نحو كربلاء المقدسة، كما أن المشي على الأقدام له من الفضل ما لم يتمتع به غيره، فعن الحسين بن ثوير بن أبي فاختة قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: (يا حسين من خرج من منزله يريد زيارة قبر الحسين بن علي عليهما السلام، إن كان ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحا عنه سيئة، حتى إذا صار في الحائر كتبه الله من المفلحين المنجحين، حتى إذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين، حتى إذا أراد الانصراف أتاه ملك فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله يقرؤك السلام ويقول لك: استأنف العمل فقد غُفر لك ما مضى)[٦].

وبناءً على هذا الحديث كان علماؤنا الأعلام ولازالوا يحثون شيعة آل محمد على التمسك بالمشي على الأقدام، ففي كتاب (قصص وخواطر ص:٢٥٧) ينقل الشيخ المهتدي أن آية الله العظمى السيد محمد مهدي بحر العلوم المتوفى سنة ١٣١٢هـ كان قد سافر من النجف إلى كربلاء مشياً على الأقدام وكان معه جمع من الأدباء والعلماء، فلما وصلوا إلى أحد منازل الطريق استراحوا ساعة من التعب، ثم أرادوا مواصلة المسير لضيق وقت الزيارة فلم يتمكن السيد

بحر العلوم من مواصلة الدرب لضعفه ونحافة جسمه، فتمثل ببيت الشعر:

صار لي من فرط ضعفي
وطـــن في كل وادي
ودموعي صيرت لي
بقعة في كل نادي

كذلك فقد حثّ الشيخ النوري صاحب (مستدرك الوسائل) على زيارة سيد الشهداء عليه السلام مشياً على الأقدام، ففي سنة ١٣١٩هـ كان يكتري بعض الدواب لحمل الأثقال والأمتعة، ويمشي هو وصحبه لكنه لضعف مزاجه لا يستطيع قطع المسافة من النجف إلى كربلاء بمبيت ليلة كما هو المرسوم عند أهله، بل يقضي ثلاث يبيت الأولى في خان المصلى، والثانية في خان النصف، والثالثة في خان النخيلة فيصل إلى كربلاء في الرابعة، وكان هذا الأمر من سنن الأخيار وأعظم الشعائر.

عموماً يمكن القول (إن السفر إلى كربلاء من النجف يستغرق ثلاث ليال سواءً كان مشياً على الأقدام أو ركوب العربات التي تجرها الخيول أو امتطاء الحيوانات)[٧].

كما كانت العادة المتبعة عند مجيء شخصية مرموقة من كربلاء إلى النجف خروج أهالي المدينة لاستقبالها، وكان يتقدمهم العلماء والأعيان، فيكون أحد الخانات الثلاث مركزاً للاستقبال، وهذا الأمر ينطبق عند تشييع جثمان عالم من العلماء، حيث تستقبله الناس في خان من الخانات، كما شهد هذا الطريق أحداثاً دامية، ففي شهر صفر من عام ١٣٩٧هـ أعلنت الحكومة آنذاك منع المسير إلى كربلاء لحجج واهية، وكان هدفها الرئيس هو القضاء على هذه الشعيرة التي تضفي على نفوس الجماهير الحماس والاستمرار على نهج الحسين عليه السلام، ولم يثن هذا الأمر عزم الموالين بل خرجوا من النجف وهم متسلحون بحب الحسين عليه السلام وساروا في هذا الطريق يرددون هتافات الحب الأبدي، والعهد الأزلي معه عليه السلام: (لو قطعوا أرجلنا واليدين، نأتيك زحفاً سيدي يا حسين)، (أبد والله ما ننسى حسيناه).

وهكذا سارت المسيرة السلمية وانقضت ليلتها الأولى في خان المصلى، ثم واصلت الدرب صباحاً وكان خان النصف محطتهم الثانية، وفيه علموا أن الحكومة سوف لن تمرر هذا التحدي بسلام، بل ستقتص منهم، وهكذا واصلوا المسير. وفي خان النخيلة واجهتهم القوات المسلحة بذخائرها وطائراتها وكأنها تواجه جيشاً عرمرماً متناسية أنهم فئات متنوعة من الشعب بين الشاب والشيخ والطفل، نساءً ورجالاً، فاحتدمت المواجهة، ومع ذلك فقد سجّل الأحرار العزّل انتصارات محدودة، وفي نهاية الأمر فقد استطاع الجيش إلقاء القبض على من بقي منهم في حين واصل بعضهم الطريق بين البساتين حتى دخل كربلاء، وقد أعدم على إثرها ثلة من الشهداء السعداء، نذكر منهم: السيد وهاب الطالقاني، محمد البلاغي، جاسم الإيرواني، نجاح المشهدي، غازي خوير، عباس عجينة، صاحب أبو كلل... وغيرهم. فسلام

منازل الزائرين (الخانات بين النجف وكربلاء)

بقايا الأواوين المطلة على ساحة خان الربع كما تظهر دكة الصلاة

عليهم يوم ولدوا ويوم استشهدوا ويوم يبعثوا أحياءً.

ولما حاز هذا الطريق مثل هذه الحركة النشيطة والفضل الجسيم فقد استقرت الفكرة على بناء منازل فيه وكما ذكرنا، وتشير الدراسات التاريخية إلى أن أول الخانات كان يدعى بـ(خان جذعان)، وهو يقع إلى الشرق من خان المُصلى على يسار الذاهب من النجف إلى كربلاء، ذكره الرحالة (الوالموسيل) عام ١٩١٢م وأشار إليه بقوله: (تقع في شرق خان المُصلى قلعة درويش، وهو موقع غير بعيد عن خان جذعان وتليل الذيب)[٨].

والظاهر أن خان جذعان كان وحده بين المدينتين، (عندما بنيت الخانات الثلاثة هُجر، وقد زحفت إليه رمال الصحراء فصار رابية)[٩].

وقد زرناه فلم نلحظ أي أثر دال عليه سوى تل ترابي، بل لم نستدل حتى على أطلال باقية اليوم، وأما استدلالنا عليه فقد تم عن طريق مزارع يعمل بالقرب منه أكد لنا موقعه والذي رآه مثبتاً في دائرة الزراعة، يقع بالقرب من المشتل الخاص بشركة صناعة الإطارات.

وجذعان هو عبد مملوك لأمير هندي يدعى (الراجا) كان قد بعثه في تجارة له في العراق و(الراجا) هذا معروف بولائه لآل البيت عليهم السلام كما أن عبده جذعان أيضاً من الموالين وعندما حصل جذعان على مبلغ ضخم من تجارته زار كربلاء ثم النجف، ولما رأى بُعد الطريق وحاجة المسافر للراحة، فكر ملياً في الأمر وعزم على بناء خان أثناء الطريق وكان له ما أراد، ثم بنى في صحن الإمام الحسين عليه السلام منارة مشهورة تدعى (منارة العبد) والتي اندرست معالمها هي الأخرى. وقد أثبتنا صورتها في مجلتنا في العدد الرابع على الغلاف الخلفي.

تاريخ الخانات وواقع اليوم:

اختلفت الآراء حول إنشاء هذه الخانات، وإن أردنا التوغل فيها والوقوف على واقعها فلابد من معرفة

كل خان على حدة، وعليه فسوف نبدأ بخان المُصلى (الربع).

خان المُصلى (الربع):

يبعد (خان المُصلى) عن مركز مدينة النجف الأشرف بمسافة اثني عشر ميلاً، حسب تحديد الرحالة (ليدي دراور)[١٠] كما حدده الطريحي بقوله: (خان المُصلى الذي يبعد عن النجف عشرين كيلومتراً)[١١]، ويقع على يمين الذاهب من النجف إلى كربلاء أما تاريخ بنائه ففيه أقوال، فقد أشار الدكتور حسن الحكيم بقوله: (وقد تولى بناءه الحاج حسن بن الحاج أحمد مرزه المتوفى عام (١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م)، وكان بدء البناء عام (١٣٠٤هـ) أي قبل وفاته بعام واحد، وقد خصص ثلث أمواله لبناء الخان، فقد بلغت تكاليفه (اثنتا عشر ألف ليرة ذهبية) عدا ثمن الأرض المحيطة بالخان على أساس تحويلها إلى مزارع لتأمين حاجة الساكنين هناك، وإطعام المسافرين من خضارها)[١٢].

أما الطريحي فيقول (خان المُصلى) بناه الحاج محمد حسين خان الأصفهاني ثم جدد بناءه الحاج حسن مرزه، والحاج محمد حسين كان مقرّباً من ملوك القاجارية في إيران بل كان يشغل الصدارة لفتح علي شاه، ومن جملة أعماله إتمام بناء السور الخامس الذي يحيط بمدينة النجف القديمة، فقد جعله على هيئة أسد رابض (يطوق المدينة)[١٣] وفاتنا أن نشير إلى أن الحاج محمد حسين خان الأصفهاني توفي سنة (١٢٣٩هـ /١٨٢٤م).

وهناك رأي آخر:

في سنة (١٢٥٨هـ) سار والي بغداد آنذاك (نجيب باشا) إلى النجف، وبعد أن أوقع بأهل كربلاء بلغه تمرد أهل النجف أيضاً فسار إليهم فلما كان على فراسخ منها، حط رحله وصلى، وفي هذا الموضع بنى خان وعرف بـ(خان المُصلى) حتى اليوم، وتمت بعد ذلك المصالحة بينه وبين أهل النجف[١٤].

وفي الواقع أن خان المُصلى كان مكوناً من مجموعة خانات وبيوت متداخلة حيث يذكر تقرير عسكري

جانب من محلات تقع في الواجهة الأمامية الشرقية للخان

آثار الموقد الذي يتم فيه إعداد الطعام

أعدته رئاسة الأركان البريطانية في سنة (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م): (...أما منزل خان المُصلى فكانت فيه ثلاثة خانات وستة مقاهي دون بيوت)[١٥].

وعليه يمكن القول: إن أحد الخانات الثلاثة كان قد بناها الحاج محمد حسين خان الأصفهاني، والآخر بناه الحاج حسن مرزه، والثالث لا نعرف من بناه. فقد يكون نجيب باشا - حسب النص المتصدر أعلاه - وقد يكون بناؤه من قبل الحاج حسن مرزه، وهذا ما أكده الأسدي عند عرضه خبر (نجيب باشا) المتقدم، فقد ذكر مهمشاً على عبارة: (...في ذلك الموضع الذي صلى فيه الوالي بني الخان الذي عرف بخان المُصلى حتى اليوم...) فيقول: (إن باني هذا الخان هو الحاج حسن بن الحاج أحمد بن مرزه الأسدي)[١٦].

وقد أشار السيد جعفر الحلي إلى بناء (خان المُصلى) بقوله مؤرخاً:

من جاء نحو المُصلى خائفاً أمنا
وفيه راحة من بالسير نال عنا
فانزل على الرحب في خان له شرف
واعقل بساحته الانضاء والمزنا
وكيف يزعج خوفاً من يبيت به
وقد توسط بين السادة الأمنا
من كربلاء ومن أرض الغري غدت
تزجي الركائب حدواً من هنا وهنا
لقد بناه ابتغاء الأجر ذو نسك
له الإله قصوراً في الجنان بنا
يا زائر السبط مهما بثثت دعا
أرّخ (بحق حسينٍ اذكر الحسنا)[١٧]

وفي البيت الأخير بعد كلمة أرخ يذكر تاريخ البناء سنة (١٣٠٩هـ) كما يطلب السيد الحلي من زائري الحسين عليه السلام أن يذكروا الحاج حسن ويدعوا له لهذا العمل الصالح.

إن أول بناية للخان كانت في العقد الثالث أو الرابع من القرن الثاني عشر في حياة الحاج محمد حسين خان ثم قام المرحوم الحاج حسن مرزه بترميم هذا الخان ثم بنى خاناً ألحقه به واليوم يطلق على الخانين معاً خان المُصلى (خان الربع).

وصف خان المُصلى قديماً:

في عام ١٨٩٠م زار الخان الرحالة (جون بيترز) والظاهر أنه وصل في وقت ترميم وبناء الخان، أما من وصفه فكان السائح (الواموسيل) بقوله: (وهو بناء مستطيل، تحيط به جدران عالية من الآجر، ويدعم كل جدار في وسط برج نصف دائري، وينفتح الباب على

الشرق، وقد بنيت أروقته على أضداد جدران باحته)[١٨].

كما وصفه الدكتور حسن الحكيم في بحثه (خان المصلى لوحة تاريخية من العهد العثماني الأخير) فقد زار الخان يوم الخميس ١٤ رجب ١٤١٩هـ ووقف على آثاره.

رحلتنا إلى خان المُصلى:

في صبيحة يوم السبت المصادف للرابع عشر من شهر ذي القعدة عام (١٤٢٦هـ) المصادف ٢٠٠٥/١٢/١٧م اتجهنا في طريق النجف ـ كربلاء ثم أخذنا جادة فرعية ذات طريق غير معبد، تمر خلال مزرعة، وفي نهاية المزرعة يوجد طريق ترابي عريض بمحاذته يقع السور الجنوبي للخان، ثم أكملنا طريقنا الفرعي واتجهنا يساراً وإذا بالواجهة الأمامية للخان من الجهة الشرقية تطالعنا مع ثلة من الأطلال والآثار هنا وهناك منها ما استطعنا تمييزها، إذ تبدو محلات وهي عبارة عن أواوين معقودة بالطابوق، كانت تزود المسافرين بالغذاء والاحتياجات الأخرى إضافة لمرابط الخيل والدواب.

كما ميزنا المطبخ وهو الكفيل بتقديم وجبات الطعام على المسافرين من المدخل الرئيسي ويبدو فيه الموقد القديم وفتحة التهوية المتصلة من أعلى الموقد إلى السقف ولازالت آثار الموقد ماثلة للعيان، كما شاهدنا عدة قبور متناثرة في واجهة الخان وعندما سألنا عنها أحد السكان أخبرنا: (أن العوائل الساكنة هنا عندما يموت لهم طفل يدفنونه عند هذا الخان وأما القبر القريب من باب الخان فهو للسيد مهدي الذبحاوي والذي يرتفع عليه علماً أبيض يميزه عن غيره من القبور).

كما توجد في الواجهة الأمامية مدرسة ابتدائية مشيدة حديثاً تدعى (مدرسة القسطل)، أما بوابة الخان الرئيسية فتبدو مهدمة عدا جانبها الأيمن، وهو عبارة عن دعامة جدارية مبنية بالطابوق يتخللها إيوان صغير بارتفاع لا يتجاوز المتر والنصف، وأما الجانب الأيسر الذي يماثل الجانب الأيمن فقد أزيل تماماً بينما كان قائماً عندما زاره الدكتور حسن الحكيم قبل ثمان سنين، وهذا الإيوان يسنده عمودان معقودان بالآجر ويرتفعان عن مستوى السور قليلاً ولا يخلوان من الجمالية المعمارية حيث يظهر عليهما اللمسات الفنية وملامح العمارة في العصر العثماني.

دخلنا إلى الخان وكما أشرنا فهو عبارة عن خانين الواحد تلو الآخر ولكنهما يظهران من الخارج كقطعة واحدة يضمه سور من جميع جهاته، أما الخان الأول فلم يبق منه سوى بعض الأواوين المتناثرة هنا وهناك، كما يبدو في وسطه بئر كان يُستقى منه، عموماً يمكن القول أن كلا الخانين متصدعان جراء احتلاله من قبل جيش النظام المقبور عقيب الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م، فقد نُقل لنا أن الجيش جعل يهدم من البناء القائم ليأخذ الطابوق فيستفاد منه في بناء بعض ما يحتاج إليه معسكره، كما تجدر الإشارة إلى ما وجدنا من مخلفات أسلحة مثل الشظايا

منازل الزائرين (الخانات بين النجف وكربلاء)

المتطايرة وبقايا الطلقات المتصدئة، ومما أثار إعجابي أن موقعاً على شبكة الإنترنت يظهر أسماء السجون في العراق أيام العهد البائد، فيذكر معتقل (خان المُصلى) ولا ندري هل هو معتقل سري أم يقع في منطقة (خان المُصلى) والأمر نفسه بالنسبة لـ(خان النخيلة) حيث يظهر اسم معتقل (خان النخيلة).

على أية حال عندما دخلنا إلى الخان الآخر وجدنا أغلب آثاره واضحة للعيان وأفضل من الخان السابق والظاهر أن هذا الخان هو الأحدث حيث تظهر بعض الأواوين بصورة جيدة تبلغ مساحة الخانين معاً عشرة دونمات وأربعة أولك[١٩].

وفاتنا أن نقول: إن المدخل إلى الخان الثاني يقابل المدخل الرئيس، يحيط بالخان الثاني أواوين واسعة، يتخللها إيوان كبير نصف دائري على الجهات الأربع، كما نلاحظ أبراجاً أربعة عند كل زاوية من زوايا السور المحيط بالخان.

تبدو بعض الأواوين بحالة سليمة، فيما يتعلق بالأواوين الواقعة على الجهة الشرقية، نلاحظ أن الإيوان ينقسم نصفين قسم يطل على ساحة الخان القديم (الأول) وقسم يطل وجهه على ساحة الخان الحديث (الثاني)، أما الأواوين الواقعة على الجهات الثلاثة الأخرى فهي تقابل ساحة الخان، وفي ظهرها تماماً تظهر أروقة معقودة بالآجر على هيئة قباب معمولة بطريقة متقنة تنبئ عن مهارة البناء وحذاقته ورفعة الذوق الفني لديه، وقد سقفت هذه الأروقة لغرض حماية المسافرين من الأمطار والحر والبرد، وغالباً ما يكون البناء على هذه الشاكلة

يتوسط البئر والسلالم المؤدية إليه بين دكتي الصلاة

في الصيف يضفي جواً بارداً على من يستظل به، فينتهي كل رواق بساباط معقود على هيئة قبة أيضاً، كما ينتهي كل ساباط بزاوية (طاق) معقود بطريقة هندسية وله مدخلان، أما الأرضية فهي بأبعاد (٥، ١×١م)، كذلك لاحظنا أن الأواوين المطلة على ساحة الخان يفصل بينهما حائط سميك بعرض متر واحد وفي أعلاه يتزايد سمكه ويتداخل مع الآخر، لأن الأواوين مقوسة، كما يوجد على كل حائط محمل خشبي،

والظاهر أن هذا المحمل كان للمشعل الذي يضيء الخان ليلاً.

لم نستطع إحصاء عدد الأواوين المطلة على ساحة الخان، وذلك لزوال أغلب معالمها، ولكن يمكن القول: إن في كل جهة توجد تسعة أواوين، يتوسط تلك التسعة إيوان كبير متميز، تبلغ عرض واجهته (٧، ٤م) وتكون أرضيته دائرية على هيئة نصف دائرة وهو يكون مكشوفاً غير مسقف، أما الإيوان الاعتيادي فتبلغ واجهته (٣م) وتكون أرضيته مستطيلة، كما توجد في ساحة الخان دكتان كبيرتان متقابلتان يبلغ عرض الواحدة منهما (١٠م) وبطول مقداره (٢٥م)، وترتفع عن الأرض بمقدار متر، مفروشة بالطابوق المربع (الفرشي) والظاهر أنهما بمثابة المسجد، لأن أكوام التراب والطابوق الموجودة على جهة القبلة تنبئ عن وجود محراب، ويفصل بين هذين الدكتين بئر تبدو فوهته الدائرية مكشوفة، وقد بني إلى عمق مناسب بالآجر المرصوف بطريقة هندسية فنية، والبئر يتم النزول إليه بواسطة سلم يحتوي على اثنتي عشرة درجة مرصوفة بالآجر أيضاً.

بعد أن انتهينا من وصف الخان بقي شيء يجب أن ننوه له وهو: أن هذه الخانات كانت ولازالت وقفاً خالصاً للحسين عليه السلام، وعليه فلا يجوز أخذ حجر أو مدر منها، وقد نقل لنا أن بعض

منظر جوي للخانات الخمس (خان النص) الأول: المدخل الرئيس للخانات. الثاني: أقدم الخانات. الثالث: أحدث الخانات. الرابع والخامس: درجة العمران فيهما متوسطة

تداخل الخانات بعضها ببعض وتظهر قباب تعلو الأواوين

الأعراب أخذوا من أحجاره لبناء مكان إقامة لهم مما كان عليهم من وبال الأمر ما دمر معاشهم ودوابهم.

خان الحماد (النصف):

ويطلق عليه تارة خان النص (أي النصف باللهجة الشعبية العراقية)، وأخرى (الحماد) والحماد تعني بلغة أهل الريف والبادية: الصحراء، أما كلمة (النص) فقد أطلقت عليه لأنه يتوسط الخانات ويتوسط الطريق بين كربلاء والنجف.

يبعد خان النص عن النجف الأشرف ما يقارب الأربعة والأربعين كيلومتراً، وعن خان المُصلى اثنين وعشرين كيلومتراً، وبهذا يكون فعلاً في منتصف الطريق.

الظاهر أن خان النص هو أقدم الخانات بناءً، فهو أقدم من خان المُصلى باعتبار وجود خان جذعان الأقرب إلى خان المُصلى، وعليه فإن الذي يمر في خان جذعان وينزل فيه لا يتوجب عليه النزول في خان المُصلى باعتباره قريباً منه، إذن لابد من قطع مسافة أبعد، فيكون خان الحماد المنزل المناسب للزائرين.

أما تاريخ أول بناء له، فهناك بعض الإشارات التاريخية تدل عليه، وسوف ندرجها كالتالي:

١- أنشأ الخان في عهد الوالي العثماني المحتل سليمان في عام (١٧٧٤م - ١١٨٩هـ) كمحطة استراحة لزوار العتبات المقدسة، ولقد كان يعتبر محطة استراتيجية يربط الشام بإيران[٢١].

٢- ذكر السيد محسن الأمين في ترجمة الشيخ مسلم بن عقيل الجصاني المتوفى سنة (١٢٣٠هـ)، وذلك عند عرضه لأشعاره (وله مؤرخاً عام بناء الخان الذي أمر ببنائه السيد المذكور في طريق زوار الحسين عليه السلام) والمذكور هو سيد الطائفة السيد محمد مهدي بحر العلوم قدس سره:

لله في الخانات خان السيد
بهر العقول فمثله لم يوجد
خان يفوق على الخورنق في البنا
مذ فاق صاحبه الورى بالسؤدد
سوّاه سيدنا الذي هو في الورى
بعد الأئمة خير ولد محمد

ثم يستطرد في ذكر صفات السيد قدس سره وفضائله إلى أن يقول:

فالصرح فاق وراق وهو ممرّد
والخان راق وفاق غير ممرّد
حجراته الغُرفات إلا أن من
قد حل فيه كان غير مخلّد
للزائرين أعده ابن المرتضى الـ
ـمهدي أبقاه القديم السرمدي

أحسن بخان كله الحسنات ما
عملت رئاء في بنـــاه من يد
هذا هو القصر المشيد ظلاله
مُدت بـرأي موفــق ومســـدد
فلذاك أعرب عن بنـــاه مؤرخ
(كنف حمى الزوار خان السيد)[٢٢]

وعند حسـابنا لمادة التاريخ الشعري نجدهـا تسـاوي (١٢٠٠هـ)، أي قبل وفاة السيد بحر العلوم باثنتي عشرة سنة.

ورب قائل يقول: إن هذا الشـعر ليس فيه أدنى إشارة إلى خان النص (الحماد)، فقـد يكـون هـذا البناء فـي موقع خان المُصلـى أو موقع خـان النخيلة، ونجيب بأن القرينـة التاريخية تسـتلزم بناءه في هذا المكان وذلك للأسباب التالية:

أ ـ من خلال الدراسات التاريخية فإن خـان المُصلى كان أقدم بناء له في عهد الحاج محمد حسـين الأصفهاني المتوفى سنة (١٢٣٩هـ).

ب ـ فـي تقريـر عسـكري سـري ومكتـوم أعدتـه رئاسـة الأركان البريطانيـة العامـة فـي سـنة (١٣٢٩هـ ـ١٩١١م) مفاده: (وكان منزل خان الحماد يتألف من عشرة خانات ومائة بيت وعدد من الآبار التي يصلح ماؤها للشرب)[٢٣].

واليـوم ومن خلال زيارتنـا للخان لم نجد سوى خمسـة خانات ولعل أحد هذه الخانـات وهو الذي رأينا فعلاً لم تبق منه سـوى آثار وأطلال هو الخـان الذي بناه السيد بحر العلوم.

كما يدل الشـعر على أن الخان الذي بنـاه هو من بين مجموعـة خانات بقوله: (للّه فـي الخانـات خـان السـيد)، إلا أن الخان الذي بناه السيد بحر العلوم قد فاق على مثيلاته من الخانات.

ج ـ موقع خان النص هو الأفضل لبناء خان فيـه وذلك لأن موقع خـان المُصلى يقع بالقرب منه خان جذعان، وهو يغني عن خان المُصلى، أما موقع خان النخيلة فهـو الأقرب إلى كربـلاء أي أن الزائر يكـون محتاجـاً للخـان في موقـع خان النص أكثر من غيره من المواقع.

٣ـ أورد السـيد محسـن الأمين أيضاً فـي ذكـر السـيد مهـدي الحلـي (عـم الشاعر السيد حيدر الحلي) المتوفى سنة (١٢٨٧هـ) قصة جاء فيها: وكان المُترجم

مرابط الخيل ومحل أمتعة المسافرين

منازل الزائرين (الخانات بين النجف وكربلاء)

قد جاء لزيارة الإمامين الكاظمين عليهما السلام فبينا هو سائر إذ ارتفعت قبل العصر غمامة ومطرت مطراً غزيراً فعدل إلى الخان (بين كربلاء والنجف) المسمى بخان الحماد بناه الحاج محمد صالح بن الحاج مصطفى كبّة البغدادي وقال:

وبيت على ظهر الفلاة بناه من
له همة من ساحة الكون أوسع
نزلنا به والغيث يسكب ماؤه
كأن قطره من سيب كفيه يهمع

ثم يستمر في وصفه للخان إلى أن يقول:

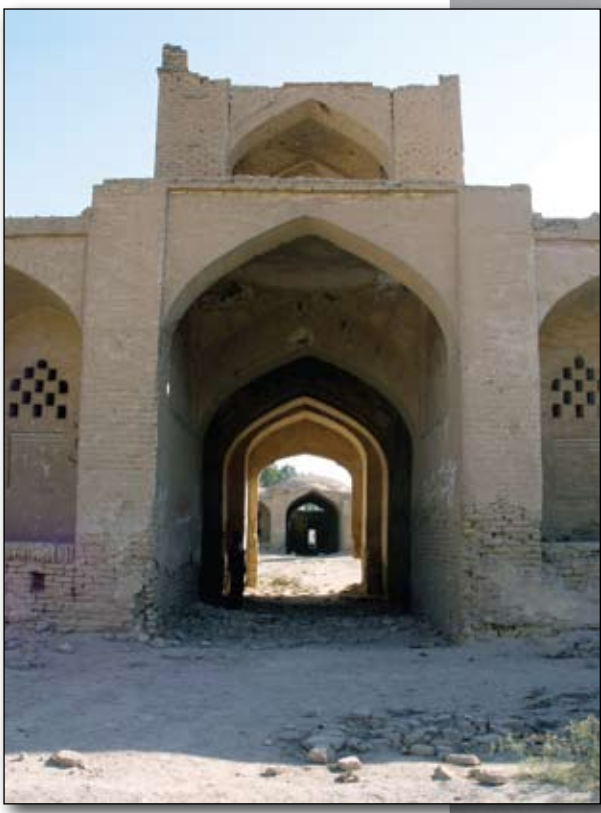

الساباط الرابط بين الخان الأول والخامس

وبتنا بها حتى تمنت نفوسنا
نقيم بها مادامت الشمس تطلع
ومنها وإن عزّت علينا بيوتنا
وددنا إلى أكنافها ليس نرجع
ففيها أبو المهدي أسبغ نعمة
على الناس فيها طوّق الناس أجمع
له الله كم أسدى سواها ضائعاً
بأمثالها سمع الورى ليس يقرع[٢٤]

وقد لاحظنا اضطراباً في بعض الأبيات.

٤- وخان الحماد يقع في منتصف الطريق بين كربلاء والنجف هو أكبر الخانات وأتقنها وقد بنته أسرة آل كبّة البغدادية، وعلى يد الحاج محمد صالح بن الحاج مصطفى كبّة المتوفى سنة (١٢٨٧هـ-١٨٧٠م) كما بنى الحاج محمد صالح خاناً في منطقة الإسكندرية يدعى (خان الوقف) أوقفه لزائري العتبات المقدسة في العراق[٢٥] ثم زاد عليه العلامة الكبير الشيخ مرتضى الأنصاري المتوفى عام (١٢٨١هـ - ١٨٦٤م)[٢٦] ومما يقارب هذا النص (خان الحماد بناه الحاج محمد صالح كبة البغدادي، وبنى بجانبه الشيخ مرتضى الأنصاري خاناً ويحيط بالاثنين سور واحد وكل يدعى خان الحماد)[٢٧].

مما تقدم يتبين لنا أن الخان هو عبارة عن مجمع من الخانات، وكل خان سعى ببنائه محسن من المحسنين، فالسيد بحر العلوم قدس سره والشيخ الأنصاري قدس سره والحاج محمد صالح رحمه الله كل منهم بنى خاناً يلتصق مع الخان الآخر، إضافة لذلك وبعد رجوعنا إلى الإشارة الأولى يبرز لدينا أنه (أنشأ في عهد الوالي

العثماني سليمان عام ١١٨٩هـ)، ويمكن أن يكون هذا الخان هو أول الخانات، وهكذا توالت الخانات في هذا المجمع على أن التعمير والترميم يطال الخانات السابقة عندما تستقر الفكرة على بناء خان جديد وهذا البناء يُقرر نتيجة لزيادة في عدد الزائرين.

خان الحماد عند الرحالة والسياح:

١- الرحالة (جون بيترز) الذي زار النجف سنة (١٣٠٨هـ - ١٨٩٠م) وهو أستاذ أمريكي ورئيس لبعثة بنسلفانيا لتنقيب عن الآثار القديمة، فقد نزل في خان النص عندما كان ذاهباً إلى كربلاء، (وصلت قافلة (بيترز) إلى خان الحماد عند الظهر وكان عبارة عن خمسة خانات في خان كبير واحد وعندما نزل فيه ليستريح وجد رجلاً من أهالي النجف يصطحب عدداً من الزوار الإيرانيين معه)[٢٨].

٢- (الليدي دراور) والتي تنقل في خواطرها، (وقفت بنا السيارة عند خان الحماد، وهو منتصف الطريق تماماً، إنه قرية ذات أسوار عالية وفيها بيوت ودكاكين وإسطبلات وأجنحة خاصة بالزوار وهؤلاء يخشون أبناء العشائر كثيراً ولعل هذه الملاجئ المحصنة خير دريئة تقيهم أخطار مكان منعزل كهذا الطريق)[٢٩].

٣- مبعوث من قبل موقع انترنت عراقي في الدنمارك حيث يقول: (بني الخان على شكل مجموعة من الإيوانات يقيم فيها المسافرون الزوار وخاصة القادمون من إيران لزيارة العتبات المقدسة، وحفاظاً على أرواح وممتلكات الزوار بني الخان بشكل مغلق، تخلصاً من قطاع الطرق واللصوص، ويتم الدخول إلى الخان من الباب الرئيسي، ولقد بُني بطراز عثماني استخدم في تقييده الطابوق الفرشي، وهناك ملاحق خاصة للخيول ولتكديس أمتعة المسافرين)[٣٠].

رحلتنا إلى خان الحماد:

في يوم الجمعة السابع والعشرين من

بقايا ساحة وأواوين الخان الرابع

منازل الزائرين (الخانات بين النجف وكربلاء)

جانب من الخان الثالث (أحدث الخانات) وتظهر دكتا الصلاة والبئر

ذي القعدة سنة ١٤٢٦هـ المصادف ٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٥م، كانت زيارتنا لخان النص حيث اصطحبنا الحاج حسين هاشم روضان من أهالي منطقة خان الحماد (ناحية الحيدرية) المتعهد بحماية الخان العائد إلى مديرية آثار محافظة النجف، وكان خير عون لنا في تعريفنا ببعض معالم الخانات.

المدخل المؤدي إلى مجمع الخانات الخمسة هو عبارة عن فتحة بعرض متر ونصف وبارتفاع مترين، ويقع من الجهة الخلفية للخان، تظهر بوابة حديدية كبيرة ذات بابين يقول الحاج حسين: إن أحد هذين البابين قد سرق!.

عموماً وأنت تدخل الخان تطالعك باحة دائرية مسقوفة ومعقودة على هيئة قبة مسطحة، كما تلاحظ ممراً مسقفاً ممتداً على الجانبين، كما تتوزع على جهتيه الأواوين المقوسة العالية وعندما سألنا عن عدم وجود (سلم) لارتقاء الإيوان أجابنا أن هذه الأواوين مخصصة لتكديس أعلاف الحيوانات وبعض أمتعة الزائرين الثقيلة، دخلنا إلى ساحة الخان الأول والتي تحيط بها الأواوين عدا الجانب المقابل للداخل من المدخل الرئيس حيث يخلو من الأواوين، ويمكن القول إن درجة العمران في هذا الخان ضعيفة حيث تظهر عليه ملامح التآكل والانهيار، ويبلغ عدد الأواوين المقوسة المطلة على ساحة الخان حوالي ثلاثين إيواناً، كما تبدو الجهة اليسرى من الخان وهي تحتوي على نوعين من الأواوين منها ما هو مطل على ساحة الخان، وباتجاه المعاكس تمتد فيها الأواوين ضمن رواق ممتد على طول الجهة وعند بدايته يرتبط مع ساباط يحتوي على مجموعة من المحلات التي كانت تقدم خدماتها للزائرين، كما يربط هذا الساباط مع مدخل الخان الثاني، دخلنا إلى الخان الثاني فوجدناه

آيلاً إلى السقوط، وقد أخبرنا مرافقنا أنه الأقدم بين الخانات.

والسور الشرقي الذي يجمع الخانات متكون من الجانبين الشرقيين للخانين الأول والثاني معاً، تتوسط الخان آثار وأطلال وأكوام من الطابوق والحجارة، كما يوجد في وسطه آثاراً لبئر، أيضاً تطل مجموعة من الأواوين على ساحة الخان فمن جهة الشرق نلاحظ ثمانية عشر إيواناً، يفصل بينها إيوان كبير مزين من الجهتين بجدار مقوس، وتوجد على الجهتين سلالم تفضي إلى سطح الخان.

أما الجهة الجنوبية للخان فتظهر أواوين غير نظامية تبدأ بإيوان كبير ذي واجهة تقدر بخمسة أمتار ثم تنتهي بإيوان صغير بواجهة تقدر بمترين فقط، كما تقع خلف الأواوين المطلة على الساحة أواوين ضمن رواق معقود بالآجر على هيئة قباب، أما من الجهة الشمالية فتوجد خمسة أواوين وهي تقع على وجهين وجه مفتوح على الساحة والآخر مسقوف، أما الجهة الغربية فتخلو من الأواوين عدا طاق كبير تظهر عليه جمالية فن البناء آنذاك، وهذا الطاق تعلوه حجرة مفتوحة الجوانب يعتقد أنها كانت تستخدم للمراقبة والآذان، أي: أنها بحكم المئذنة وقادنا هذا الطاق إلى الخان الثالث وهو أجمل الخانات وأحسنها حالاً وأحدثها بناءً حيث تحيط به الأواوين من جهاته الأربع كما يعاكسها أواوين تقع ضمن أروقة تحيط بالخان وتكون هذه الأروقة معقودة بالقباب المنتشرة والظاهرة في السطح، ويمكن الدخول إلى هذه الأروقة من خلال ممرات موجودة ضمن الأواوين المطلة على ساحة الخان الجديد (الثالث)، يتخلل الأواوين البالغ عددها عشرة أواوين في كل جانب إيوان مركزي كبير نسبياً، تتوسط ساحة الخان الثالث (الجديد) دكتان كبيرتان متقابلتان وهما على حالة الدكتين الموجودتين في خان المصلى، واللتين وصفناهما سابقاً، كما تظهر آثار للمحراب في إحدى هاتين الدكتين، كما يظهر على جانبي الدكتين مرتفعان ترابيان وعندما سألنا الحاج حسين عنهما

برج مقوس في إحدى زوايا الخان للمراقبة والحماية

قال: (إنهما مجموعتان من المرافق الصحية والتي كانت موجودة تحت الأرض ويتم النزول إليهما عن طريق سلالم، كما يظهر البئر ومعه السلالم المؤدية إليه ويقع بين الدكتين).

يرتبط أيضاً هذا الخان الثالث مع خان آخر عن طريق ساباط معقود بالآجر، والذي مررنا خلاله إلى الخان الرابع، وهو خان صغير بالنسبة إلى الخانات الأخرى، وأيضاً تحيط به الأواوين، أما درجة أعماره فمتوسطة، يتكون جانبه الشرقي المطل على الساحة من أربعة أواوين بطابقين طابق بارتفاع متر ونصف، ويعلوه إيوان آخر، أما جانبه الغربي فيحتوي على إيوانين كبيرين مركزيين، وإيوان في الزاوية اليمنى يؤدي إلى سلم يؤدي إلى سطح الخان (الرابع)، أما الإيوان الواقع في الزاوية اليسرى فيؤدي إلى الأروقة المسقفة والتي تربط كل خان مع الخان الذي يليه، أما وجهتي الخان الشمالية والجنوبية فتحوي كل منها سبعة أواوين، وفي وسط ساحة الخان هناك آثار لبئر قديم.

ومن خلال دهليز يقع في زاوية الخان الشمالية الغربية اجتزنا نحو الخان الخامس والأخير، ويقع هذا الخان في الجزء الشمالي الغربي من مجمع الخانات الخمسة حيث يطل سوره الغربي على ساحة خارجية تقع بجنب طريق النجف ـ كربلاء، أما سوره الشمالي فيقابل أسواقاً وبيوتاً ضمن ناحية الحيدرية،

الساباط بين الخانات وتعلوه المئذنة

يمكن اعتبار درجة البناء في هذا الخان متوسطة حيث تحيط به الأواوين من جهاته الأربع ففي الجانب الغربي تظهر ثمانية أواوين يتوسطها إيوان كبير مركزي وتنتهي زوايا الجانب الغربي بمداخل (سوابيط) تطل على الأروقة الداخلية المحاطة بالأواوين والمسقفة بالآجر، أما جهات الخان الأخرى فيبلغ عدد الأواوين المنتشرة على طولها ثلاثون إيواناً، وكما هو الحال مع بقية الخانات نلاحظ توسط دكتين كبيرتين في وسط الساحة إضافة لوجود بئر يؤدي إليه سلم من جهة إحدى الدكتين، ويمكن الاجتياز من الخان الأول إلى الخان الخامس عن طريق ساباط مسقوف

الواجهة الشرقية الرئيسة لخان النخيلة

تعلوه حجرة مشيدة بالطابوق، وتكون جوانبه الأربع على هيئة أقواس معقودة أيضاً بالطابوق ومفتوحة بحيث يمكن الدخول إلى الحجرة من خلالها، وتكون بأبعاد (٥) أمتار عرضاً و(٦) أمتار طولاً و(٥) أمتار ارتفاعاً، وعند دخولنا إليها من الجهة الغربية لاحظنا سلم معقود يفضي إلى سطح الحجرة، بواقع ثمان درجات منها درجتان مهدمتان، وهذه الحجرة كانت تستخدم للآذان والتنبيه لأمر يهم الزائرين.

أما السور الخارجي فيحيط بمجمع الخانات الخمس وينتهي كل جانب من جوانبه الأربعة بمكمن قوسي يستعمل للإنذار والحماية، يبلغ ارتفاع السور الخارجي حوالي عشرة أمتار. كما تنتشر بعض المقابر عند السور الغربي للخان ومنها قبران تعلوهما قبتان خضراويتان، وعرفنا من الحاج حسين أنهما لسيدين آثرا الدفن بين كربلاء والنجف، حتى يحصلا على فضل الدفن في حمى المرتضى عليه السلام وكنف الشهيد بكربلا عليه السلام.

خان النخيلة:

لم يحدثنا أحد عن سبب إطلاق تسمية النخيلة على هذا الخان فالنخيلة قديماً هو اسم معسكر أمير المؤمنين عليه السلام ويقع على مشارف الكوفة، في ناحية الكفل على التعيين، وكثيراً ما نقرأ في كتب التاريخ ونزل بالنخيلة و... وعسكر بالنخيلة.

ويمكن القول أن المنطقة التي يقع فيها هذا الخان هي بالقرب من البساتين الموصلة بين النجف وكربلاء كما يقع بالقرب منها فرع من نهر الفرات.

يطلق على خان النخيلة اسم خان الربع بالنسبة لأهالي كربلاء حيث أن موقعه يمثل ربع المسافة المقطوعة من كربلاء إلى النجف، (حيث يبعد خان النخيلة عن

كربلاء واحد وعشرين كيلومتراً)[٣١].

في التقرير العسكري الذي أعدته رئاسة الأركان البريطانية العامة في سنة (١٣٢٩هـ - ١٩١١م) يذكر (...فهناك خان النخيلة الذي يتألف من ثلاث خانات وستة مقاهي وآبار عذبة للماء وعدد من الاكواخ البسيطة من دون أن تكون فيه بيوت...)[٣٢].

أما عن الشخص الذي تبرع ببنائه فلدينا رأيان:

الرأي الأول: (شيد خان النخيلة أحد الهنود)[٣٣].

الرأي الثاني: (خان النخيلة ويسمى خان الربع بنسبة القادم من كربلاء، وقد بنته أسرة آل شمسة النجفية وتولت الأشراف عليه وترميمه وقد تعرض الآن للهدم)[٣٤].

يبدو أن الخانات الثلاثة قد تأسست في فترات متفاوتة ولعل أحد الهنود بنى خاناً ثم بني بجانبه حصن أخر وينقل الشيخ جعفر محبوبة في ذكر أسرة آل شمسة: (...ولهم من الآثار الخيرية الباقية الخان المشهور بـ(خان آل شمسة) في طريق الحسين عليه السلام بين النجف وكربلاء، وهو آخر الخانات ومنه تدخل إلى كربلاء، وكان معرساً للزائرين ومقراً للمسافرين حيث عمره الحاج حسن ابن الشيخ محمد وقد هجر اليوم لانقطاع المارة عنه لوفرة السيارات وعدم الحاجة إليه)[٣٥] وبناء على هذا النص، يمكن التعويل على أحد أمرين:

١- أن يكون البناء لهذا الخان من قبل أسرة آل شمسة عموماً آنذاك وقد اهتم بتعميره الحاج حسن شمسة.

٢- أن يكون الحاج حسن شمسة هو المشيد الحقيقي للخان وهذا ما ذكره عباس الدجيلي في ذكر شجرة آل شمسة حيث قال حسن بن محمد آل شمسة، وقد شيد خان النخيلة[٣٦].

وقد زودنا قسم الوثائق في مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة في النجف الأشرف بوثيقة خطية يتعهد فيها كل من المدعوين خليل بن إبراهيم وخضير بن كاظم بنقل طابوق (لبن) إلى خان النخيلة وكان الطابوق المجهز على نوعين أبو قالبين بواقع ثمانية آلاف طابوقة وماطلي بواقع عشرين ألف طابوقة وهذه الوثيقة قد أعدت بتاريخ ٢٦/ صفر/ ١٣٢٠هـ كما توجد مثلها لشخصين آخرين يتعهدان فيها بتجهيز ستين ألف لبنة (طابوقة) وتاريخها ٧/ ربيع أول/ ١٣٢٠هـ أيضاً. ووجدنا وثيقة أخرى يتعهد فيه ثلاث أشخاص على نقل ألف حمل من الحطب إلى الخان (خان

بقايا أواوين خان النخيلة

وثيقة تبين مقدار الحطب المنقول إلى خان النخيلة

وثيقة تبين عدد الطابوق المنقول إلى خان النخيلة

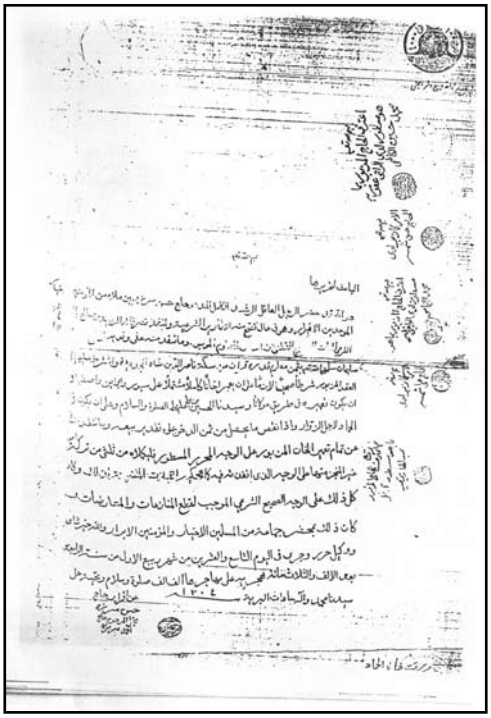

وثيقة تعمير خان الربع (المصلى) بإقرار الحاج حسن مرزه

قرار تسوية خان المصلى باعتباره وقف خيري

وثيقة تبين عدد الطابوق المنقول إلى خان النخيلة

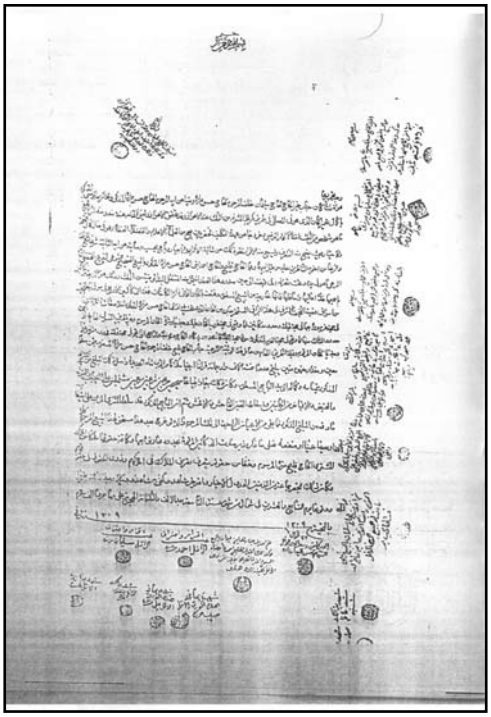

وثيقة تثبت تاريخ إكمال تعمير خان المصلى سنة ١٣٠٩هـ

آل أبـو شمسـة) وهـي مؤرخة فـي غرة صفر سنة (١٣١٤هـ).

والمتعهديـن فـي هـذه الوثائق كلها يحررون هذه المكاتبات إلى الحاج باقر شمسـة وهـو ابن الحاج حسـن، مشـيد الخان، وهذا يدل على اسـتمرارية العمل في بناء وصيانة الخان حتى بعد وفاة الحاج حسن أي في عهد ولده الحاج باقر شمسة.

الرحلة نحو خان النخيلة:

كانـت رحلتنـا إلـى خـان النخيلة، مكملة لرحلـة خان النـص، ففي اليوم نفسـه وبعـد أن أكملنـا التجـوال فـي الخانـات الخمـس (مجمع خـان الحماد) سـارت بنـا السـيارة نحـو خـان النخيلة الـذي أوصلنـا إليـه طريق ترابـي يتفرع من طريـق النجف ـ كربلاء الرئيسـي، تبدو عمارته مشابهة لعمارة خان المصلى وكذلـك البوابة الرئيسـة للخان تقع في منتصف السـور الشـرقي له والذي يطل على الأراضـي الزراعية والصحراء، ولم نشـاهد محلات أثريـة كالموجودة في مقدمة سور خان المصلى.

كما شـاهدنا قطع حديديـة متناثرة بالباب الرئيسـية طـولاً وعرضاً وكأنها تحذر من الدخول إلى الخان. تقع البوابة في منتصف السور الشرقي للخان وتبدو عليهـا الآثـار الجميلة للعمارة الإسـلامية من زخرفـة بالطابوق ومن لمسـات فنية تضفي عليها قيمة عمرانية مرموقة حيث يتمركـز المدخـل فـي الوسـط، ويقع ضمـن طـاق مقوس معقـود والـى جانبه إيوانين مقوسـين، وتعلو المدخل حجرة جميلة المنظر لا تـزال قائمة بالرغم من كـون هذا الخان قد تعرض إلى تفجير، ففـي عام (١٩٩٣م) وبينمـا كان الجيش يكـدس أسـلحته فـي الخـان باعتبـاره مسـتودعاً أمينـاً وقريباً مـن ثكنته التي عسكر فيها، حدث انفجار في أكداس السلاح والذي أخذ معه الكثير من معالم الخـان ولازالت آثـار الأسـلحة المدمرة وبقاياها تنتشر في أرضية الخان.

ومـا أن دخلنا إلى سـاحة الخان حتى لاحظنا التشابه الكبير بينه وبين الخانات الأخـر، وهـو خـان واحد فقـط، كما لاحظنـا آثـار الترميـم قائمـه، ويمكن القـول أن الجهة الغربيـة من الخان بحالة جيـدة جداً، فقـد طالت يـد الإعمار في منتصف التسعينات الخان باعتباره معلماً أثريـاً، ويبلـغ عـدد الأواوين فـي الجهة الغربية أربعة عشـر إيوانـاً يتخللها إيوان كبير، وتظهر عليه آثار التعمير بصورة جلية ولا يخلو من اللمسات الفنية.

أمـا الجهتين الشـمالية والجنوبية فلم نسـتطع إحصـاء الأواويـن المطلـة على سـاحة الخـان فيهـا، لأن أغلبهـا متأثر، أما الجهة الشـرقية فيظهر فيها اثنا عشر إيواناً ويتوسـطها المدخل الرئيس للخان وعلـى جانبيـه توجد سـلالم تـؤدي إلى الحجرة العليا والسـطح، ويتوسط الخان حوض من الاسمنت، وينزل إليه بواسطة سـلم، والظاهـر أنه بني مؤخـراً لغرض توفيـر الماء اللازم للبنـاء. تحيط بالخان رواق معقـودة بالآجـر علـى هيئـة قباب وتتخلله أواوين مقوسـة، منها ما هو معد لراحة الزائريـن، ومنها ما هو مخصص لأمتعتهم ودوابهم.

وفـي الوقت الذي نختتـم فيه رحلتنا

منازل الزائرين (الخانات بين النجف وكربلاء)

الواجهة الغربية للخان وتظهر عليها أعمال الصيانة والترميم

إلى الخانات فلابد أن نحثّ كل من مديرية آثار محافظتي النجف وكربلاء على بذل الجهود الحثيثة لإحياء هذه المعالم، والتي ضمت الكثير من تاريخنا، فضلاً عن كونها مناطق تهم السيّاح والزائرين ■

---

(١) الأرجان، مدينة من بلاد فارس.
(٢) كامل الزيارات، ابن قولويه، ص٢٤٣.
(٣) ما بعد كربلاء، قانصو، ص٨٨.
(٤) دائرة المعارف الشيعية، الأعلمي، ٤٩/٩.
(٥) لسان العرب، ١٤٦/١٣.
(٦) كامل الزيارات، ابن قولويه، ص٢٥٣.
(٧) النجف الأشرف مدينة العلم والعمران، الطريحي، ص٦١-٦٢.
(٨) الفرات الأوسط، الواموسيل، ص٦٣.
(٩) النجف الأشرف مدينة العلم والعمران، الطريحي، ص٦١-٦٢.
(١٠) في بلاد الرافدين، ليدي دراور، ص٨١.
(١١) النجف الأشرف مدينة العلم والعمران، الطريحي، ص٣٠٨.
(١٢) ثورة النجف، الأسدي، ص٤٨.
(١٣) النجف الأشرف مدينة العلم والعمران، الطريحي، هامش ص٦١.
(١٤) في بلاد الرافدين، صور وخواطر، ليدي دراور، هامش (٦) ص٨٢.
(١٥) النجف الأشرف مدينة العلم والعمران، الطريحي، ص٣٠٩.
(١٦) ثورة النجف، الأسدي، ص٤٧.
(١٧) سحر بابل وسجع البلابل، الحلي، ص٣١٣-٣١٥.
(١٨) الفرات الأوسط، الواموسيل، ص٦٣.
(١٩) وثيقة تسجيل (قرار التسوية) ملحق، خان المُصلى لوحة تاريخية في العهد العثماني الحديث، الحكيم.
(٢٠) النجف الأشرف مدينة العلم والعمران، ص٦١-٦٢.
(٢١) موقع على الانترنت (www.Iraker.DK).
(٢٢) أعيان الشيعة، ٤٨، ٦٢.
(٢٣) النجف مدينة العلم والعمران، الطريحي، ص٣٠٩.
(٢٤) أعيان الشيعة، ١٤١/٤٨.
(٢٥) خان المصلى لوحة تاريخية في العهد العثماني الأخير، الحكيم، ص٢.
(٢٦) النجف الأشرف مدينة العلم والعمران، الطريحي، ص٦٢.
(٢٧) كربلاء في المراجع موسوعة العتبات، الخياط، ٣٠٥/١.
(٢٨) معارف الرجال، حرز الدين، ١٥٢/٣.
(٢٩) في بلاد الرافدين، صور وخواطر، ليدي دراور، ص٨١-٨٢.
(٣٠) موقع على الانترنت (www.Iraker.dk).
(٣١) النجف الأشرف مدينة العلم والعمران، الطريحي، ص٦٢.
(٣٢) المصدر السابق.
(٣٣) المصدر السابق.
(٣٤) خان المصلى، لوحة تاريخية من العهد العثماني الأخير، الحكيم، ص٢.
(٣٥) ماضي النجف وحاضرها، محبوبة، ٢٧٣/١.
(٣٦) الدرر البهية في أنساب قبائل النجف العربية، الدجيلي، ٥٦/١.

لماذا التخلص من الحسين عليه السلام

ـ تحليل منطقي ـ

• منذر جـــواد مرزه

كانت قريش سيدة العرب، وكانت بكل أفخاذها لها الجاه والمنزلة الرفيعة، إضافة إلى الثراء والمال المتأتين من التجارة بين الشام واليمن ما جعلهم يسيطرون على مكة أم القرى بهذه الصفات وصفات أخرى منها سدانة البيت العتيق الذي سيطرت عليه بنوا أمية وكبراؤها لفترة من الزمن قبل أن تنتقل منهم هذه السدانة لأبناء عمومتهم بني هاشم، ولم يكن انتقال السدانة هذه إلى بني هاشم ما يرضي بني أمية بأي حال من الأحوال، ولكن كثرة أموالهم ولهوهم بالتجارة والسفر والزعامة العشائرية أهملت لديهم لبعض الوقت مسألة انحياز الناس لبني هاشم كونهم سدنة الكعبة ومضيفي الحجيج والوافدين وساقين ركابهم، إضافة لمكرمة الله تعالى في تفجير مياه زمزم على أيديهم.

كل هذا أثار البغضاء والضغينة والحقد لدى بني أمية التي دفنوها في أنفسهم وصدروهم على أبناء عمهم من بني هاشم ولا يظهرونها لئلا يستغلها الناس فيتشمتوا بهم وتذهب بذلك هيبتهم بين العرب وربما تفقدهم زعامتهم لمكة وتضعف تجارتهم، وهذا ما يستميتون لأجله ويضحون دونه، ومهما بقت هذه الضغينة دفينة والحقد مكبوت إلا أنه ظهر وبشكل جلي وواضح عندما اختار الله سبحانه وتعالى فرداً يتيماً عائلاً من بني هاشم هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسولاً ونبياً، وفضله صلى الله عليه وآله على كل قريش وكل العرب، وكلفه بدعوتهم لهداية

دين الإسلام وعبادة الله الواحد الأحد، ما أثار بني أمية وعظماءهم ونصبوا له العداوة والبغضاء وأعلنوا عليه وعلى من آمن به وبدعوته الحرب والعذاب لا يهدآن حتى كانت هجرته من مكة إلى المدينة بأمر من الله جل وعلا، ولتكون المدينة مركز دعوته ونشر دين الله في الأرض، وفي المدينة كانت حروبه على المشركين وعتاتهم ومنها انطلقت كل غزواته الموفقة تقتنص من الشرك أينما كان وتمزق سرابيله، وكان بنو أمية على رأس العتاة المشركين بزعامة أبي سفيان، حتى آن أن تعلو كلمة الله في كل الأرجاء وتتوحد الجزيرة العربية تحت راية لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وتنزع عنها ثيابها المهلهلة وتطهر نفسها من أنجاسها، كل هذا تم بعد أن اتخذ النبي صلى الله عليه وآله ابن عمه علياً ابن أبي طالب أخاً وعضيداً ووزيراً وسيفاً مصلتاً بين يديه يدفع به عن الإسلام كل غائلة أو رديئة أو ضرر يحاول الشرك والمشركون أن يصيبوه به.

كان أول من أراد وحاول أن يلحق الضرر والهزيمة بالإسلام هم أبناء عمومة النبي صلى الله عليه وآله من بني أمية ومن تبعهم من أفخاذ قريش والعرب وبعض أعمامه الذين لم يؤمنوا برسالته حسداً من أنفسهم، وكان سيف الفتى علي عليه السلام السلاح الرادع والمانع من تحقيق مآربهم. حيث وضع فيهم القتل والجرح مما زاد في ضغينتهم وحقدهم على بني هاشم من جهة وعلى علي بن أبي طالب عليه السلام بالأخص من جهة أخرى وكانوا كلما شاهدوا نجم علي عليه السلام يرتفع زاد فيهم البغض له، حتى تبلور هذا الحقد وصار عقدة كبيرة في نفوسهم تقض مضاجعهم وتلهبهم حسرة وأنة، ثم كان يوم غدير خم أصعب يوم في حياتهم قصم ظهورهم عندما نزل الوحي من الله العزيز الحكيم بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وإمامته على كل المسلمين فرضاً من الله واجب الطاعة وجعل التبليغ بهذه الولاية موازياً للتبليغ بالرسالة. فإن لم يفعل الرسول ذلك فما بلغ رسالته: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) (سورة المائدة/ الآية:٦٧).

وبعد التبليغ بولاية علي عليه السلام ارتضى الله عز وعلا الإسلام ديناً للناس وأكمله لهم: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) (سورة المائدة).

هذا إضافة إلى ما نزل من الآيات القرآنية الكريمة خلال سني الدعوة في حق علي عليه السلام والأحاديث النبوية الشريفة التي قالها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في حقه وحق زوجته البتول فاطمة سيدة نساء العالمين عليها السلام وابنيه الحسن والحسين عليهما السلام. وكلها كانت تزيد الذين آمنوا بشراً وإيماناً وتزيد الطلقاء والذين طالهم وطال آباءهم وأجدادهم سيف الإسلام. أو قل سيف علي عليه السلام وخاصة بني أمية حقداً وبغضاً حيث أن كل واحد منهم موتور منه يتربص به الفرص والدوائر للانتقام والثأر تسيطر عليهم الجاهلية بكل معاييرها البغيضة.

ومات الرسول صلى الله عليه وآله واختلف المسلمون بعد وفاته بأمور سياسية كثيرة، وما

كان اختلافهم لاجتهاد اجتهدوه في أمور الدنيا والدين لأن رسول الله صلى الله عليه وآله ما ترك من أمر يجتهدون فيه، ولكنها الضغينة كشرت عن أنيابها والحقد الدفين طفا على السطح، فكانت سقيفة بني ساعدة أسرع لها من أسرع حتى قبل أن يوارى جثمان الرسول الكريم الثرى، وجرى فيها ما جرى من أبعاد لمن أوصى به الرسول والياً وخليفة وأميراً للمؤمنين من بعده، ولو أنهم بدلاً من ذلك أقرّوا ما أمر به الله والرسول لحملهم على الجادة ولأكلوا من بين أيديهم ومن فوقهم ومن تحت أرجلهم.

استغل بنو أمية الأمر وحاولوا إشعال الفتنة والتناحر بين المسلمين لأنهم ما كانوا يحملون من الإسلام إلا اسمه فقط وأنهم ما أسلموا يوم الفتح إلا حقناً لدمائهم وصوناً لأنفسهم، ولغرض في نفس أبي سفيان راح يغري علياً عليه السلام بمناهزة القوم ومناجزتهم واسترداد ما منعوه منه، ولما لم يجد أبو سفيان وبنوا أمية إذناً صاغية لفتنتهم، راحوا يحيكون الدسائس لا يتوانون فيها حتى تسلموا الخلافة بشخص الخليفة الثالث، إضافة لما كان لهم من مركز في الشام منحهم إياه الخليفة الثاني الذي راح يربّي الناس هناك على الولاء المطلق لبني أمية وأنهم وارثوا الرسول ولا غيرهم وارث له.

فقرب الخليفة أقاربه حتى الذين لعنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وطردهم وأحل دماءهم، وأغدق عليهم الأموال الطائلة وأعطاهم الولاية على الأمصار المختلفة يعيثون فيها فساداً، وسلم قيادة الخلافة وخاتمها لابن طريد رسول الله صلى الله عليه وآله اللعين مروان بن اللعين الحكم بن العاص بن أمية وأعطاه الزمام يحركه كيف شاء. وهو وإن فعل كل ذلك وغيره من الأمور المخالفة للسنة لم يسلم من دسائس أقاربه من بني أمية ومن مكائد مروان بن الحكم للتخلص من الخلافة أصلاً ليستأثر بها معاوية بن أبي سفيان في الشام ويسترد بنو أمية عافيتهم وملكهم الذي فقدوه وزعامتهم للعرب كما كانوا في الجاهلية، وهكذا كان وقتل عثمان بالثورة عليه، وكانت الفرحة لمروان في مقتله بعد أن ألّب عليه الأمصار لتصرفاته، ومن مكايد مروان ومؤامراته عند الثورة أنه قام باستقصاء معاوية لنصرة الخليفة في الظاهر وأمام الناس بينما طلب إليه التلكؤ والإبطاء والتأخر في الباطن حتى تتم الطبخة ويقضى على الخلافة ساعدهم بذلك من قال: (اقتلوا نعثلاً فقد كفر) وبما أن الرياح لا تجري بما تشتهي السفن، فقد أجمع الناس على علي لإمرة المسلمين ما زاد بني أمية حقداً وضغينة وغضباً، ولم يبطنوا هذه المرة حقدهم وإنما أظهروه علناً وبكل وقاحة بأنهم ضد علي عليه السلام وخلافته، وهذا يعني أنهم ضد الرسول وأمره والذي ما هو إلا أمر الله سبحانه وتعالى.

فرفعوا قميص عثمان مطالبين بدمه وهم الذين قتلوه، والهدف من ذلك أن لا تستمر الخلافة ولا تهدأ من جهة وأن الذي تولاها عدوهم اللدود الذي قتل آباءهم وأجدادهم وإخوانهم وتابعيهم، من أقرّ الله له بالولاية والإمامة ابن عم

الرسول صلى الله عليه وآله وزوج ابنته التي حصر الله ذريته منها بسبطيه الحسن والحسين عليهما السلام، وهما إمامان إن قاما وإن قعدا، وهذا يعني أنها إن استقامت لعلي عليه السلام فإنها سوف لن تخرج من ذريته ومن بيت الرسالة لأحاديث النبي صلى الله عليه وآله المتواترة في هذه الذرية ومكانتها عند الله وأثرها من المسلمين، فلابد إذن من القضاء على علي بأي ثمن كان، والقضاء على ابنيه بقية رسول الله صلى الله عليه وآله وبيت النبوة، وكانت حرب الجمل وحرب صفين والنهروان، ثم ضربة أشقى الأرض اللعين ابن ملجم في رمضان من سنة (٤٠هـ)، واستشهاد إمام الغر المحجلين، ولم يخطئ ظن بني أمية واعتقادهم أنها لو تولاها علي عليه السلام فإنها سوف لن تخرج من بيت النبوة، حيث أوصى بها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام، وأن الحسن عليه السلام سيوصي بها إلى أخيه الحسين عليه السلام وهكذا حتى يتم أمر الله وإرادته، وعليه فلم يهدأ لهم بال حتى قضوا على الإمام الحسن عليه السلام وألحقوه بأبيه عليه السلام، وجاء أمر الحسين عليه السلام في الوقت الذي شارف فيه معاوية على الهلاك، وهو السياسي الداهية العارف بأن الأمر لن يستقيم لابنه الفاسق الفاجر، فأخذ له البيعة في حياته وأوصاه بأن يتخلص من كل معارضيه وأسماهم له وعلى رأسهم الحسين عليه السلام وهو إن تخلص من الحسين عليه السلام معناه أنه سيتخلص من بيت النبوة ومن ذكراه وربما من كل ما يمت إلى الإسلام بصلة، إضافة لذلك يكون بنوا أمية قد ثاروا وانتقموا لقتلاهم يوم بدر وأحد والمواقع الأخرى الذين هلكوا بسيف الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. وإنهم أيضاً سينفسوا حقدهم الدفين القديم على بني هاشم الذين نافسوهم على زعامة مكة يوماً ما.

هكذا أصر يزيد تنفيذاً لوصية أبيه أن يحصل على بيعة الحسين عليه السلام بعد أن تولى الأمر، وبالرغم من أنه حصل على بيعة عبد الله بن عمر وعبد الله بن العباس

عن عبد الله بن محمد الصنعاني، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا دخل الحسين عليه السلام اجتذبه إليه ثم يقول لأمير المؤمنين عليه السلام: أمسكه، ثم يقع عليه فيقبله ويبكي، فيقول: يا أبه لم تبكي؟ فيقول: يا بني أقبل موضع السيوف منك وأبكي.

قال: يا أبه وأقتل؟ قال: إي والله وأبوك و أخوك وأنت.

قال: يا أبه فمصارعنا شتى؟ قال: نعم، يا بني.

قال: فمن يزورنا من أمتك؟ قال: لا يزورني ويزور أباك وأخاك وأنت إلا الصديقون من أمتي.

بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٢٦١

ولكن عندما ثار عبد الله بن الزبير قتل شر قتلة. إلا أنه أصرّ على بيعة الإمام الحسين عليه السلام لأنه كان متيقناً بأن الحسين عليه السلام لو بقي فإن صوته صوت الرسالة المحمدية، وهذا ما سيقض مضاجع بني أمية ويزلزل الأرض تحت أقدامهم ويمنع عليهم تأسيس مملكتهم التي يسعون إليها. فحيكت المؤامرة بإتقان التي اضطر فيها الحسين عليه السلام أن يخرج من مكة بأهله وعياله قاصداً العراق ليؤكد في ذلك قوله (لا) ليزيد، وفرح يزيد والمتآمرون بهذا التوجه، وظنوا بأنهم إن قضوا على هذه العترة الطاهرة سيقضون على ذكر الإسلام والرسول صلى الله عليه وآله، وتعزز مكانتهم وحكمهم للناس بما سيرسمونه لهم من أمور الحياة وأنهم سينتقمون ممن بقي لعلي بن أبي طالب عليه السلام من ذكر ويمحونه كما محى من قبل ذكر آبائهم وأجدادهم.

لذا فإن استهداف الحسين عليه السلام، وما جرى يوم عاشوراء من مأساة مروعة وبعد ذلك اليوم للعيال والتابعين لم يكن عبثاً من بني أمية ولا لأنه لم يبايع ليزيد ويخضع لدولة بني أمية، وإنما كان إصرارهم على التخلص منه حتى ولو بايع كما تخلصوا من الإمام الحسن عليه السلام من قبل بالرغم من صلحه مع معاوية، إنها حرب عقائدية بين الإيمان بالله والاعتقاد الراسخ بالرسالة وبين الجحد به والكفر بالرسالة، ذلك لأن الحسين عليه السلام بقية النبوة وبقية علي وفاطمة عليهما السلام ورمز بني هاشم ▪

عن ابن عباس قال: لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله مرضه الذي مات فيه، ضمّ الحسين عليه السلام إلى صدره يسيل من عرقه عليه وهو يجود بنفسه، ويقول: ما لي وليزيد لا بارك الله فيه، اللهم العن يزيد. ثم غشي عليه طويلاً وأفاق وجعل يقبل الحسين وعيناه تذرفان، ويقول: أما إن لي ولقاتلك مقاماً بين يدي الله عزّ وجل.

بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٢٦٦

عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر وجعفر بن محمد عليهما السلام يقولان: إن الله تعالى عوض الحسين عليه السلام من قتله أن جعل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تعد أيام زائريه جائياً وراجعاً من عمره.

قال محمد بن مسلم: فقلت لأبي عبدالله عليه السلام: هذه الخلال تنال بالحسين عليه السلام فماله في نفسه؟ قال: إن الله تعالى ألحقه بالنبي، فكان معه في درجته ومنزلته، ثم تلا أبو عبدالله عليه السلام: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلحَقنَا بِهِم ذُرِّيَّتَهُم﴾ الآية.

بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٢٢١

قصيـدة:

للّه مدرسة الجهاد

• شعر

السيد سعيد عبد المقرم الموسوي

جفلت جيوش العزم وارتعشت يد ... وجثا على غمد الهوان مهندُ
يغزو الظلام ربوع حاضرة الهدى ... عجباً وفجر الدهر لا يتمردُ
ويموت صوت الرفض فوق شفاهنا ... وتشب ألسنة النفاق وتولدُ
وسواعدٌ ـ بغي الضلال ـ طليقةٌ ... وسواعدٌ ـ تبني الرشاد ـ تُقيدُ
حتى دعت مقل الحياة بدمعها ... من لي بشهم يُستجار فينجدُ
فتوهجت بيد الحسين مشاعل ... وضاءّةٌ بدمٍ الشهادة توقدُ
ومضى يجسد بالجهاد عقيدة ... علوية شماء لا تترددُ
فكأن بارقة الفدا بسيفه ... تُبدي طريق الحق وهو الأرشدُ
وكأنها خطت لقافلة الهدى ... سبل النجاة بها العواقب تُحمدُ
وترنمت شفة الفداء أبيةً ... تشدو المآثر للأباة وتنشدُ
يحيا الذليلُ مُغيباً بحياتِه ... ويموت صنو العز وهو مخلّدُ
أسرى بهم ركب الخلود على الربى ... يصف الملاحم والمواطن تشهدُ
سمعت من الأنصار صوت دمائها ... كالقصف يُبرق للطغاة ويرعدُ
وتكلمت نار الخيام فأفصحت ... أن الجحيم على العدا لا تخمدُ
وصغت إلى صوت الرضيع يزيدها ... مدداً عند الشدائد تصمدُ
وتفاخر الكفّان أن دماءنا ... سيفٌ يميل على الرقاب فيحصدُ
وتفجر النحر القطيع قذائفاً ... كالشهب ترقب للعدا وترصدُ
ويعود ركب الهدى من سوح الفدا ... ليقارع الأشرار وهو مسددُ
لله مدرسة الجهاد بكربلا ... تمضي الدهور وبابها لا يُوصدُ

مجزرة كربلاء الرهيبة

• سماحة الخطيب
السيد محمد أمين شبر

مجزرة كربلاء الرهيبة لها وجهان: وجه مشرق ووجه مظلم... الوجه المشرق جسّده الإمام الحسين السبط عليه السلام وأهله وصحبه الأبرار، أما الوجه المظلم فقد جسده يزيد وابن زياد وابن سعد ومن لف لفهم.

وعندما تحكم القرآن الكريم في هذا الموضوع، نجده يصف لنا أولئك الناس بأعظم وأدق الأوصاف بتقسيمهم إلى نموذجين، حيث يقول تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ)[1].

هذه اللمسات العجيبة من الريشة المبدعة في رسم ملامح النفوس المختلفة.

يقول المؤرخون: خطب الإمام الحسين عليه السلام في اليوم العاشر من محرم (٦١هـ) بالجموع الغفيرة التي تهيأت لقتاله، قائلاً لهم: (أما بعد، فانسبوني وانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي، ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله المصدق لرسول الله صلى الله عليه وآله بما جاء به من عند ربه؟

قال:

انسبوني في أبي ومحمد
جدي وفاطمة البتول وانصفوا

وكأن معجزة الكليم بكفه
ما تلتقي من قوم موسى تلقف[٢]

... أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟! أو ليس جعفر الطيار في الجنة بجناحين عمي؟! أو لم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة؟!

فإن صدقتموني بما أقول - وهو الحق - فوالله ما تعمدت كذباً منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، وإن كذبتموني فاسألوا من إن سألتموه عن ذلك أخبركم... سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم وأنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي[٣].

... يا له من خطاب ما أرقه وأبلغه... إنه يؤثر حتى في الحجر (وَإِنَّ مِن الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ...)[٤] كان خليقاً بهذا الخطاب أن يرجع إليهم حوازب أحلامهم، ويحدث انقلاباً فكرياً وعملياً في صفوفهم... ولكن... (لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ)[٥].

يا له من إخبار بخفايا وظواهر هذا الإنسان؟! إنها إحاطة بهذه النفس من جميع أقطارها...؟!

تقول الروايات لما تكلم الإمام الحسين عليه السلام بهذا الكلام الرائع انبرى إليه (شمر بن ذي الجوشن) فقال له: هو يعبد الله على حرف إن كان ما يدري ما يقول...)[٦].

... هذا هو النموذج المرائي الشرير، الذلق اللسان (من يعجبك قوله)... الذي يجعل شخصه محور الحياة كلها... والذي يعجبك مظهره ويسوؤك مخبره... فإذا دُعي إلى الصلاح وتقوى الله لم يرجع إلى الحق، ولم يحاول إصلاح نفسه، بل أخذته العزة بالإثم، واستنكف أن يُوّجه إلى الحق والخير... ومضى في طريقه يهلك الحرث والنسل...

(ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام)... هذا الذي يتناقض ظاهره وباطنه، ويتنافر مظهره ومخبره...

... هذا الذي يُتقن الكذب والتمويه والدهان... حتى إذا جاء دور العمل ظهر المخبوء، وانكشف المستور، وفضح

عن أبي هارون المكفوف قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في حديث طويل:
ومن ذكر الحسين عنده فخرج من عينيه من الدموع مقدار جناح ذباب كان ثوابه على الله عزوجل، ولم يرض له بدون الجنة.

بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٢٩١

بما فيه من حقيقة الشر والبغي والحقد والفساد...

ما للمنافق من ضمير رادع
أي الضمير لحية الأجراس؟![٧]

(وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل...) يهلك نسل خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله... وسيد الأوصياء عليه السلام وسيدة النساء الزهراء عليها السلام...

(وإذا قيل له: اتق الله أخذته العزة بالإثم...)، فإذا قيل له: اتق الله... تذكيراً له بخشية الله والحياء منه والتحرج من غضبه... أنكر أن يُقال له واستكبر أن يُوجه إلى التقوى، وتعاظم أن يؤخذ عليه خطأ وأن يُوجه إلى صواب...

وأخذته العزة... لا بالحق ولا بالعدل ولا بالخير... ولكن بـ(الإثم)...!!

فاستعز بالإجرام والذنب والخطيئة... ورفع رأسه في وجه الحق الذي يُذّكر به... وأمام الله بلا حياء منه...

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى
ومن يشتري دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه
بدنيا سواه فهو من ذين أعجب[٨]

... هذا - إذن - الوجه المظلم... شمر وشبث بن ربعي وحجار بن أبجر وقيس بن الأشعث وزيد بن الحرث... نفوس لم تخجل من خيانة العهد وحنث الإيمان والتجرد من قيم الإنسانية... وفي المقابل يطالعنا الوجه المشرق للحسين سيد الأحرار والصفوة العظيمة معه أفذاذ التاريخ ورجال الحق الذين باعوا أنفسهم لله...

(ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله)[٩]، هؤلاء لا يريدون إلا ما أراد الله تعالى... لا هوىً لهم في أنفسهم ولا اعتزاز لهم إلا بربهم ولا ابتغاء لهم إلا لمرضاة الله سبحانه.

فقد خطب سيد الأحرار الإمام الحسين عليه السلام في الليلة الثامنة من ذي الحجة فقال[١٠]:

(الحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على رسوله... إلى قوله:

رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين... ألا ومن كان فينا باذلاً مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإني راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى...

وخرج معه الغيارى على دينهم (أوفى الأصحاب وأبر أهل بيت وأوصل وأفضل)[١١] ...

... يقول مسلم بن عوسجة لقائده الحسين عليه السلام: والله لا نخليك حتى يعلم الله إنا قد حفظنا غيبة رسول الله فيك...!! والله لو علمت أني أُقتل ثم أُحيى ثم أُقتل ثم أُحرق ثم أُذرى... يُفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك... حتى ألقى حمامي دونك!! وكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة العُظمى التي لا إنقضاء لها أبداً[١٢]...

أسود إذا ما جردوا البيض في الوغى
غدت من دم الأبطال حمراً قوانيا
وقد قارعوا دون ابن بنت نبيهم
إلى أن ثووا في التُرب صرعى ظواميا[١٣]

إن وجود (أناس) هذه صفاتهم من رأفة الله سبحانه بعباده، إذ لولا رجال هذه صفاتهم بين الناس في مقابل

(رجال) آخرين صفتهم ما ذُكر من النفاق والإفساد، لتهدمت أركان الدين، ولم تستقر من بناء الصلاح والرشاد لبنة على لبنة...!!

لكن الله سبحانه لا يزال يزهق ذاك الباطل بهذا الحق (بل نقذفه بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق...)[١٤] ■

---

(١) سورة البقرة/ الآية: ٢٠٤- ٢٠٧.
(٢) أدب الطف ٥٨/٨، شعر فرهاد ميرزا القاجاري.
(٣) الكامل في التاريخ ٥٦٢/٢، تاريخ الطبري ٣٢٣/٤، الإرشاد ١٠١/٢، بحار الأنوار ٦/٤٥.
(٤) سورة البقرة/ الآية: ٤٧.
(٥) سورة الأعراف/ الآية: ١٧٩.
(٦) تاريخ الطبري ٣٢١/٤، الإرشاد، ٩٩/٢ ط إيران، مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١٤٦/٧، الكامل ٥٦١/٢.
(٧) البيت لإيليا أبي الماضي.
(٨) الطيب من القول ١٨٨/١.
(٩) هذه الآية نزلت في الإمام علي عليه السلام باتفاق الجميع، ولكن المورد لا يخصص الوارد كما يقول العلماء.
(١٠) مثير الأحزان ص٤١، اللهوف ص٢٦، كشف الغمة ٢٩/٢، بحار الأنوار ٤٤/ ٢٦٦.
(١١) هكذا وصف الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته، راجع: تاريخ الطبري ٣١٧/٤، الإرشاد ٩٣/٢، الكامل ٥٥٩/٢، أعيان الشيعة ٩٠٠/١.
(١٢) تاريخ الطبري ٣١٨/٤، الكامل في التاريخ ٥٥٩/٢، الإرشاد ٩٤/٢.
(١٣) أدب الطف ٤٤/٨ للشيخ حسون العبد الله.
(١٤) سورة الأنبياء، الآية/ ١٧.

عن ثابت ابن أبي صفية الثمالي قال: نظر علي بن الحسين سيد العابدين إلى عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام فاستعبر ثم قال:

ما من يوم أشد على رسول الله صلى الله عليه وآله من يوم أحد، قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب. ثم قال عليه السلام: ولا يوم كيوم الحسين، ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنهم من هذه الأمة كل يتقرب إلى الله عزوجل بدمه وهو بالله يذكرهم فلا يتعظون، حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً.

ثم قال عليه السلام: رحم الله العباس فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه، فأبدل الله عزوجل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب عليه السلام وإن للعباس عند الله عزوجل منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة.

بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٢٩٨

ثورة الإمام الحسين عليه السلام

• الشيخ محمد عبدالحسن الغراوي
كلية الدراسات الإسلامية/ جامعة الكوفة

كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام ومازالت في إطارها العقيدي المتميز، منفتحة على خط العطاء الإنساني بأروع دلائل الأصالة وعمق المحتوى، لا لأنها حسمت بإيجابياتها قضية مصيرية حادة على مستوى الوجود الإسلامي في حينه، ورفضت بدعم من تراثها الروحي كل الموحيات (المزكرشة) التي كان يروجها ويدعوا إليها الانهزاميون والسلبيون والجبناء، بل لكون هذه الثورة الغنية بالمبادرات الهادفة ساهمت بشكل موضوعي في رص وتقييم دور الإنسان على امتداد سلوكه وتفاعله مع الأحداث.

والحقيقة أن الفكر الإسلامي الذي وهب ثورة الحسين كل مبررات الصمود بوجه السلطة القائمة يومئذ على أساس أنها كانت تمثل إرهاصاً طبقياً تخلف عن الأطروحة الإسلامية، وتحرك نحو ردة جاهلية... هذا الفكر بقدر ما وهب وما أعطى ربح في الثورة الحسينية تجربة رائدة متكاملة، يجد فيه الثوار والرواد والمتطلعون إلى الغد الأفضل على المدى البعيد والقريب، الفنار الذي يشرئب نحو الريان، والمشعل الذي يمزق العتمة ويفتح الطريق، والمعين الثر الذي يمد طلائع الفتح بالمثل والمفاهيم والقيم.

إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام أقامت العالم الإسلامي وأقعدته من يومها إلى يومنا ومن يومنا إلى ما شاء الله من أيام الدهر وهي ثورة عاشوراء التي مثل فيها بطل الإسلام الخالد أبو عبد الله الحسين عليه السلام رواية الفضيلة على مسرح الإباء.

كانت ثورة الحسين عليه السلام على يزيد ثورة أمة على حاكم لا يصلح للحكم

وإمام لم يتوفر فيه ما يجب أن يتوفر في المليك الحاكم والإمام القائم من عدل وأخلاق وعلم وإيمان وفي هذا ما يدل على أن الإسلام لا يؤيد الحاكم الطاغية ولا الأمير العاتي.

ولهذا حين تنبسط أمام الفكر رحاب جديدة تزيد من نموه وتطوره وديناميكيته، تتألف ثورة الإمام عليه السلام كتراث إنساني محض تمخض عنه ذلك الصراع الرهيب بين الحق والباطل، بين التقدم والتأخر، بين التوحيد والشرك.

وفي مثل هذا المناخ تتحول ثورة أبي الشهداء عليه السلام إلى عامل تحفز ودفع... تحرك في أعماق الناس مشاعر التحسس... تزرع في قلوبهم روح المفاداة، تزيح عن أذهانهم كابوس التردد والخوف.

ولا تسلني بعد ذلك عن صدى هذه الثورة الفاعلة لدى أهلها، لدى المتمسكين منهم على هامش الحياة، المتكورين هنا وهناك كقطعة قماش في قعر جدول ضحل!!

هؤلاء لهم مع الحسين عليه السلام موقف لا أسميه دفعوا معطيات شهادته عن محجتها من خلال حفنة من الانفعالات المهزوزة، طوحوا بكل قدراتها المتفوقة عن طريق تفسيرات طوبائية متكلسة بعيدة عن مضمونها الأساس، أضعفوا تماسكها النضالي بالجعجعة والتصرف العشوائي المشين.

وبذلك تعرض خط هذه المسيرة المقدسة إلى عملية تضاغط وزحزحة كان لها أبعد الأثر في إضعاف دور (التجربة) في حياتنا العامة وإبطال مفعولها الجريء الحاسم. وإلا بم تفسرون موقف أمة تملك رصيداً عالياً من الممارسات على صعيد النظام الدامي وفي مقدمتها شهادة الحسين عليه السلام، ثم تفقد هذه الأمة فجأة كل خصائصها في هذا المسار لتبدو هكذا... أمة مستضعفة مشغولة بترقيم وتسمية هزائمها نكبة ثم نكسة. ولا أجد سبباً يكمن وراء المسألة برمتها غير تمرد هذه الأمة على عقيدتها... عقيدتها التي صنعت بها المعاجز.

أراد الأمويون القضاء على الحسين عليه السلام وعلى ذكره وشرفه فطافوا برأسه في الأمصار وقالوا إنه باغ وخارجي ولكن الأقدار عكست الغاية من تلك الإرادة فشيدت للرأس في كل موضع حل فيه مزاراً ينطق بعظيم منزلته ورفيع مقامه حتى في عاصمة الأمويين نفسها. وها هو حرمه في القاهرة لا يقل روعة وجلالة عن الحرم الذي شيد فوق جسده الطاهر.

ولو أن كل قطرة من دمه الزكي سقطت في صقع من الأصقاع لهيئت الأقدار أناساً يقيمون عليها مشهداً يقصده المسلمون للعبرة والذكرى.

وهكذا تكون عاقبة كل دم يراق في سبيل الحق الخالص مادامت الأرض أرضاً والسماء سماءً، أجل إن صفحة النهضة الحسينية المباركة لا تزال عنوان تاريخ الإسلام والصفحة الخالدة الوضاءة في سجل الأحرار وهي منه كالفاتحة من الكتاب.

أليس في قول الحسين عليه السلام: (والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد) درس وأي درس وطني، كأنه يقول: إذا أردتم

أن تكونوا أحراراً في بلادكم وأن لا يكون لأجنبي سلطان عليكم فاقتدوا بي ثوروا في وجه الظلم كما ثرت وضحوا من أجل المبدأ والكرامة كما ضحيت.

ومازالت هذه الثورة الخالدة يتضوع أريجها ويتجدد صداها ما كر الجديدان، ولقد ضرب الإمام المرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في بعض كتاباته عن هذه الثورة مثلاً أحاط بحقائق الموقف ووقائعه قال: خذ إليك مثلاً على ذلك القرآن العظيم فقد مضى على نزوله من المبدأ الأعلى من السماء الأسمى إلى هذه الأرض السفلى زهاء أربعة عشر قرناً ـ ألف سنة وزهاء أربعمائة عام ـ من الصدر الأول إلى اليوم تنشر عنه المقالات وتؤلف المؤلفات مطولة ومختصرة ولكن أترى أن جميع أولئك الكتبة بلغوا من عظمة مقداره عشر معشاره أو وزنوا دانقاً من قنطاره أو انتهلوا القطرة من بحره أو اهتبلوا الذرة من ذروته لا ولا وكلا، ولقد أحسن ابن الفارض فيما فرض من عرفانياته حيث قال:

وعلى افتتان الواصفين بوصفه

يفنى الزمان وفيه ما لا يوصف

ومن هذا القبيل وعلى هذا السبيل فاجعة الطف التي لازال المؤرخون وأرباب السير والمقاتل والفلاسفة والأدباء وكتبة الشرق والغرب يكتبون عنها باحثين عن جريان سيرها وتسلسل أسبابها واليم وقعها وعظيم هولها نظماً ونثراً، تمثيلاً وتحليلاً وكل ما قيل في هذه الحادثة النكراء التي ما حدث في عصر من العصور نظيرها ولا حدَّث التاريخ بمثلها، ولكن كأن كل من كتب فيها أوجز أو أطنب قصر أو أطال ما اعترضها إلا من وجهتها السطحية ولا تناولها إلا من ناحيتها التاريخية.

إن الحسين عليه السلام فتح أمام الأمة بنهضته آفاقاً واسعة وأنار بثورته الحقة سبل الرشاد، وأرسى قواعد المجتمع وألهب الروح الإسلامية في الأمة وبث فيها قوة العزيمة والصمود وكيف لا وهو ذلك القبس الذي أنار الوجود وطهره من الرجس، لأنه كان سلام الله عليه إماماً حقاً ومنقذاً للدين ورحمة للأمة وروحاً للحق ورمزاً للنبل ونبراساً للفضيلة وموئلاً للضعفاء ومثالاً للعقيدة ونوراً وهاجاً يسطع أمام الأجيال المتطلعة إلى الحرية والفداء، تلك شعلة الحسين عليه السلام الوضاءة كما سجلها التاريخ بأحرف من نور ودم فكانت سجلاً للفخار والوفاء والتضحية ونكران الذات، ووفاءً للدين. فما أحرانا ونحن نسبح في هذه الذكرى العطرة أن نستلهم منها الدروس والعبر ونحن الذين ننوه بهذه الشعلة يلزمنا أن نكون واقعيين في تقديرنا للإسلام وأبطاله، ومعنى صدقنا وواقعيتنا أن نمثل الإسلام في أفعالنا وتروكنا ونعزز موقف رجاله وأبطاله بأعمالنا الإيجابية تعزيزاً يكون أثره الخارجي شعار صدقنا وأما لقلقة اللسان وتزويق الألفاظ حول هذه النقطة مما يكرر علينا الكذب ويثبت أننا أناس انتهازيون نقول بألسنتنا مصالح مادية رمزية ما ليس له في قلوبنا عين ولا أثر، لأن في نسيان القيم الروحية خسارة عظمى للفرد والمجتمع ■

شيخ المجاهدين والخطباء
العلامة محمد علي قسّام

• أحمد الكعبي الطويرجاوي

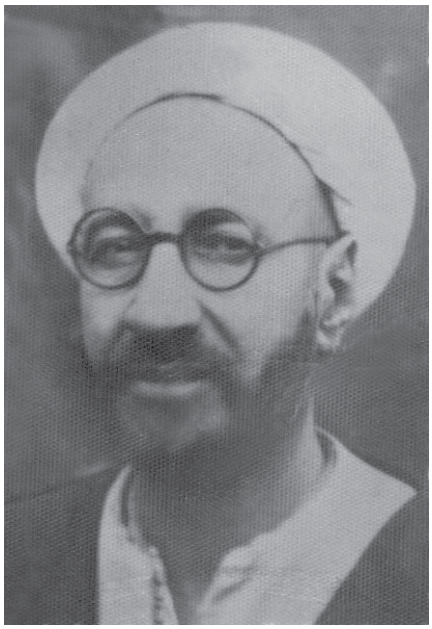

نسبه وولادته ونشأته:

هو الشيخ محمد علي بن حمود ابن خليل القسّام الخفاجي، كان خطيباً بارعاً مفوهاً ومجاهداً معروفاً.

و(آل القسّام) من بيوت النجف الأشرف المعروفة، وقد ظهر فيهم عدد غير قليل من أهل الفضل والأدب.

ولد في النجف الأشرف عام (١٢٩٩هـ) وتوفي أبوه وهو ابن عامين فرعاه أخوه الشيخ قسام المتوفي عام (١٣٣١هـ)، أحسن توجيهه، قرأ العلوم واتقنها وبرع في الأدب وقرض الشعر، اتجه إلى الخطابة فأخذ فنونها من الخطيب المرحوم الشهيد الشيخ محمد ثامر ونهج منهجه في الخطابة، وقد وهبه

الله تعالى صوتاً عذباً وطريقة حسنة في الأداء وأسلوباً مؤثراً، فساعدت تلك العوامل مجتمعة في تكوين شخصيته المتميزة وإقبال الجمهور على مجالسه.

شارك بدور فاعل ومؤثر في الجهاد ضد الاحتلال الإنكليزي للعراق، وذلك عبر خطبه الحماسية، إذ كان يرقى منبره في الروضة الحيدرية والمسجد الهندي فيلهب حماس الناس ويهيج عواطفهم ويدعوهم للالتفاف حول زعماء الدين في النضال والجهاد ضد الاحتلال الإنكليزي الغاشم.

وبعد أن احتل الإنكليز مدينة النجف الأشرف هرب إلى بدرة بإيعاز من العلماء، وقد تدخل في أمره قاضي بدرة العلامة السيد عبد الهادي الموسوي وبعض العلماء والسياسيين، فسمح له بالعودة إلى النجف إلا أنه مُنع من الخطابة وارتقاء المنبر الحسيني.

ولكن عندما تولى الملك فيصل الأول عرش العراق عاد إلى ممارسة الخطابة والإرشاد والقراءة لمصاب الإمام الحسين عليه السلام وقد علت مكانته وعظم شأنه واتسعت شهرته على مر الأعوام وكثر عشاق أسلوبه والمعجبين بخطبه حتى أصبح ثاني اثنين، أولهما خطيب العراق الشهيد السيد صالح الحلي، غير أنه امتاز بحسن التوجيه والاتزان في آرائه وتصرفاته.

وله من الآثار المطبوعة والصدقات والباقيات الصالحات له في التأليف:

١ـ أسنى التحف في شعراء النجف.
٢ـ نفائس المجالس في شتى الفنون.
٣ـ الأخلاق المرضية في الدروس المنبرية.

تخرج من تحت منبره عدة خطباء كبار وهم من المشاهير منتشرون في البلاد الإسلامية الواسعة منهم:(الدكتور أحمد الوائلي، والشيخ باقر المقدسي، والسيد جابر آغائي) وغيرهم.

أعقب الشيخ الخطيب محمد علي القسّام أبنا أربعة هم (الشيخ حمد، والحاج رؤوف، وعباس، ومحمد رضا).

وفاته:

لبى نداء ربه تعالى في العاصمة بغداد ليلة الجمعة (٢٤) جمادى الأولى عام (١٣٧٣هـ) المصادف (٢٩) كانون الثاني عام (١٩٥٤م) وحُمل جثمانه الشريف إلى النجف الأشرف بتشييع كبير ودفن من مدخل باب الطوسي في إحدى حجرات صحن الروضة الحيدرية وأُقيمت له عدة مجالس الفاتحة في داخل العراق وخارجه واجتمع بذكراه الأربعين عدد من العلماء والخطباء وأهل العلم والفضيلة وابنه سماحة آية الله الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء قدس سره.

ابنه ورثاه كثير من الخطباء نختص منهم الخطيب الشهيد السيد جواد شبر قدس سره قال في رثائه لفقيد العلم والمنبر الشيخ القسّام قدس سره:

سند الشريعة في جميع الأعصرِ
هذي الروائع من خطيبِ المنبرِ
ذاك الذي يمسي ويصبح ناشراً
علم الجهاد كقائد في عسكرِ
أمعلم الأجيال تنثر جوهراً
فكأن صدرك معدن من جوهرِ

شيخ المجاهدين والخطباء الشيخ محمد علي قسّام

يا منبر الإسلام دمت متوّجاً
بالأنجبين وكل ليث قسورِ
يا منبر الإسلام دمت مضمخاً
بالرائعات من الفم المتعطرِ
ومجالس هي كالمدارس روعة
أم لكل مهذب متنورِ
المنبر العالي رسالة مرشد
جاءت لعقل النابه المتحررِ

المنبر العالي حكيم مبصر
يصف الدواء بحكمة المتبصرِ
يا فارس الميدان عز عليَّ إنْ
تهوي وحولك سابقات الضمرِ
يا من إذا أرسلت لفظك لؤلؤاً
جرت العيون بلؤلؤ متحدرِ
أو قمت في أعلى المنابر خاطبا
فكأن قولك ريشة لمصورِ

الحسين(ع) ثورة الفكر

• عبد الكريم كاظم أبو صيبع

جرحك شمسٌ والدِما موكب
فليكتب التاريخ ما يكتبُ
ثرت فمزقت سدوف العمى
ونهجك الحق به تغلبُ
طلعت للموت بسوح الوغى
تعيد للإسلام ما غيبوا
أنت وإخوانك للمرهفات
وثورة الفكر لها زينبُ
والصحب من حولك إضمامة
والطفل في حجر الهدى كوكبُ
يلوح في بسمته طالعاً
وبالدما من أفقه يغربُ
ونسوةٌ مذعورة في العرى
والموت في آفاقها يلعبُ
بادية حسرى وأطفالها
صرعى على وجه الثرى تصلبُ
وأنت يا ابن المصطفى ثورة
ومصحف وصارمٌ يُلهبُ

ذكرى أبي الشهداء عليه السلام

• هادي عيسى الحكيم

إن النفس لتهتز حزناً وأسفاً كلما حلّت هذه الذكرى، وتمثلت للخاطر هذه الفاجعة المؤلمة التي أُغتيل فيها ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ونجل إمامنا علي بن أبي طالب عليه السلام. على هذه الصورة التي خلفت لنا جُرحاً دامياً في تاريخ الإسلام لأنها مثلت منتهى ضروب القسوة وأبشع أنواع الظلم وأشد ألوان الإجرام.

ولقد مرت على هذه الحادثة مئات السنين ولكن ذكراها لا تزال حية في الصدور تثير لواعج الأسى وكوامن الحزن لأن الحسين عليه السلام كان رجل دين وزهد.

وكان لا يريد القتال وإنما خرج مع نفر قليل من صحابته فأحاطته جيوش الغدر والخيانة وحرمته من الماء وأكرهته على القتال هو وجماعته وقتلوه هو وجماعته وسبوا النساء والأطفال وهم يعلمون أنهم قد قتلوا الحسين عليه السلام وهو على حق وهم على باطل.

ولم يكتفوا بذلك بل مثّلوا بالقتلى والشهداء تمثيلاً فظيعاً تأباه الإنسانية ويستذكره كل مَن في قلبه ذرة من الضمير والوجدان وأن قتلة الحسين عليه السلام هم من المجرمين السفاكين الذين باعوا آخرتهم بدنياهم وقد حقت عليهم لعنة الله والتاريخ والأجيال المتعاقبة على مدى الدهور والأزمان وأصبح مأواهم جهنم وساءت مصيراً.

فالفجيعة بالحسين عليه السلام يجب أن تكون فجيعة كل مسلم صادق في إسلامه لأن الحسين عليه السلام لجميع المسلمين على السواء فذكرى اغتياله عليه السلام من قبل زبانية الكفر والمارقين عن الإسلام واستشهاده في سبيل الحق والعدل والإنصاف وتضحيته بنفسه في هذا السبيل توجب علينا الإشادة بها لأنها رسمت لنا بطولة خارقة وكشفت لأبصارنا الأنوار التي تحيط بهذه الذكرى العظيمة والفاجعة الأليمة في التاريخ الإسلامي. وهذا الحسين عليه السلام وجماعته من المجاهدين الأبرار ضحّوا بأنفسهم في سبيل عقيدتهم لأنهم آثروا آخرتهم ونعيمها على دنياهم فأصبحوا من الخالدين.

وهذه ذكراهم تعطر أجواء العالم الإسلامي فتثير في النفس روعة التضحية والتمسك بالمبدأ والعقيدة لقد كان الحسين عليه السلام علماً من أعلام الحق والحرية والفضيلة في صدر الإسلام فأرادوا إكراهه على التخلي عن هذه المبادئ السامية فأبى وهو يعلم أنه سيقتل.

كان موقفه عليه السلام في كربلاء ذلك الموقف الذي لم يعرف التاريخ أروع ولا أقوى ولا أسمى منه حينما وقف يحارب الباطل. هذه المعاني السامية التي تمخضت عنها ثورة الحسين عليه السلام الخالدة التي تتجدد ذكراها كل عام.

إن الحسين عليه السلام نشأ في عهد جده رسول الله صلى الله عليه وآله وقد اجتمعت عنده الخصائص والمميزات الإسلامية كافة ولم يعرف لأحد من أبناء الصحابة سواه باستثناء أخيه الحسن عليه السلام، كان الحسين عليه السلام ممثل الخصائص الإسلامية وداعيتها وهذه هي نشأته الدينية.

يلزمنا بعد ذلك أن نعرف من هو يزيد بن معاوية نشأته... وقد نشأة نشأة مسيحية تبعد كثيراً عن عرف الإنسان وأنه يرجع بالأمومة إلى بني كلب هذه القبيلة التي كانت تدين بالمسيحية قبل الإسلام. أما عقليته كانت غبية جداً وتبعد كثيراً عن العقلية الواقعية[1].

وأعظم جريرة ارتكبها معاوية أخذه البيعة لولده يزيد وليس فيه خصلة واحدة تؤهله للخلافة لقد كان يزيد شريباً للخمور لاعباً بالطنبور فاسقاً فاجراً فمعاوية جنى جنايتين على الإسلام جناية بتوليه أمر المسلمين وغصبه علياً عليه السلام خليفة الرسول الأمين صلى الله عليه وآله والجناية الأخرى أخذه البيعة بالسيف لولده يزيد.

وأما غشه وخداعه فيكفيك ما أنزله بعبد الله بن سدام القرشي وزوجته أرينب بنت إسحاق. هذا معاوية الأموي وهذه عقيدته وهذه سيرته.

إن نهضة الحسين عليه السلام كانت صراعاً بين الحق المقدس وبين القوة الفاجرة الأثيمة وقد وضع برامجها في كلمته الخالدة حينما اعتزم المسير من البطحاء (ألا ومن كان فينا باذلاً مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني راحل مصبحاً إنشاء الله) إن هذه الكلمة البليغة الواضحة الصريحة هي ركيزة المبدأ

الإصلاحي وأن بذل المهج الغوالي في سبيل المبدأ السامي وتوطين النفوس الكريمة على لقاء الله لا يقوم به إلا الشهداء الأبرار... أمثال أصحاب أبي عبد الله عليه السلام الأطهار وأولئك قليل كما قال أبو الشهداء عليه السلام في حومة الطف (ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة. يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام) يقول الشاعر السيد حيدر الحلي:

كيف يلوى على الدنية جيداً
لسوي الله ما لواه الخضوع
فأبى أن يعيش إلا عزيزاً
أو تجلى الكفاح وهو صريع

هكذا انتصر الحسين عليه السلام لا بالعُدة والعدد بل بالسمعة والمجد والذكر وهزم يزيد لا بالجيش والرجال بل بالكرامة والخصال فالحق لا ينخذل والباطل لا ينتصر. وها هي الأجيال تذكر يزيد باللعنة واللؤم والجبن وتذكر الحسين عليه السلام بالشهامة والشرف. لم يَمُت الحسين عليه السلام بل لا يزال حياً يوحي إلينا بالقوة والإقدام. أشهد أنك قد جاهدت في سبيل أن يكون الدين كله لله وأنك أديت الأمانة وقدمت حياتك وحياة أهليك وحواريك ثمناً لذلك فسلام الله عليك يا مولاي يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حياً ■

(١) أشعة من حياة الحسين، عبد الله العلايلي.

عن الحسن بن علي الناصري، عن أبيه، عن أبي جعفر الثاني، عن آبائه عليهم السلام قال: قال علي بن الحسين عليهما السلام: لما اشتد الأمر بالحسين بن علي بن أبي طالب نظر إليه من كان معه فإذا هو بخلافهم، لأنهم كلما اشتد الأمر تغيرت ألوانهم، وارتعدت فرائصهم ووجلت قلوبهم، وكان الحسين عليه السلام وبعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم وتهدئ جوارحهم، وتسكن نفوسهم. فقال بعضهم لبعض: انظروا لا يبالي بالموت، فقال لهم الحسين عليه السلام: صبراً بني الكرام فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة، فأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر؟! وما هو لأعدائكم إلا كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب. إن أبي حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والموت جسر هؤلاء إلى جنانهم، وجسر هؤلاء إلى جحيمهم، ما كذبت ولا كذبت.

بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٢٩٧

قصيـدة:

رمز الفداء

• شعر
السيد عبد الأمير جمال الدين

هتفتُ باسمكَ في داجٍ منَ الظلمِ ... فبادَ دَيجورُها مـنْ أحـرفٍ بفمي
نسجتُ منها لقلبي حلةً حرقتْ ... بالنارِ نـارَ الأسـى والهولِ والسَقمِ
سكبتُ من فوقها ماءَ العيونِ عَسى ... أن يطفئ الدمع ما بالقلبِ مِن ضَرمِ
اللهُ يـا واهـبـاً ديـنَ الـهـدى دمه ... يا منقذَ الشرعِ من أظفارِ مُنتقمِ
تُعطي دمـاءً ونعطي أدمُـعـاً أَتـرى ... دَمعاً حَروناً يجافي تـارةً كَـدَمِ؟!
أعطيتَ للساح نفساً كلّها كرماً ... «والجودُ بالنفسِ أقصى غاية الكرمِ»
يا مبكي الملأ الأعلى دمـوعَ دمٍ ... يا ملهبَ الأنفسِ الغَيرى لظى ألَمِ
رقيتَ صهوةَ تـاريـخٍ يميدُ أسىً ... ينوشُه الظلمُ في أنـيـابِ مُلتهمِ
بـزغـتَ للشرعِ قِنديلاً يُصارِعُه ... ليل بريحِ الهوى والشركِ والعدمِ
حملتَ قلبَ النبي المصطفى ويدَ الو ... صي تَرمي قلوبَ الشركِ بِالضَرمِ
وقمتَ تبعِدُ كُفرَ الجاهليةِ عَن ... دنيا الشريعةِ بـالإقـدامِ وَالشممِ
وَلـم تـمـد لأبـنـاءِ الـبـغـاةِ يَـداً ... ولمْ تضعْ فوقَ دربِ الذلِّ مـن قَـدمِ
وثـرتَ تـبـعـثُ أصـداءً مـدويّـةً ... وَمسمعُ الدهرِ مِنها صارَ ذا صَمَمِ
تبقى إلـى آخـرِ الأجـيـال جامحة ... فـي أنّـةِ الليلِ والأيـام فـي هَـرمِ
تبثُها وَهـي لا زالـتْ مُجلجلة ... نـامَ الفنا دونَـها طـراً ولـمْ تنـمِ
رقَّتْ على عالمِ الذِكرى فذابَ بها ... صوتُ النبيِّ وصوتِ الحقِّ وَالقيمِ
شـكـتْ شَـريـعـةُ طـه لابنِها ظَمأً ... فقامَ يهتفُ: باسمِ اللهِ هـاكِ دَمي
فقد رَأى الموتَ عِزاً والحياةَ مَع الطا ... غـيـنَ ذُلاً وَيـا لـلـذلِ مـن بَـرمِ
فـثـارَ يـرفـلُ بالعزمِ المتينِ وَفي ... فـؤادِهِ عـيـنُ ذكـرِ اللهِ لـمْ تَنـمِ

قصيـدة:

من كالحسـين؟

• شعر
كاظم محمد النقيب

أقصر خطاك فكل حي يُقبض ... ولأمـر خالقه غـدا لا يرفض
لابـد مـن مـوت ففكر وانتبه ... واعـمـل لما فيه غـداً تتعوض
أيـام عـمـرك تنقض وكأنها ... حلم يمر وأنـت عنها معرض
ذهـب الشباب فـأي عمر بعده ... وأتى المشيب وشعر رأسك أبيض
روّض حياتك للعبادة والتقى ... لا خير في نفس لها لا تُروض
عفر جبينك في التراب تواضعا ... واسجد لربك خاشعاً لا تعرض
ودع التكبر للتواضع رفعة ... إن التكبر للمطاول يخفض
واصبر على حلو الزمان ومره ... إن الـزمـان بغير صبر يحمض
وعليك بالدين الحنيف تمسكاً ... واعمل به ولحكمه لا ترفض
وعليك بالقرآن فاستمسك به ... آيـاتـه بـرهـانـهـا لا يدحض
وبعترة الـهـادي النبي تمسكاً ... إن الشريعة فيهم لا تنقض

* * * * *

يـا آل بيت محمد إنـي بكم ... متعلق ولغيركم أنـا أرفـض
أجـد الرسالة فـي مودتكم به ... حكم من الرحمن جاء يحرض
بإطاعة الرحمن طاعتكم أتت ... يأمر بها الله العظيم ويفرض
من أجلكم أحببت من قد حبكم ... وعـدوكـم أنـي لـه أتبغض
أنتم هـداة الخلق والنور الذي ... منكم يشع على البرية يومض
أنتم ولاة الأمـر سـادات الورى ... وعليكم الأعمال دومـاً تعرض
أيسركم ما نحن فيه من أذى ... وعـدونـا منا الـكـيـان يقوض
فـي كـل يـوم طعنة بظهورنا ... أحداثها عـن ذبحنا تتمخض
فـي كـل أرض فتنة بصميمنا ... أحـقـادهـا بـصـدورنـا تتغيض

هــذا الحسين وهــذه آثــاره ... طبع على حي الضمائر يربض
هــذا الحسين وهــذه زواره ... تــهــوي إلــيــه تشمه تتريض
هـذا الحسين بكل قلب مؤمن ... نبض بشريان المحبة ينبض
فــتــراه يغتنم المناسبة التي ... لزيارة السبط المبجل ينهض
يــأتــي إلــيــه بلهفة وشــعــاره ... حب الحسين به يحب ويبغض
كــم ظالم منع الــزيــارة ممعناً ... في صدهم أجفانه لا تغمض
قد باء بالفشل الذريع وقد هوى ... بجهنم ولــذنــبــه لا يرحض

* * * * *

أين الطغاة الظالمون فذكرهم ... يــأتــي ولــكــن للمذمة يعرض
قد حاربوا السبط الشهيد بزعمهم ... وبحربه عن حضهم قد أعرضوا
وهــم دعــوه لنصره فأجابهم ... لكنهم لعهودهم قــد أنقضوا
وتــحــشــدوا لقتاله فدعاهم ... لحياتهم لكنهم قــد أرفضوا
فانصاع يخطب فيهم بمهند ... تــرك الــعــدو وشمله يتقوض
لكنما شــاء الإلــه بــأن يــرى ... سبط النبي على الثرى لا ينهض
فــأجــاب داعــيــه وســلــم أمــره ... لله فــي مــرضــاتــه يتمحض
ليفوز في دحــر الضلال بقتله ... وإليه يجتذب القلوب يعوض

* * * * *

من كالحسين فتى يجود بنفسه ... من أجل شرعة جده لا تجهض
أولاد إخوته استعدوا للردى ... من بأسهم جيش العدا يتبعض
كالقاسم المغوار في حملاته ... وبرجله نحو المنية يركض
أحلى من الشهد المصفى عنده ... نيل الشهادة دون عــم ينهض
أطفاله بــدم الشهادة خضبوا ... ورضــيــعــه بــلــســانــه يتلمض
وعليله السجاد أضناه السرى ... شــاء الإلــه بــأنــه يتمرض
وعياله أســرى سبايا والعدا ... تحدوا بها وقلوبها تتمضض
ترنوا إلى الرأس الشريف على القنا ... وعــيــونــه تــرعــاهــم لا تغمض

وفد الشعراء في شهر محرم

• علي سعد النجفي

ما أن تمت بيعة الإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد في شهر رمضان المبارك من سنة (٢٠١هـ) حتى أمر المأمون العباسي ولاته وعماله على الأمصار بقراءة نص وثيقة البيعة على منابر الجمعة، فذهل الناس عند سماعهم هذا الخبر فكيف يصدق بأن خصوم البارحة أصبحوا أصدقاء اليوم، وعلى الرغم من ذلك فإن هذا الخبر قد أدخل الفرح والسرور على شيعة آل الرسول صلى الله عليه وآله ظناً منهم باقتراب الفرج حيث سيرجع الحق إلى نصابه فدفع بالكثير من الموالين والمحبين لأهل البيت عليهم السلام بالتوجه إلى خراسان من أجل تقديم التهاني للإمام الرضا عليه السلام.

في ذلك الوقت كان الشاعر المعروف دعبل بن علي الخزاعي في أرض مصر وفور سماعه خبر بيعة الإمام الرضا عليه السلام شدّ الرحال صوب بغداد وقرر في قرارة نفسه زيارة الإمام الرضا عليه السلام في خراسان، وفي بغداد التقى بصاحبه الشاعر المعروف (إبراهيم بن العباس الصولي) وعلى الرغم من فارق السن بينهما إلا أن الشعر قد ألّف بينهما فكانا لا يفترقان. فدعبل الخزاعي قد بلغ من العمر الرابعة والخمسين بينما كان إبراهيم في السادسة والعشرين من العمر، وما أن سمع إبراهيم بنية صاحبه في السفر إلى خراسان عزم على مرافقته فالشعراء في ذلك الوقت يستغلون مثل تلك الأحداث لمدح الملوك والأمراء من أجل الفوز بالجوائز الثمينة وكان دعبل معجباً بشعر إبراهيم وكان يقول: (لو تكسّب إبراهيم بن العباس

بالشعر لتركنا في غير شيء وكان يستحسن قوله:

إن امرءاً بمعروفه
عنى لمبذولٌ له عذري
ما أنا بالراغب في عُرفه
إن كان لا يرغب في شكري

وكان لإبراهيم أخ يُقال له (عبد الله بن العباس) كان شاعراً كاتباً ومن وجوه الكتاب، وكان عبد الله أسنهما وأشدهما وأوفاهما تقدما، وكان إبراهيم أحسنهما شعراً وأدباً. فقرر أن يلتحق بركب أخيه ويتجه صوب خراسان، وما أن سمع (رزين بن علي) شقيق دعبل عزم هو الآخر على مرافقة أخيه، ومن بغداد مركز العلم والأدب انطلق الركب نحو خراسان والذي ضم كل من الشعراء الأربعة: (دعبل بن علي الخزاعي، وأخيه رزين بن علي الخزاعي، وإبراهيم بن العباس الصولي، وأخيه عبد الله بن العباس الصولي).

وبما أن أكثر المؤرخين قد أهملوا قضية هذا الوفد استطعت أن أقوم بجمع الأخبار من هنا وهناك في مصادر شتى من أجل تثبيت هذه الحقيقة التاريخية وفي البداية سنشير في هذا المقال المتواضع عن ترجمة مختصرة لكل شاعر وبشيء يسير فيما يتعلق في إطار هذه الحادثة.

١ـ دعبل بن علي الخزاعي[١]:

ولد في سنة (١٤٨هـ)، شاعر مشهور كان فصيحاً شهد له بذلك أشعر شعراء عصره كان شجاعاً قوي النفس فطناً ذكياً عالماً مؤلفاً متشيعاً لأهل البيت عليهم السلام سكن بغداد وجاب البلاد متنقلاً بين الشام ومصر وبلاد المغرب وخراسان مدح الملوك والأمراء وأخذ جوائزهم، وهجا جملة منهم لسوء عقيدته فيهم بإساءتهم إلى أهل البيت عليهم السلام وكان يقول: (لي أربعون سنة أحمل خشبتي على كتفي ما أجد من يصلبني عليها) له مصنفات عديدة منها (طبقات الشعراء) و(الواحد في مثالب العرب ومناقبها).

عاصر الإمام الكاظم عليه السلام ولقي الإمام الرضا عليه السلام وقصده في مرو وأنشد تائيته المشهورة ولقي الإمام الجواد عليه السلام.

كان كثير الهجاء ولا يسلم من لسانه أحد وكان ممن هجاهم (مالك بن طوق) بهذه الأبيات:

إن ابن طوق وبني تغلب
لو قتلوا أو جرحوا قصره
لم يأخذوا من دية درهما
يوماً ولا من أرشهم بعره
دماؤهم ليس لها طالب
مطلولة مثل دم العذره
وجوههم بيض وأحسابهم
سود وفي آذانهم صفره

فبعث إليه مالك رجلاً حصيفاً مقداماً وأعطاه سماً وأمره أن يغتاله كيف يشاء وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم فلم يزل يطلب دعبل حتى وجده في قرية من نواحي السوس فاغتاله بعد صلاة العتمة فضرب قدمه بعكاز لها زج مسموم فمات من الغد ودفن بتلك القرية وقيل بل حمل إلى السوس فدفن فيها سنة (٢٤٦هـ) وقد بلغ من العمر (٩٨) عاماً.

٢ـ إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول[٢]:

ولد في بغداد سنة (١٧٦هـ) وأصله

من خراسان وجده (محمد بن صول) من رجال الدولة العباسية ودعاتها، نشأ إبراهيم في بغداد وفيها أخذ العلم والأدب، قصد الإمام الرضا عليه السلام في خراسان مع أخيه عبد الله، اتصل بالوزير (الفضل بن سهل) ومدحه بهذه الأبيات:

لفضل بن سهلٍ يدٌ تقاصر عنها المُثُل
فباطنها للندىً وظاهرها للقُبَل
وبسطتها للغنى وسطوتها للأجل
من الفضل أمواله ومن سائليه الأقل

فرفع منزلته وأخيه وقربهم إلى الخلفاء فكان كاتباً للمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، كان كاتب العراق في عصره، تنقل في المناصب الجليلة والدواوين إلى أن مات وهو يتقلد ديوان الضياع والنفقات بسامراء سنة (٢٤٣هـ)، وكان (العباس بن الأحنف) الشاعر خاله، له مصنفات عديدة منها (ديوان رسائل) و(ديوان شعر) و(كتاب الدولة) وهو كتاب كبير و(كتاب العطر) و(كتاب الطبيخ) أثنى عليه الكثير من الأدباء وقالوا في حقه:

أبو تمام: (لولا أن همة إبراهيم سمت به إلى خدمة السلاطين لما ترك لشاعر خبزاً - يعني لجودة شعره -).

المسعودي: (لا يعلم فيمن تقدم وتأخر من الكتاب أشعر منه).

أبو زيد البلخي: (كان إبراهيم من أبلغ الناس في الكتابة حتى صار كلامه مثلاً).

٣- عبد الله بن العباس بن محمد بن صول[٣]:

لم أعثر على ترجمة كافية في المصادر الموجودة عندي سوى أنه (كان من وجوه الكتاب، وكان عبد الله أسن وأشد وأوفى تقدماً من أخيه إبراهيم، وكان إبراهيم أحسن منه شعراً وأدباً، وأنه وهب لأخيه إبراهيم ثلث ماله ولأخيه الآخر الثلث وصار مساوياً لهما فقال إبراهيم في حقه:

ولكن عبد الله لما حوى الغنى
وصار له من بين إخوته مال
رأى خُلَّةً منهم تُسَد بماله
فساهمهم حتى استوت بهم الحال

٤- رزين بن علي الخزاعي:

شاعر، أخو دعبل بن علي الخزاعي قصد الإمام الرضا عليه السلام بعد ولاية العهد مع أخيه دعبل والشاعر إبراهيم بن العباس الصولي (ولم أعثر على معلومات كافية عنه).

في الطريق إلى خراسان:

انطلق الركب من بغداد ولم يزل يجد في السير نحو خراسان وعلى الرغم من بُعد المسافة إلا أن الوقت يمضي بسرعة بوجود الأنيس المسامر فكان الشعراء الأربعة يتبادلون فيما بينهم الشعر ويتلذذون بالحديث وسماع الأخبار، إلى أن قطع اللصوص عليهم الطريق وسلبوا ما لديهم فلم تكن الطرق آمنه في ذلك الوقت فالتجؤا إلى بعض القرى إلى أن ركبوا إلى بعض المنازل حميراً كانت تحمل الشوك فقال إبراهيم وأنشد:

أعيدت بعد حمل الشوك أحمالاً من الخزف
نشاوى لا من الغمر بل من شدة الضعف

ثم قال لرزين بن علي أجز هذا - الإجازة في الشعر أن تتم مصراع غيرك - فقال:

فلو كنت على ذلك تصيرون إلى القصف
تساوت حالكم فيه ولم تبقوا على الخصف

ثم قال لدعبل: أجز يا أبا علي فقال:

إذا فات الذي فات فكونوا من ذوي الظرف
وخفوا نقصف اليوم فإني بايع خف[٤]

وفد الشعراء في خراسان:

الزمان/ شهر محرم الحرام سنة (٢٠٢هـ).

المكان/ مدينة (مرو) عاصمة الخلافة العباسية، والتي كانت مركزاً لإقليم (خراسان) وتقع اليوم جنوب تركمانستان.

الحدث/ وفد الشعراء في حضرة الإمام الرضا عليه السلام.

بما أن شهر محرم هو شهر حزن ومصاب عند آل الرسول صلى الله عليه وآله فليس من اللائق تقديم التهاني في مثل تلك الأيام فتقدم الشعراء إلى الإمام الرضا عليه السلام وأول من تقدم هو دعبل بن علي الخزاعي كان أكبرهم سناً والذي كان في عمر الإمام الرضا عليه السلام فأنشد قصيدته:

مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزل وحي مقفر العرصات

فلما بلغ قوله:

أرى فيئهم في غيرهم متقسماً
وأيديهم من فيئهم صفرات

بكى أبو الحسن عليه السلام وقال له: صدقت يا خزاعي، فلما بلغ إلى قوله:

إذا وتروا مدوا إلى واتريهم
أكفاً عن الأوتار منقبضات

جعل أبو الحسن عليه السلام يقلب كفيه ويقول: أجل والله منقبضات، فلما بلغ إلى قوله:

لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها
وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي

قال الرضا عليه السلام: (آمنك الله يوم الفزع الأكبر، فلما انتهى إلى قوله:

وقبر ببغداد لنفس زكية
تضمنها الرحمن في الغرفات

قال له الرضا عليه السلام: أفلا ألحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك؟

فقال دعبل: بلى يا ابن رسول الله، فقال عليه السلام:

وقبر بطوس يا لها من مصيبة
توقد في الأحشاء بالحرقات
إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً
يفرج عنا الهم والكربات

فقال دعبل: يا ابن رسول هذا القبر الذي بطوس قبر من هو؟

فقال الرضا عليه السلام: قبري ولا تنقضي الأيام والليالي حتى تصير طوس مختلف شيعتي وزواري، ألا فمن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة مغفوراً له.

ثم تقدم إبراهيم بن العباس وأنشد قصيدته التي مطلعها:

أزالت عناء القلب بعد التجلد
مصارع أولاد النبي محمد[٥]

وبعد أن أكمل قصيدته نسخها صديق له يقال له (إسحاق بن إبراهيم) وقد كتبها إبراهيم بن العباس بخطه وبقيت القصيدة عند إسحاق هذا إلى أن ولي إبراهيم بن العباس ديوان الضياع في زمان المتوكل وقد حدثت جفوة بينه وبين إسحاق فقد عزل إبراهيم بن العباس إسحاق عن ضياع كانت في يده وطالبه بمال وشدد عليه، فدعا إسحاق رجلاً يثق

به وهو (يحيى بن علي المنجم) وقال له: امض إلى إبراهيم بن العباس وأعلمه أن شعره في الرضا عليه السلام كله عندي بخطه وبغير خطه، ولئن لم يترك بالمطالبة عني لأوصلنه إلى المتوكل. فصار الرجل إلى إبراهيم برسالة فضاقت به الدنيا حتى أسقط المطالبة عنه وأخذ جميع ما عنده من شعره الذي كتبه في الرضا عليه السلام بعد أن خلف كل واحد فيهما لصاحبه فأخذ إبراهيم القصيدة وأحرقها خشية أن تقع في يد المتوكل وبذلك ذهبت هذه القصيدة أدراج الرياح ولم يصل إلينا منها سوى مطلعها المذكور[٦].

جوائز الإمام الرضا[ع] للشعراء:

١- جائزة الإمام عليه السلام لدعبل بن علي الخزاعي:

تذكر الأخبار بأن الإمام الرضا عليه السلام وهب لدعبل الخزاعي (١٠٠٠٠) درهم من الدراهم التي عليها اسمه كان المأمون أمر بضربها في ذلك الوقت، فصار بالعشرة آلاف التي حصته إلى قوم، فباع كل درهم بعشرة دراهم، فتخلصت له مائة ألف درهم[٧].

وقيل إن الإمام الرضا عليه السلام وهب له مائة دينار رضوية، فقال دعبل: والله ما لهذا جئت ولا قلت هذه القصيدة طمعاً في شيء يصل إليّ ورد الصرة وسأل ثوباً من ثياب الرضا عليه السلام ليتبرك ويتشرف به، فأنفذ إليه الإمام الرضا عليه السلام جبه خز مع الصرة، وقال عليه السلام للخادم: (قل له خذ هذه الصرة فإنك ستحتاج إليها ولا تراجعني فيها)، فأخذ دعبل الصرة والجبة وانصرف. (وفيها خبر طويل).

٢- جائزة الإمام الرضا عليه السلام لإبراهيم بن العباس الصولي:

وهب الإمام له عشرة آلاف درهم من الدراهم التي ضربت باسمه فلم تزل عند إبراهيم وجعل منها مهور نسائه وخلّف بعضها لكفنه وجهازه وقبره وفرق بعضها على أهله.

جائزة الإمام الرضا عليه السلام لعبد الله بن العباس الصولي:

لم أعثر على نص لقصيدة الشاعر عبد الله بن العباس الصولي وإنما حصوله على جائزة من الإمام الرضا عليه السلام فقد وهب إليه جاريته (غدر) وقيل (عذر) وهي جارية قد وهبها المأمون للإمام الرضا عليه السلام، وتروي هذه الجارية قصتها لحفيدها الكاتب والشاعر والأديب المعروف محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي المتوفي سنة (٣٣٥هـ)

قال محمد بن يحيى الصولي: حدثتني جدتي أم أبي واسمها (عذر) قالت: اشتريت مع عدة جواري من الكوفة وكنت من مولداتها، قال: فحملنا إلى المأمون فكنا في داره في جنة من الأكل والشرب والطيب وكثرة الدنانير، فوهبني المأمون للرضا عليه السلام فلما صرت في داره فقدت جميع ما كنت فيه من النعيم وكانت علينا قيِّمة تنبهنا من الليل وتأخذنا بالصلاة وكان ذلك أشد شيء علينا، فكنت أتمنى الخروج من داره إلى أن وهبني لجدك عبد الله بن العباس فلما صرت إلى منزله كنت كأني قد أدخلت الجنة.

قال محمد بن يحيى الصولي: وما رأيت امرأة قط أتم من جدتي هذه عقلاً

ولا أسخى كفاً، وتوفيت سنة سبعين ومائتين ولها نحو مائة سنة، وكانت تُسأل عن أمر الرضا عليه السلام كثيراً، فتقول: ما أذكر منه شيئاً إلا أني كنت أراه يتبخر بالعود الهندي السني ويستعمل بعده ماء ورد ومسكاً وكان عليه السلام إذا صلى الغداة وكان يصليها في أول وقت ثم يسجد، فلا يرفع رأسه إلى أن ترتفع الشمس، ثم يقوم فيجلس للناس أو يركب ولم يكن أحد يقدر أن يرفع صوته في داره كائناً ما كان، إنما يتكلم الناس قليلاً قليلاً، وكان جدي عبد الله الصولي يتبرك بجدتي هذه، فقد برّها يوم وهبت له، فدخل عليه خاله العباس بن الأحنف الحنفي الشاعر فأعجبته، فقال لجدي: هب لي هذه الجارية، قال: هي مدبرة، فقال العباس بن الأحنف:

أيا غدر زين باسمك الغدر
وأساء لا يحسن بك الدهر[٨]

٤ـ وأما الشاعر رزين بن علي الخزاعي فلم أعثر لحين كتابة هذا المقال على قصيدة له أو جائزة سوى دخوله على الإمام الرضا عليه السلام مع أخيه دعبل ■

(١) راجع ترجمته في أعيان الشيعة ج٦ ص٤٠٠، نقد الرجال ٢/٢٢٥، منتهى المقال ٣/٢١٨، قاموس الرجال ٤/٧٣، الجامع لرواة الإمام الرضا عليه السلام ج١ ص٢٨٨.

(٢) أعيان الشيعة ج١ ص١٦٨، الأغاني ٩ ص٢٠، معجم الأدباء ١/٢٦١، تاريخ بغداد ٦/١١٧، الأعلام ١/٤٥.

(٣) مختار الأغاني في الأخبار والتهاني ج١ ص٢٧٦.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ باب٤٠ ص١٥٣ حديث٧.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ باب٤٠ ص١٥٣حديث٨.

(٦) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ باب٤٠ ص١٥٩ حديث٢٠.

(٧) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ باب٤٠ ص١٥٤ حديث٨.

(٨) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ باب٤٤ ص١٩٢ حديث٣.

عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن قاتل الحسين بن علي عليهما السلام في تابوت من نار، عليه نصف عذاب أهل الدنيا، وقد شدّ يداه ورجلاه بسلاسل من نار، منكس في النار، حتى يقع في قعر جهنم، وله ريح يتعوذ أهل النار إلى ربهم من شدة نتنه، وهو فيها خالد ذائق العذاب الأليم، مع جميع من شايع على قتله، كلما نضجت جلودهم بدل الله عزوجل عليهم الجلود غيرها حتى يذوقوا العذاب الأليم لا يفتر عنهم ساعة، ويسقون من حميم جهنم، فالويل لهم من عذاب النار.

بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٣٠٠

استراتيجية نهضة الإمام الحسين عليه السلام

في ملحمة عيد الغدير لبولس سلامة

• هاشم حسين ناصر المحنك
رئيس تحرير مجلة النجف

تستقطب القضايا الإنسانية والحوادث النهضوية المختلفة، وإحقاق الحق والعدالة، أقلام الفكر بشكل عام، والأدب أو الشعر بشكل خاص، وبالذات الأقلام النزيهة المخلصة لبناء فكر الإنسان، ومن مختلف الأديان والطوائف والمذاهب والمشارب، وتسطر نور هذه المواقف الإنسانية بأرقى ما يصل إليه العقل... ومغتسلة بهذا الطيب والعطاء، والملتحمة مع أفقه النير...

وفي القريب، يجسد أديب إنساني المنبع، مسيحي الدين، قد وفقه الله سبحانه وتعالى، لخدمة أبرز حدث تاريخي عبر الأجيال، والعِبرة والعَبرة لكل الإنسانية، قضية ونهضة الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة الزهراء عليها السلام، في مواجهة الظلم والظلمات والقهر والاستبداد، لينير درب عشاق الحرية، بالكلمة المنورة بالإسلام، والدم المنتصر على سيف الظالمين...

والأديب الإنساني الكبير بهذه الوقفة الجليلة، هو بولس سلامة، الشاعر والأديب اللبناني الذي خاطب العقول والعواطف معاً، ليسهم من خلال قلمه النير، وينال من هذه الحضوة العظيمة، بأحاسيسه الأدبية الشعرية الجياشة، لأعدل قضية عرفها التاريخ،

وببيانه العميق الذي استلهمه من وقفة ابن بنت الرسول الأكرم ﷺ، الإمام الحسين عليه السلام، ووظف أثره الأدبي الرفيع لمناصرة الحق والعدل... ففي قصيدته الموسومة الخاتمة يقول بولس سلامة:

لا تقل شيعةٌ هواة علي
إن في كل منصف شيعيا
إنما الشمس للنواظر عيد
كل طرف يرى الشعاع السنيا

حتى يقول في نفس القصيدة الرائعة:

يا علي العصور هذا بياني
صنعت فيه وحي الإمام جليّا
أنت سلسلت من جمالك للـ
ـفصحى ونسقت ثوبها السحريّا
يا أمير البيان هذا وفائي
أحمد الله أن خلقت وفيّا

ويواصل بيانه الشعري:

أتأسى بابن البتول فيولـ
ـيني عزاء وبلسماً معنويا
قاسم عيسى على الشفاه حبيب
طاب وقعاً على القلوب نديا

ونرى في قصيدته (رحيل الحسين) الحوار مع عبد الله بن عباس حيث يقول:

فأجاب الحسين: تعلم عبد الله
إني ما رمت جاهاً ومالا
(بل حفاظاً على شريعة جدي
إن ليل الآثام والبغي طالا)
ضجت الأرض من شرور يزيد
فهي بحر مزمجر يتعالى
غمر السهل والتلال فساداً
ويكاد الخضم يعلو الجبالا

هكذا بدأت الخطة الاستراتيجية في فكر الإمام الحسين عليه السلام، من جمع الحقيقة التي لا لبس فيها، وما يتطلبه التخطيط الاستراتيجي...ويواصل الشاعر في ذات القصيدة:

سمع السبط هاتفاً علوياً
ينقل الجرس عن لهاة الثكالى
قال: يا سائرين نحو المنايا
عجلوا فالخلود يشكو الملالا

ويلاحظ صورته الشعرية في قصيدة أخرى، (في كربلاء)، هذا البناء الفكري العظيم المستند على الاستعداد الفكري والنفسي والسلوكي القويم النقي:

بالمصير المحتوم أنبأني جدي
وهيهات أدفع الأقدارا
إن خلت هذه البقاع من الأزهـ
ـار تصبح قبورنا أزهارا
أو نجوماً على الصعيد تهاوت
في الدياجير تطلع الأنوارا
تتلاقى القلوب من كل صوب
فوقها والعيون تهمي أدكارا
من رآها بكى ومن لم يزرها
حمّل الريح قلبه تذكارا
كربلاء!! ستصبحين محجاً
وتصيرين كالهواء انتشارا
ذكرك المفجع الأليم سيغدو
في البرايا مثل الضياء اشتهارا
فيكون الهدى لمن رام هدياً
وفخاراً لمن يروم الفخارا

هكذا تبنى الاستراتيجيات في عمق التاريخ، وتتلاقفها العيون والأرواح والعقول والألسن والأقلام النقية بمدادها... وما أعمق ما يواصله في قصيدته العصماء، من البناء الاستراتيجي

الإنساني الناطق عبر الأجيال والأحرار:

كلما يذكر الحسين شهيداً
موكب الدهر ينبت الأحرارا
فيجئ الأحرار في الكون بعدي
حيثما سرت يلثمون الغبارا
وينادون دولة الظلم حيدي
قد نقلنا عن الحسين الشعارا
فليمت كل ظالم مستبد
فإذا لم يمت قتيلاً توارى
ويعودون والكرامة مدت
حول هاماتهم سناءً وغارا

ويجسد هذا التواصل، صوت كل إنساني كريم شريف في صوت السيدة الطاهرة زينب عليها السلام أخت الحسين عليه السلام، عبر التاريخ والأجيال،

لا تمت يا حسين تفديك منا
مهجات لم تقرب الأوزارا
فتقيك الجفون والهدب نرخيها
ونلقي دون المنون ستارا

وهنا يسطر الإمام الحسين عليه السلام كلماته المسالمة، التي تعبر عن مدى إدراكه وحبه لعدم إراقة الدماء، كما كان جده وأبوه (سلام الله عليهم أجمعين)، تواقين للمحبة والسلام، فمبدأ إلقاء الحجة تلو الحجة، قبل خطى الزحف نحو القتال، الذي هو بالأساس دفاع عن العقيدة والدين، وبهذا يقولها (بولس سلامة) شعراً ملحمياً:

وقف السبط في العداة خطيباً
زاده الموقف الخطير وقارا
(قال: يا قوم لم أجئكم عدواً
بل أميراً دعوتموه فسارا
(وذكرتم حق الحسين فقلتم
إنه الضوء بل ينير النهارا
وشكوتم حكامكم ونويتم
أن تبيدوا الغواشم الفجارا
قلتم يا حسين أقدم فإنا
قد شحذنا للظالم البتارا
قد خذلتم أبي وغيل ابن عمي
فخفرتم مودة وجوارا
كنتم للظلوم خير المطايا
وإلينا مددتم الأظفارا
إن كرهتم إمامتي فدعوني
أسلك البر أو أخوض البحارا
لا يضيق الحجاز بالسبط ضيقاً
لو رآنا في بيتنا زوارا

وبهذه الاستراتيجية الممتدة عبر الأجيال الإنسانية، يريدها كشف لكل مآرب الطغاة، وأحقاد الحسد والغيرة... ويواصل (بولس سلامة) في ملحمته وقصيدة (بمَ تستحلون دمي)، للكشف عن أبعاد هذه الاستراتيجية التربوية للأجيال، بقوله:

وقف الظامئ بالحسين ونادي
يا جنود العراق عوا كلماتي
أوَ ليس الرسول جدي وأمي
خير بنت وأطهر الزوجات
واسمها يمن كل فاطمة في الأر
ض تأتي في الأعصر المقبلات
أمها جدتي خديجة كانت
وردة المشرقين في السيدات

إلى أن يقول:

أوَ لست الحسين نجل علي
وعلي أنشودة للحداة
يذكرون اسمه فتخشع أسد البيد
من هيبة لذاك الرفات

أعلم الناس أطهر الناس كفاً
وأعز الفرسان في الصهوات
أول المسلمين يحمل بند الحمد
يوم الأشرار في الغمرات

حتى يمتد في قصيدته:

فأجابوا جميعهم قلت حقاً
أنت ما قلت من علًى وصفات
قال يا ويحكم إذن تقتلون السـ
ـبط عمداً، ومن أجل مماتي؟
فأجابوا هل تشهد النهر لماعاً
سريعاً كالضمر المرسلات
قطرة لن تنال من مائه الجـ
ـاري فودّع آمالك الخابيات

وعلى لسان أصحاب الإمام الحسين عليه السلام يقول في ذات القصيدة التي يسطر استراتيجياتها الملحمية لنهضة الحسين عليه السلام وصحبه الأخيار (رضوان الله تعالى عنهم):

هتفوا يا حسين لبّيك لبّا
فنخليك مفرداً في الفلاة
فتقول الأجيال ويل لصحب
خلفوا شيخهم أسير الطغاة
فنكون الأقذار في صفحة التاريخ
والعار في حديث الرواة
أو سباباً على شفاه عجوز
أو لسان القصّاص في السهرات
يتوارى أحفادنا في الزوايا
من أليم الهجاء واللعنات
سترانا غداً نشرّف حد السيف
حتى يذوب في الهبوات

وحقاً كانوا ما كانوا في غدهم في ملاقاة العدو، وغداً في العمق الاستراتيجي للتاريخ، وبهذا يقول الحر بن يزيد الرياحي في ذلك العمق، ويتلقفها الشاعر (بولس سلامة) في قصيدته (الوقيعة):

يابن بنت الرسول عفوك عني
فأنا الغِر قد ضللت الصوابا
ردني الله للهدى بعد غيّ
وأراني وقد مزقت الحجابا

وللصفح عمقه الاستراتيجي في موقف العودة للرشد، لذا كانت القصيدة تتصدى لهذا البعد:

فأجاب الحسين يا حر لا تجزع
فإن الكبير ينسى العتابا
نحن أهل الرسول أورثنا جد
ي صدوراً على الخطوب رحابا
حسبنا دمعة الندامة نزجيها
إلى الله قربة واحتسابا
دمعة تغسل القلوب وتجلوها
كما يصهر الشعاع الضبابا
يغفر الله ما أتيت فطب نفـ
ـساً ولا تلبس الهموم ارتيابا

هكذا الصفح الذي يمتد عبر التاريخ لنتعلم نحن كمسلمين أن لا تفرقنا مذاهب، ولا يجمعنا إلا الحق والمحبة والألفة والسماحة من القلب والى القلب، فربنا واحد، ونبينا واحد، وقرآننا واحد، وقبلتنا واحدة... ولا عيب أن يتراجع الإنسان عن أخطائه ويصحح مسيرته إن أخطأ، وهذا يكشف عن قوة الشخصية بما فيه النفسية والفكرية والسلوكية القويمة... ويشمل في ذلك من أخطأ، ومَن تم التعدي عليه والخطأ في حقه... فكلاهما يعبر عن إنسانية وحب الالتقاء في نقطة المحبة والسلام...

و مو قف إنساني بني الأب والابن في ساحة المعركة حينما أراد علي الأكبر عليه السلام من أبيه الحسين عليه السلام أن يروي عطشه، ويصوره الشاعر في ذات القصيدة:

يا أبي قال قد عطشت فهل ماء؟
فإن لم يكن شربت السرابا
آه لو قطرة تعيد إليّ الريق!
أو في الخيال ألقى الحبابا
فبكى الوالد اللهيف وقال
اليوم تلقى الرحيق والأكوابا
فتلاقي محمداً وعلياً
يا لجدين يعلوان السحابا

ومن عمق التاريخ ينادي الحسين حينما أخذت السيوف القاسم عليه السلام وضمه عمه الحسين عليه السلام إلى صدره وبهذه الصورة الشعرية يعبر عنه (بولس سلامة) في قوله:

يا حبيب الحسين قال حسين
كيف تدعو ولا أرد الجوابا
عجباً للزمان يطعن أهل البيـ
ـت غدراً ويستحب الكلابا
بل ذيول الكلاب فأين زياد
سامهم في كلابه أذنابا
برئ الدين والعروبة منهم
إن يعدوا جدودهم أعرابا
وإن خَفْرَ العهود والغدر
بالجيران عار ما لوّث الأطنابا

وما زال ومع كل الأسف يتناسون أن الحسين عليه السلام بن فاطمة الزهراء عليها السلام بنت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله هذا أولاً، وإنه من قبيلة إذا أرادت العرب أن تثبت عروبتها فمنهم يبدؤون، وإذا أرادت أن تثبت دينهم فمن دين جدهم صلى الله عليه وآله ينهلون، وإذا أرادوا أن يفتخروا، فمنهم يبدؤون... ويعرفون حقاً إن القلوب إذا أرادت أن تجتمع وتتألف على المحبة والسلام، فمنهم يبدؤون، وإليهم ينتهون كعرب وكإسلام بل منبع الإسلام، ولكن يا ويلنا من التعصب على ما لا يستحق التعصب عليه. ويواصل (بولس سلامة) في قصيدته (الساعة الرهيبة) في ملحمة عيد الغدير من عمق التاريخ إلى مستقبل الأجيال الإنسانية، ويبدع في الكشف عن حزم التضحية والشهادة:

وتهاوى النسور ولد علي
فاستماتوا أشاوساً كبراء
ثبتوا في العراك لا يأملون
النصر، لكن ضحية وافتداء
علّموا الدهر بعدهم كيف تفنى
أخوة تشرب الردى بلاء
سطروا بالدماء صفحة مجدٍ
غمروها محبةً وأخاء
هللّت روح هاشم من وراء
الغيب تدعو الجحاجح الأمراء

وما أروع ما سطروا وعلموا الدهر ويعلموا على مدى الدهر كيف الذود عن الحرمات والعقيدة والمبادئ التي تستحق كل التضحيات، وما أروع هذه الصور الشعرية المتواصلة لبيان الصور الإنسانية الرائعة، المتمثلة في غمراتها المحبة والأخوة والمجد... وهذا بخلاف ما كان عليه جيش يزيد.

أو قلوباً تراكم الشر فيها
فاستحالت حجارة صماء

حتى إن الشاعر (بولس سلامة) لم يتحمل ذلك، وكانت صرخته مدوية:

يا شفار السيوف رفقاً بعبـ
ـد الله، يفتر وردة بيضاء
فرّ من خيمة النساء وجاء
العم يفدي، فما أجل الفداء
يولد الطالبي شهماً فإن
يصبح غلاماً تؤفل الجوزاء

حتى يقول في ذات القصيدة:

قال إني أموت في ظل عمي
بعد عمي أرى الحياة عفاء
خف نحو الحسين (بحر بن كعب)
يضرب السبط ضربة نكراء
فوقاه الصبي بالكف، غار السـ
ـيف فيها فأصبحت جرداء
علقت بالإهاب كالغصن مقطـ
ـوعاً، عليقاً بقشره غضراء
رامها الطالبي للعم ترساً
فحدها سيف العدو لواء

وبهذا كان حتى في الطفولة يوم الطف، دروس الإباء مرسلة للأجيال، شبابها وكهولها وحتى أطفالها، هكذا البعد الاستراتيجي لقضية عصماء، تنال سماء المجد. وترى التاريخ يتجدد في سطوره:

هامة السبط في الغنائم تهدى
لخليع يدنس الخلعاء
لابن مرجانة! كذلك يحي
أهديت رأسه إلى رقطاء
فإذا لم يكن (عبيدٌ) بغياً
فلقد كان للنفوس بغاء
ويلكم يا عصائب الشر
أولاد الثعابين تلسع الأبرياء
لا تصلى إلا رجاء نوال
وتصلي فتذبح الأنبياء
قد نقعتم صفيحة الأرض سماً
وطليتم وجه الزمان رياء

و يتوا صل هذا الامتداد التاريخي الاستراتيجي لينير الدروب للأجيال التواقة للخير والمحبة والحرية والسلام، والتلاحم حول كلمة الحق والعدالة، والبناء لأمجاد الأمة والإسلام، فلا يفرقها المذهبية ولا يفرقها المدسوس بين أروقة الفكر الصادق... وهذه هي قضية إمامنا الحسين عليه السلام، تبقى المنار الساطع يهتدي به الأحرار وتهتدي به الإنسانية ■

يوم العاشر من المحرم

يوم استشهد فيه الحسين عليه السلام وهو يوم المصيبة والحزن للأئمة عليهم السلام وشيعتهم.

وينبغي للشيعة أن يمسكوا فيه عن السعي في حوائج دنياهم وأن لايدخروا فيه شيئاً لمنازلهم وأن يتفرغوا فيه للبكاء والنياح وذكر المصائب وأن يقيموا مآتم الحسين عليه السلام كما يقيمونه لأعزّ أولادهم وأقاربهم وأن يزوروه بزيارة عاشوراء، وأن يجتهدوا في سب قاتليه ولعنهم وليعزّ بعضهم بعضاً قائلاً: أعظَمَ اللهُ أُجورَنا بِمُصابنا بِالحُسَين عليه السلام وَجَعَلَنا وَإيَّاكُم مِن الطَّالبِينَ بِثارِه مَعَ وَليِّه الإمام المَهديّ مِن آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيهِمُ السَّلامُ.

قراءة في تداعيات السياسة العباسية اتجاه الشعائر الحسينية

• السيد محمد علي الحلو
كاتب وباحث إسلامي

في العاشر من المحرم سنة (٣٥٢) للهجرة توشحت بغداد بلباس الحزن إحياءً لذكرى سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام بدأت بغداد منذ عهد معز الدولة البويهي تتأهب لإظهار معالم الحداد. فقد أمر معز الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم ويبطلوا الأسواق والبيع والشراء، وأن يظهروا النياحة، ويلبسوا قباباً عملوها بالمسوح، وأن يخرج النساء منشرات الشعور مسودات الوجوه وقد شققن ثيابهن[1] يدرن في البلد بالنوائح ويلطمن وجوههن على الحسين بن علي عليهما السلام ففعل الناس ذلك ولم يكن للسنة قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة ولأن السلطان معهم.

يوقفنا هذا النص على أمر مهم هو محل بحثنا إذ لم تكن بغداد قد أعلنت عن حزنها إبان عهد العباسيين إلا خلال فترة بني بويه الذين افتتحوا عهدهم بإظهار شعائر التشيع على حساب توجهات النظام الحاكم الذي كان يحظر ممارسات الحزن والنياحة على

الإمام الشهيد عليه السلام عند عاشوراء.

فقد عرف عن العباسيين منعهم لشعائر عاشوراء، وإن كانت مواقف العباسيين تدور بين الرفض والقبول تبعاً للمعطيات السياسية والظروف العامة التي تحتم على الخليفة القبول أو الرفض ويمكننا أن نفهرس لمواقف الخلفاء العباسيين الذين تعاطوا مع الشعائر الحسينية وكان في طلائع أولئك أول الخلفاء العباسيين الذين لم تؤسس بغداد على عهده بل كان عهده إيذاناً بسياسات التالين له من الحكام العباسيين.

لم تتح الظروف الجديدة أن يقف أبو العباس موقفاً رافضاً من الشعائر الحسينية آنذاك، فالعباسيون رفعوا شعار الرضا من آل محمد عليهم السلام وبالتأكيد فالموقف الرافض لقبول الشعائر الحسينية غير مناسب لشعارات العباسيين هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن أبا العباس السفاح مشغول بترتيبات دولته وهو الآن لم يكن على استعداد في مواجهة الشيعة ما لم يظهر بمظهر المتودد لهم والمتقرب إليهم، كما أنه بحاجة إلى شرعية تحركاته في تصفية وتطهير أجهزة الدولة من الأمويين ـ الأعداء المشتركين لشيعة أهل البيت عليهم السلام وللعباسيين ـ وأي تحرك مخالف لما عليه عقيدة أتباع أهل البيت عليهم السلام فإن ذلك سيعني إعلان المعارضة ضده من قبل الشيعة وهو لا يزال ضعيفاً غير قادر على المواجهة والتصدي لأدنى معارضة خصوصاً من أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم. وإن كان لنا رأي آخر في أبي العباس السفاح لا مجال لتفصيله هنا، إلا إننا نتعرض إليه بشكل موجز، وهو أن السفاح يبدو أكثر اعتدالاً من غيره بل أكثر عقلانية، فهو إلى مسالمة أهل البيت عليهم السلام أميل لذا فإن التركيز عليه بلقب السفاح يثير أكثر من سؤال وهو هل يعني أن سفك الدماء والقتل هي صفة لأبي العباس دون غيره من العباسيين؟ وهل ظهر من أبي العباس عداءً علنياً لآل البيت عليهم السلام ومحاولة لقهرهم وتشريدهم؟ وهل ما فعله أبو جعفر الدوانيقي ـ الذي لقبوه بالمنصور وهارون الذي أغدقوا عليه لقب الرشيد وغيرهما من العباسيين أقل وحشية وجرأة على القتل من أبي العباس السفاح حتى لقبوه بهذا اللقب الذي يُظهر الفتك والقتل مقابلة للخلفاء العباسيين التي تظهر ألقابهم الورع والحصافة والتدين؟ أم هي حالة تصدير لمفاهيم ثقافية عملت عليها أقلام أموية وشاركتها عباسية بفعل ما ارتكبه السفاح من التنكيل بالأمويين فضلاً عن سياسة اللين والتسامح التي اتخذها السفاح مع العلويين مما أثار حفيظة المؤرخ الأموي وشاركه بذلك المؤرخ العباسي الذي تصدى للوقيعة بأهل البيت عليهم السلام بكل ما يتطلبه الأمر من جهد حثيث.

ولم يدم الأمر طويلاً حتى عانى شيعة أهل البيت عليهم السلام القهر والاضطهاد من خليفة أبي العباس السفاح، حيث عمل المنصور على كل ما من شأنه التنكيل بالعلويين فقد أمر بمنع الشعائر الحسينية وأمر بهدم قبر الحسين عليه السلام ومنع الزوار من زيارته.

إلا أن خلفه المهدي العباسي عدل

عن سياسة التنكيل والمطاردة ومنع الشعائر الحسينية. فقد تساهل مع شيعة أهل البيت عليهم السلام إلى حد ما وأفرج عن بعض ممارسات الشعائر أن تنطلق عند قبر الحسين عليه السلام على ما يبدو.

ولم تتحدث المصادر عن الهادي العباسي ومجمل تعاطيه مع الشعائر الحسينية لقصر حكمه أولاً ولعدم ما يمكن ذكره في هذا المجال.

إلا أن سياسة التنكيل بشيعة أهل البيت عليهم السلام تعاد مرة أخرى في عهد الرشيد العباسي، فقد أمعن في منع الشعائر الحسينية التي كانت تقام وعمل على إصدار أوامر الاعتقال والمداهمات لشيعة أهل البيت عليهم السلام خصوصاً زوار قبر الحسين عليه السلام فقد عمد إلى هدم القبر الشريف وكرب موضعه وقطع شجرة السدرة التي كانت بجوار القبر الشريف سنة (١٧١هـ) ولا تزال هذه الحادثة ماثلة للأذهان بالإبقاء على تسمية أحد أبواب الصحن الحسيني بباب السدرة استذكاراً لهذا الحدث المرير.

ويطالعنا موقف الأمين العباسي بتغير واضح، فقد تساهل مع شيعة أهل البيت عليهم السلام إلى حد ما[٢] وجدد بناء سقيفة قبر الحسين عليه السلام وسمح لهم بإقامة المآتم والمناحات على القبر وغيره[٣].

وأكبر الظن أن للسيدة زبيدة أم الأمين الأثر الكبير في تغيير موقف ولدها بشكل إيجابي اتجاه شيعة أهل البيت عليهم السلام فقد حققنا في محله تشيع هذه السيدة وحسن سيرتها في كتاب (الملتحقون بسفينة النجاة)[٤].

ولم يكن بوسع المأمون العباسي الذي حاول التقرب إلى أهل البيت عليهم السلام بتحركاته المعروفة في منح ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام لأسباب سياسية غير خافية، ليس محل ذكرها هنا.

ويبقى الأمر على هذا في عهدي المعتصم والواثق اللذين أبديا موقفاً متساهلاً من شيعة أهل البيت عليهم السلام حتى نمت ظاهرة الشعائر الحسينية وعمل الشيعة على الوفود بشكل مواكب حسينية تقام مآتمها على قبر الإمام الشهيد[٥] عليه السلام.

ولعل منهج المعتصم والواثق الفكري من الاعتقاد الذي خلفه سلفهم المأمون كالقول بعدم خلق القرآن أبقى هذين الخليفتين على سياسة سلفهما المأمون من التعامل مع الشعائر الحسينية باللين والتسامح.

إلا أن ذلك لم يدم طويلاً، ففي غضون حكم المتوكل أُعيدت سياستي المنصور والرشيد المبنيتان على التنكيل بشيعة أهل البيت عليهم السلام، حيث قام بمطاردتهم والتضييق عليهم ولم يكتف بذلك بل انتهج سياسة العنف حيال زائري قبر الإمام الشهيد عليه السلام بعد أن أمر بهدم قبره الشريف وحرثه وأسال الماء عليه ووضع المراصد والمسالح لمنع زائريه من الوصول إليه وانتهى الأمر إلى معاقبة زائريه وقتلهم والتمثيل بهم على يد قائده اليهودي (ديزج).

والواقع أن الأمر لم يكن سهلاً، إذ لاقى المتوكل عند منعه لزيارة الحسين عليه السلام وإقامة الشعائر معارضة عنيفة من قبل الشيعة ولم يكن الأمر من السهولة كما نتصور، فلم يستجب

الشيعة لتهديدات المتوكل وأوامره الظالمة، بل كان اليوم الذي أعلن فيه المتوكل قراره في منع زيارة الحسين عليه السلام وإقامة الشعائر هناك يوماً مشهوداً من التحدي والإصرار من قبل شيعة أهل البيت عليهم السلام.

ففي سنة (٢٣٧هـ) مضى أحد قواد المتوكل إلى قبر الإمام الشهيد عليه السلام ليعلن رغبة المتوكل في منع الزيارة وإلغاء مراسم العزاء، إلا أن الشيعة تنادوا هناك بالرفض لهذه الإجراءات التعسفية وأعلنوا تمردهم على مثل هذه القرارات وتحديهم للسلطة وقالوا: (لو قتلنا عن آخرنا لما أمسك من بقي منا عن زيارته، ورأوا من الدلائل ما حملهم على ما صنعوا، فكتب بالأمر إلى الحضرة، فورد كتاب المتوكل إلى القائد بالكف عنه والمسير إلى الكوفة، مظهراً إلى مسيرته إليها في مصالح أهلها والانكفاء إلى المصر فمضى الأمر على ذلك[٤].

إلا أن ذلك لم يرق توجهات المتوكل في البطش والتنكيل بالشيعة وأئمتهم عليهم السلام فأصر على نفاذ أمره، فعزم في سنة (٢٤٧هـ) على تنفيذ ما قرره من قبل وسيكون الأمر الآن أشد بطشاً وتنكيلاً بكل من عارض أو تمرد على سياسته في منع زيارة الحسين عليه السلام وإقامة الشعائر (فأنفذ قائداً في جمع كبير من جنده، وأمر منادياً ينادي ببراءة الذمة ممن زار قبره - أي قبر الحسين عليه السلام - وهدم القبر وحرث أرضه وانقطع الناس عن الزيارة، وعمد على التتبع لآل أبي طالب والشيعة ففعل ولم يتم له ما قدره..)[٥].

إذن لم يكن أمر منع المتوكل للشعائر الحسينية وكذلك زيارة الحسين عليه السلام بالأمر السهل ما لم يجد المتوكل معارضة شيعية عارمة أطاحت بخطط المتوكل أو أجلت تنفيذها على أقل تقدير إلى عقدٍ من الزمان.

ويبدو أن سياسة المتوكل كانت خاضعة لضغوطات رجال البلاط والفريق المحيط به المعروفين بالنصب والبغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام، أمثال علي بن الجهم الشاعر وعمرو بن فرخ الدفجي وأبو السمط الأموي وابن أترجة، وهؤلاء كانوا يصورون للمتوكل خطورة المعارضة الشيعية مع كونها سلمية إلى حدٍ ما إلا أنهم كانوا يشيرون عليه بالتنكيل بهم ويعتبرون أن الإساءة لأئمتهم سيزيد في تنكيلهم ومطاردتهم.

لكن ذلك لم يمنع الشيعة على إعادة قوتهم وممارسة شعائرهم من جديد بعد أن أطيح بالمتوكل مقتولاً على يد ولده المنتصر وقد أعاد للشيعة حقوقها في ممارسة الشعائر وزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام فلم يكتف المنتصر في السماح بزيارة الحسين عليه السلام بل أمر الناس بزيارة قبر الحسين عليه السلام ليؤكد حرصه على إقامة الشعائر وإعادة زيارة قبر الحسين عليه السلام إلى سابق عهدها في عهد أسلافه الذين سمحوا بزيارة القبر الشريف.

هذا ما سجله ابن الأثير في كامله لجهد المنتصر في إرجاع ممارسات الشعائر الحسينية وزيارة قبر الإمام

الحسين عليه السلام قال: (كان المنتصر عظيم الحلم، راجح العقل، غزير المعروف، راغباً في الخير جواداً، كثير الإنصاف حسن العشرة وأمر الناس بزيارة قبر الحسين عليه السلام فأمّن العلويين وكانوا خائفين أيام أبيه المتوكل وأطلق وقوفهم، وأمر برد فدك إلى ولد الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب عليهم السلام)[٦].

ولم تزل الشعائر الحسينية بين المنع والسماح، والتقليص والانتشار تبعاً لسياسة الخليفة واستجابةً للواقع المعاش، وأنت جد عليم بأن سياسات المنع كانت الأكثر قبولاً على مستوى التثقيف المضاد لأهل البيت عليهم السلام، فمثلاً كتب اليافعي في مرآة الجنان في ذكر حوادث سنة (٤٠١هـ) ما نصه: (إن القادر بالله العباسي أبطل عاشوراء الرافضة، وأباد الحرامية والشطار).

هذه هي لغة الإعلام المضاد يقرن عاشوراء بما يقوم به الشطار واللصوص، واليافعي من الكتاب المعتدلين كما هو معروف فكيف بك بالسياسة العباسية القائمة على تصفية مذهب أهل البيت عليهم السلام وإبادته؟!

وكان الرعاع من العامة يستغلون المناسبات للتنكيل بشيعة أهل البيت عليهم السلام حيث يقرنون أفراحهم بشعائر الحزن والمآتم التي يقيمها أتباع أهل البيت عليهم السلام. فالتاريخ يوقفنا على حادثة محزنة حقاً وذلك حين أغرى الخليفة العباسي العامة بالتحرش بشيعة أهل البيت عليهم السلام حين وقّت دخوله بغداد يوم العاشر من المحرم والسماح لهم بالاحتفال وإقامة المهرجانات بمناسبة انتصاره على دبيس بن صدقة بن منصور الأسدي حاكم الحلة، وكان دبيس من أمراء الشيعة الذين بذلوا جهداً محموداً في بث مذهب أهل البيت عليهم السلام فكانت العامة تحتفل في يوم عاشوراء تنكيلاً بأتباع أهل البيت عليهم السلام الذين يعيشون مأساتين في آن واحد، ذكرى العاشر من المحرم، ومناسبة قتل الأمير الشيعي المناصر لقضيتهم.

فقد ذكر صاحب كتاب (تاريخ كاظمين) باللغة الفارسية أن المسترشد بالله العباسي دخل بغداد في يوم العاشر من محرم (وعند وصول الخليفة إلى بغداد أقام سلطانها المهرجانات والأفراح لذلك وقد صادف يوم دخوله بغداد يوم العاشر من محرم سنة (٥١٧هـ-١١٢٣م) وإقامة مراسم العاشر والعزاء الحسيني من قبل الشيعة على فاجعة كربلاء وقد استغل الرعاع من أهالي بغداد هذه المناسبة وقيام الشيعة بأداء شعارات أحزانهم وما اعتادوا عليه من إقامة مآتم الحزن، فتوجهوا نحو المشهد الكاظمي ودخلوه عنوة وشرعوا بنهب محتوياته الثمينة...)[٧].

لكن عهد الناصر لدين الله في سنة (٥٧٥هـ) شهد انفراجاً ملحوظاً على يد الوزير هبة الله بن علي فإن (الشيعة أخذت بالظهور شيئاً فشيئاً حتى عادوا بإقامة المآتم بأمر الوزير هبة الله بن علي)[٨].

إلا أن المستعصم كما ختم عهده عهد آبائه العباسيين إلا أنه لم يختم عهده هذا بالتضييق على شيعة أهل البيت عليهم السلام

في إقامة المأتم الحسيني فأوعز إلى إلغاء هذه الشعائر في مناطق بغداد وحصرها في المشهد الكاظمي المشرف حرصاً منه على أن يتدرج في تفعيل أمر المنع إذ كان يشعر بالضعف وأن حكمه كان يترنح تحت تهديد غزو هولاكو لبلاده فضلاً عن مراعاة وزيره الشيعي ابن العلقمي الذي كان يعوّل عليه كثيراً، إلا أن هذا الأمر كان في صالح مذهب أهل البيت عليهم السلام، إذ لم تكن الكاظمية قد شهدت عمراناً واضحاً إلا من خلال ما قرره الخليفة المستعصم الذي أمر بالتضييق على مزاولة الشعائر الحسينية إلا في المشهد الكاظمي، وكأن هذا القرار مع إجحافه فقد كان حافزاً لتزايد عدد الساكنين قرب المشهد الكاظمي المقدس والأخذ بعمارة ما حوله (والذي ساعد على انتشار العمران في المشهد الكاظمي هو إقبال البغداديين على السكن هناك، على عهد الخليفة المستعصم بالله، لأن هذا الخليفة كان قد أوعز إلى جمال الدين عبد الرحمن بن يوسف الجوزي بأن يمنع إقامة العزاء والمأتم على الإمام الشهيد عليه السلام في جميع أنحاء البلاد عدا المشهد الكاظمي، حيث أطلق الحرية لسكانه بإقامة الحداد الذي اعتادوا عليه، والنياحة على الحسين عليه السلام، وهكذا مُنع الشيعة في بغداد حتى عن قراءة المقتل وإنشاد قصائد الرثاء وإقامة النياحات والعزاء بصورة علنية، لذلك انتقل كثير من هؤلاء الشيعة إلى المشهد الكاظمي واستوطنوه، حيث كانت الحرية قد أطلقت فيه لإقامة هذا المأتم وحتى أن كثيراً من سكان سائر مدن العراق كانوا يغدون هذا المشهد في شهري محرم وصفر من كل سنة للاشتراك في الأحزان الحسينية، ويمكثون فيه طيلة هذين الشهرين)[٩].

هذا ما سجلته ذاكرة التاريخ من ثناء وتقدير لمن سعى في ترسيخ هذه الشعائر فكان للبويهيين اليد الطولى في الإعلان الرسمي عن مشروعية هذه الشعائر والتأكيد على مزاولتها ونخص بالذكر معز الدولة البويهي الذي كان أول من أعلن رسمياً مشروعية هذه الشعائر وإلتزام الدولة لها وتكفله بالعناية بها ومن نهج منهج هذا الأمير وسعى سعيه، فإليه ألف ألف ثناء ■

---

(١) لم يرد المعنى الحقيقي بل المجاز يساعد على قبول تلك الحالة التي يصورها ابن الأثير، وإلا من المستبعد أن نعقل قبول ممارسات تخالف الشريعة على مرأى ومسمع العلماء والأخيار في بغداد، وقد كان للعلماء في عهد البويهيين أثر في التدخل بالحياة العامة السياسية أو الاجتماعية.

(٢) السيد صالح الشهرستاني، تاريخ النياحة على الحسين٢ عليه السلام/٦.

(٣) السيد محمد علي الحلو، الملتحقون بسفينة النجاة.

(٤) راجع: السيد صالح الشهرستاني، تاريخ النياحة على الحسين٢ عليه السلام/٦.

(٥) السيد صالح الشهرستاني، تاريخ النياحة على الحسين٢ عليه السلام/١٣.

(٦) ابن الأثير، الكامل ٧٥/٧.

(٧ السيد صالح الشهرستاني، تاريخ النياحة على الحسين٢ عليه السلام/١٩.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) المصدر نفسه.

ثورة زيد بن علي عليه السلام
امتداد أصيل للثورة الحسينية

• خليل المشايخي

من يستقرئ حوادث التاريخ بروية وتدبر يجد أن أية دعوة لا يمكن أن يكتب لها النجاح والفلاح ما لم ينفذها الشجعان، ويأخذ الغيارى على عواتقهم التضحية من أجل ما خططه أولوا الأمر منهم. فلا بدع إن اقتسم أعباء الدعوة الهاشمية الأئمة الأطهار والثلة الخيرة من آلهم الأبرار... فالأئمة الأطهار هم مواضع غيب الله وحججه وحفظة سره والأمناء على وحيه... أما الثلة الخيرة من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله فعليهم يعقد لواء الحق ونصرة إمام الزمان...

لو وقفنا وقفة عجلى على ثورة الحسين عليه السلام لوجدنا أن الإرادة الإلهية والعناية الربانية أرادتا أن تبقى هذه الثورة شمساً ساطعة لا تغيب ما بقي الليل والنهار تبدد دياجير ظلام الجبابرة والطواغيت... منيرة الدرب للقوى الخيرة، هادية بضوء مبادئها سبل الثورة على الشر والعدوان... باقية نبعاً دافقاً يروي ضمأ متعطشي الحرية والكرامة ومثالاً ساطعاً يستلهمون من مبادئه عوامل نجاحاتهم وأسرار قوتهم...

ولا يسعنا إلا أن نستشهد على سبيل المثال لا الحصر بقول الزعيم الهندي غاندي وهو: (تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فأنتصر)... لقد انتصر الحسين عليه السلام انتصر الدم على

السيف فبقيت جذوة ثورته مستعرة أبداً واندحر أعداؤه وخاب سعيهم وهزموا شر هزيمة إلى الأبد...

لقد علم الحسين عليه السلام بثورته الحمية والموت تحت ظلال السيف فكان حقاً سيد أهل الإباء لأنه كما قال عبد الحميد المعتزلي: (وهو الذي سن للعرب الإباء)[1].

ومن الثلة الخيرة من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله الذين عقد عليهم لواء الحق ونصرة إمام الزمان زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، ومن خلال الرواية التي رواها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وهي: (لما أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بقتل الحسين وصلب ابنه زيد، قلت: يا رسول أترضى أن يقتل ولدك؟ قال: أرضى بحكم الله فيَّ وفي ولدي)[2].

نستشف من هذه الرواية أموراً كثيرة منها أن الرسول صلى الله عليه وآله قد قرن شهادة زيد عليه السلام بشهادة الحسين عليه السلام وخصه بالذكر بعد الحسين عليه السلام دون غيره... فلا غرابة في ذلك فقد كان زيد عليه السلام عين أخوته بعد أخيه الإمام الباقر عليه السلام، ورعاً سخياً شجاعاً تقياً عالماً فقيهاً (ظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويطلب بثارات الحسين[3] عليه السلام).

ولعل طلبه هذا عُد بنظر العلماء والباحثين في هذا المجال من أهم أسباب قيام ثورته وخروجه بالسيف داعياً إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله، ولذا جاء في أغلب المظان التي تناولت ثورة زيد عليه السلام، أن أخاه الإمام الباقر عليه السلام قد بارك ثورته، من ذلك ما ذكره أحد خواص أصحاب السجاد عليه السلام والصادق عليه السلام وهو سدير الصيرفي قال: (كنت عند أبي جعفر الصادق فدخل زيد بن علي فضرب أبو جعفر كتفه وقال: هذا سيد بني هاشم، فإذا دعاكم فأجيبوه وإذا استنصركم فانصروه)[4].

ولقد كان الإمام الصادق عليه السلام يقرن عمه زيداً عليه السلام بالشهداء الذين استشهدوا مع رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام... ومن ذلك قوله عليه السلام: (إن عمي رجل لدنيانا ولآخرتنا مضى والله عمي شهيداً كمثل الذين استشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي والحسن والحسين[5] عليهم السلام) ومن ذلك ما روي عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: (مضى والله عمي شهيداً مثل ما مضى علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه)[6].

ونستدل من الروايتين السابقتين والروايات الأخرى التي لم نشأ إيرادها لضيق المجال: أن الإمام الصادق عليه السلام يقرن عمه زيداً بالشهداء الذين استشهدوا في المعارك والغزوات التي ثبتت أركان الإسلام وقوّت دعائمه كمعركة (بدر، وأحد، والخندق، وخيبر...) كذلك يقرن عمه بالذين أنعم الله عليهم بالشهادة في المعارك التي خاضها الإمام علي عليه السلام دفاعاً عن الإسلام كمعركة (الجمل، وصفين، والنهروان...) وكذلك يقرنه أيضاً بجده الحسين عليه السلام ومن استشهد معه في معركة الطف...

وقد جاء عن الإمام الباقر عليه السلام عن

آبائه عليهم السلام عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا حسين يخرج من صلبك رجلٌ يُقال له زيد يتخطى هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس غُرّاً محجلين يدخلون الجنة بلا حساب)[٧].

ومما يروى عن نية زيد عليه السلام في إصلاح أمة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وعزمه على الاستشهاد من أجل الحفاظ على مبادئها الإسلامية الحقة والوقوف بوجه من يحاول تحريفها، ما رواه البابكي (عبد الله بن مسلم) عندما خرج مع زيد بن علي عليه السلام قال: خاطبني زيد عليه السلام قائلاً: يا بابكي أترى هذه الثريا؟ أترى أحداً ينالها؟ قلت له: لا، قال: والله لوددت أن يدي ملصقة بها فأقع إلى الأرض أو حيث أقع فأتقطع قطعة قطعة، وأن أصلح أمة محمد صلى الله عليه وآله[٨].

ويرى الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أن ثورة عمه زيد عليه السلام كانت غضباً لله وجهاداً في سبيل دينه وطاعة لإمام زمانه من ذلك قوله عليه السلام: لقد حدثني أبي موسى بن جعفر عليهما السلام أنه سمع أباه جعفر بن محمد بن علي عليه السلام يقول: (رحم الله عمي زيداً أنه دعا إلى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفى بما دعا إليه، ولقد استشارني في خروجه، فقلت له: يا عم إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك، فلما ولي قال جعفر بن محمد عليهما السلام: ويلٌ لمن سمع داعيه ولم يجبه...).

ومما ذكرته أغلب كتب التاريخ المعتبرة أن المأمون قال للإمام علي الرضا عليه السلام فيما يخص زيد بن علي عليه السلام: (يا أبا الحسن قد جاء فيمن ادعى الإمامة بغير حقها ما جاء؟ فقال الرضا عليه السلام: إن زيداً بن علي لم يدع ما ليس له بحق وأنه كان أتقى لله من ذلك وأنه قال: أدعوكم للرضا من آل محمد... وكان زيد والله ممن خوطب بهذه الآية: (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم)[٩].

ومن الأخبار المتواترة المنقولة عن أمهات كتب التاريخ والسير أنه بعدما أعلنت ساعة الصفر وبدأت ثورة زيد بن علي عليه السلام وخفقت راية جده رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (الحمد لله الذي أكمل لي ديني والله إني كنت أستحي من رسول الله صلى الله عليه وآله أن أرد عليه الحوض غداً آمر بدين الله بمعروف ولم أنه عن منكر). وكأني أرى بقول زيد هذا ما أراه بقول الإمام الحسين عليه السلام: (إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي فيا سيوف خذيني).

وما حدث زيد عليه السلام في مجلس الطاغية هشام بن عبد الملك يستدعينا أن نعرج على ما حدث للإمام الحسين عليه السلام في مجلس الوليد الذي كان أميراً على المدينة بعد أن استدعى مروان بن الحكم ليأخذ البيعة من الحسين ليزيد بحضوره فقال للحسين عليه السلام: (ما تقول يا أبا عبد الله في أمر البيعة؟ فقال الحسين عليه السلام: (أيها الأمير إن مثلي لا يبايع سراً، ولكن إذا أصبحت أدع الناس جامعة وخذ البيعة ليزيد، فإن بايع الناس هناك أرى رأيي)، فقال: الوليد: (حسناً تقول يا أبا عبد الله... وحينما هم الإمام الحسين عليه السلام

بالانصراف من المجلس قال مروان للوليد: (إن فاتك الثعلب فلا ترى إلا غباره... لا تدع الحسين يخرج حتى يبايع ليزيد أو تضرب عنقه)، فأدار الحسين عليه السلام وجهه إليه وقال له: (يا بن الزرقاء أنت تقتلني أم هو؟ كذبت والله وأثمت)، والتفت الحسين عليه السلام إلى الوليد وقال له: (يا أمير نحن أهل بيت النبوة وموضع الرسالة بنا فتح الله وبنا يختم ويزيد شارب الخمور الضارب بالطنبور، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينا أحق بالبيعة والخلافة)[10] فقال مروان للوليد معنفاً: (عصيتني والله لاقدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، والله إن الذي يحاسب بدم الحسين يوم القيامة لخفيف الميزان عند الله)[11].

لعل هذه الرواية وما حدث للحسين عليه السلام في مجلس الوليد يجعلنا نقف على ما حدث في مجلس الطاغية هشام لزيد بن علي عليه السلام الذي يعد أحد الأسباب الرئيسية في خروج زيد عليه السلام على الأمويين مطالباً بدم جده الحسين عليه السلام...

وكما ذكرت أغلب المظان المعتبرة أن زيداً عليه السلام لما دخل مجلس هشام كان قد جمع له هشام أهل الشام وأمرهم ألا يمكنوه من الوصول إلى قربه، فقال له زيد عليه السلام: أنه ليس من عباد الله أحد فوق أن يوصى بتقوى الله ولا من عباده أحد دون أن يوصى بتقوى الله وأنا أوصيك بتقوى الله يا أمير المؤمنين فاتقه، فقال هشام:

عقيرا.. العقر

كان لكربلاء أكثر من اسم، فمنها: عقير أو العقر فقد أشار إلى هذا الاسم الشيخ إبراهيم الكفعمي صاحب (البلد الأمين) حيث كان يوصي أهله بدفنه في الحائر المقدسس بأرض تسمى (عقيرا) ومن ذلك قوله:

سألتكم بالله أن تدفنوني
إذا متّ في قبر بأرض عقير
فإني به جارُ الشهيد بكربلاء
سليل رسول الله خير مجير
فإني به في حفرتي غير خائف
بلا مرية من منكر ونكير
أمنت به في موقفي وقيامتي
إذا الناس خافوا من لظى وسعير

وكان له ما أراد فقد دفن بكربلاء عند وفاته سنة ٩٠٥هـ.

والعقر: اسم لبعض نواحي كربلاء، ولذا لما سأل الإمام الحسين عليه السلام عن اسم المحل كان جواب القوم: إنه يسمى العقر. فقال عليه السلام: أعوذ بالله من العقر.

الغدير ج:١١ ص:١٧٥

(أنت المؤهل نفسك للخلافة الراجي لها وما أنت وذاك لا أم لك وإنما أنت ابن أمة، فقال له زيد عليه السلام: (إني لا أعلم أحداً أعظم منزلة عند الله من نبي بعثه وهو ابن أمة فلو كان ذلك يقصر عن منتهى غاية لم يبعثه وهو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، فالنبوة أعظم منزلة عند الله أم الخلافة يا هشام؟! وبعد فما يقصر برجل أبوه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن علي بن أبي طالب عليه السلام).

فوثب هشام من مجلسه ودعا ندمائه وقال: (لا يبيتن هذا في عسكري)، فخرج زيد عليه السلام وهو يقول: (لم يكره قوم قط حد السيوف إلا ذلوا)[12].

وحينما حملت كلمة زيد عليه السلام هذه إلى هشام قال: (ألستم تزعمون أن أهل هذا البيت قد بادوا؟ ولعمري ما انقرض من مثل هذا خلف لهم!!)[13].

ومثلما كتب أهل الكوفة للحسين عليه السلام وبعثوا برسلهم ورسائلهم إليه كذلك فعلوا مع زيد عليه السلام فقد كتب أهل الكوفة للحسين عليه السلام: (إن لك هنا مئة ألف سيف فلا تتأخر)[14]، فكتب إليهم الحسين عليه السلام: (أما بعد فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبر فيه بحسن رأيكم واجتماع ملاءكم على نصرنا والطلب بحقنا فسألت الله أن يحسن الصنيع وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر)[15].

(وقال أهل الكوفة لزيد بن علي عليه السلام حينما أراد أن يخرج من الكوفة بأمر من عامل هشام عليها يوسف بن عمر: (أين تخرج عنا ـ رحمك الله ـ ومعك مئة ألف سيف من أهل الكوفة والبصرة وخراسان يضربون بني أمية بها دونك، وليس قبالنا من أهل الشام إلا عدة يسيرة) فأبى عليهم فمازالوا يناشدونه حتى رجع بعد أن أعطوه العهود والمواثيق)[16].

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام ما ذكره ابن أبي الحديد: (أن محمد بن عمر بن علي قال لزيد عليه السلام: (أن أهل العراق خذلوا أباك علياً وحسناً وحسيناً عليهم السلام وإنك مقتول وأنهم خاذلوك)[17] لكن هذا القول لم يثن عزم زيد عليه السلام فراح يتمثل ببيتين لعنترة بن شداد[18]:

بكرت تخوفني الحتوف كأنني
أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها إن المنية منهلٌ
لابد أن أسقى بذاك المنهل

فقال له محمد بن عمر: (اذكر الله والحق بأهلك لا تقبل لهم قولاً فإنهم لا يفون... أليسوا أصحاب جدك الحسين عليه السلام؟!)، قال عليه السلام: (أجل وأبي).

وأقبلت الشيعة تختلف إليه حتى أُحصي ديوانه خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة عدا أهل المدائن والبصرة وواسط والموصل وخراسان والري[19].

ولعل هذا يذكرنا بما قال ابن عباس رضي الله عنه للإمام الحسين عليه السلام حينما عزم على التوجه إلى العراق فسأله العدول عن رأيه والبقاء في مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله والرواية معروفة لا حاجة لذكرها.

وحينما دنت ساعة الصفر وأعلن

زيد الثورة وافاه مئتان وثمانية عشر رجلاً، فقال عليه السلام: (سبحان الله أين الناس؟)، فقيل له: (هم محصورون في المسجد)، فقال عليه السلام: (لا والله ما هذا لمن بايعنا بعذر)[٢٠].

ومثلما مُثل بجسد الحسين عليه السلام بعد موته فقطع رأسه الشريف وسلبت ملابسه وداسته الخيل مُثل أيضاً بجسد زيد عليه السلام وسلبت ملابسه وعلق عريان على جذع نخلة ثم بعد مضي فترة طويلة أُحرق جسده الطاهر وذري الرماد في نهر الفرات...

يبقى الحسين عليه السلام يعلم الناس بثورته الحمية والموت تحت ظلال السيوف ■

(١) عبد الحميد المعتزلي، شرح النهج ١٥/٢٧٤.
(٢) محسن الأميني، أبو الحسين زيد الشهيد.
(٣) الإرشاد ١/٢٦٨.
(٤) معجم رجال الحديث، ٨/٣٥-٣٦.
(٥) زيد الشهيد، ١٨-٢٠.
(٦) الإيمان الجلي، ٢٧-٢٨.
(٧) الخزاز، كفاية الأثر.
(٨) مقاتل الطالبيين، ٨٧.
(٩) الحجج ٧٨، عيون الأخبار ١٧٣.
(١٠) تاريخ الطبري ٣/٢٥٨-٢٥٩.
(١١) تاريخ الطبري ٦/٢٥٩.
(١٢) الإرشاد ٢٦٨.
(١٣) مروج الذهب ٢١٨، الأخبار الطوال ٣٤٤-٣٤٥.
(١٤) الإرشاد ٢٢٠.
(١٥) الإرشاد ٢٢١.
(١٦) مقاتل الطالبيين ٩١، الكامل في التاريخ ٥/٩٣.
(١٧) شرح النهج ٣/٢٨٧.
(١٨) الديوان ٤٢٠.
(١٩) مقاتل الطالبيين ١٣٢.
(٢٠) المصدر نفسه ١٣٤.

موالي الإمام الحسين عليه السلام

ورد معه عليه السلام عدد من الموالي الذين آثروا نصرته عليه السلام وتركوا خذلانه، وهم:

١ـ أسلم التركي:

اختلفت الروايات حول اسمه فمنها ما أثبته سليم ومنها سليمان وأخرى مسلم، والأصح أسلم. فقد ذكر السيد محسن الأمين في الأعيان: (...وخرج غلام تركي كان للحسين عليه السلام اسمه أسلم).

٢ـ منجح:

وكانت أمه جارية للإمام الحسين عليه السلام اشتراها من نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، ثم تزوجها سهم فأولدها منجح، وفي روايات أطلق عليه اسم منهج، والأصح منجح.

٣ـ قارب الديلمي:

وقد اتفقت كل الروايات على التصريح باسمه، حتى ورد في الزيارات: (السلام على قارب مولى الحسين بن علي عليهما السلام).

إبصار العين في أصحاب الحسين عليه السلام

علامات مضيئة

من نهضة الإمام الحسين عليه السلام عند المستشرقين

• حسين جهاد الحساني
مركز الأمير لإحياء التراث الإسلامي
في مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة

إن في تاريخ الإسلام الأبلج حوادث وقضايا غارت بعد أن نبعت، وأحدثت في النفوس آثاراً متوقعة وظاهرة، وما دار عليها زمن قصير، إلا وذهبت أدراج الأمور المعطلة لا يجري لها ذكر...

فهناك قضايا منها ما غمرت أفكار المفكرين قبل أن تحدث، فبحثوا عن سبب حدوثها والنتائج المترتبة على وقوعها والقائم بها. وبعد وقوعها تسري في أعماق طالبي الحقائق باستطلاع صميم واستقصاء رصين. ومثل هذه القضايا تبقى مرتكزة في قرارة النفوس ومرتسمة في مرايا الأفكار لا تمحو ذكرها الأزمان.

ومن تلك الحوادث والقضايا التاريخية العظيمة التي استمالت إليها أفكار المفكرين والمصلحين أكثر مما حصلت عليه أية قضية أخرى، وهي نهضة أبي الشهداء والأحرار الإمام الحسين بن علي عليهما السلام. فإنها بعظمة الناهض بها، وهول وقوعها، وعمق أسرارها انطوت على عظمة مميزة للعقول شذ تفسيرها، لذلك لا يمر بها عابر على سطح التاريخ الإسلامي إلا وتدور في ذهنه أسئلة ومسميات

يبحث بعضها ويترك الأخرى لهول الأمر وعظمته. هذا من جانب المؤرخ والكاتب العربي والإسلامي بيد أن الأكثر شمولية ورؤية تاريخية ذلك الذي لا يدين معك بدين ولا تربطه معك روابط الأرض والحضارة والقومية، فأخذ يُشمر عن ساعديه ليعطي للتاريخ نظرة عالمية أخرى تؤهله ليدرس التاريخ الإسلامي والعربي بما في ذلك دراسته له من حيث الإيجابية والسلبية بما يفضي عليها الطابع الشمولي والاستقصائي المتميز، ذلك الذي يُسمى بـ(المستشرق) أو ما يُسمونهم بـ(المستشرقين).

لذا فقد أخذت نهضة الإمام الحسين عليه السلام مأخذاً واسعاً عند المستشرقين بين موافق لها ومعارض لتزدحم بذلك مؤلفاتهم ومقالاتهم بالرؤى المعبرة والمواقف الشديدة...

إذن من هو المستشرق وما يكون؟

إن كلمة (الشرق على الرغم من كثرة استعمالها منذ ألفي سنة على الأقل ليس لها مفهوم واضح، محدد وثابت وهي لا تدل على الجهة التي تشرق منها الشمس، فكل بقعة في الأرض هي شرق وغرب في وقت واحد حسبما يكون موقع الشخص الذي يتحدث عن هذه البقعة.

إلا أن هذا الفهم للكلمة تطوّر بتطور الزمن ومنه تطور الفهم الغربي للشرق، ليصبح بعد ظهور الإسلام وتوسع دولة المسلمين يُطلق عموماً على البلاد الإسلامية، وفي أثناء الحروب الصليبية أصبح الدين الإسلامي رمزاً للشرق، وأوربا المسيحية رمزاً للغرب.

فالمستشرق إذن: هو المتخصص في دراسة الشرق، سواء أكانت الدراسة تتعلق بعلوم أو فنون أو تراث أو تاريخ أو ديانة أو عادات المجتمع الشرقي.

وعرَّفهم آخرون فقالوا: يراد بكلمة المستشرقين كل من تجرد من أهل الغرب في دراسة بعض اللغات الشرقية وتقصي آدابها طلباً لتعرف شأن أمة من أمم شرقية من حيث أخلاقها وعاداتها وتاريخها ودياناتها، أو علومها وآدابها، والأصل في كلمة (استشرق) أنه صار شرقياً كما يُقال (استعرب) أنه صار عربياً...

ولابد أن يتنبه القارئ الكريم إلى أن مثل هذه المقالات لا تفي بالغرض المطلوب لمثل هذه الموضوعات وخاصة فكرة الحسين عليه السلام عند المستشرقين ومدى تأثيرها في مجتمعاتهم المليئة بالحرية وبعد المظلومية عنهم كما يرونها هم، لذا حريٌ بعلمائنا ومثقفينا أن يستنهضوا الهمم لفرز مؤلفات جمة وكتب غزيرة لبحث هذا الموضوع من جميع جوانبه، وعليه فهذه المقالة ما هي إلا نافذة مفتوحة وومضة دالة إلى هذا التراث الإسلامي في عدالة القضية الإنسانية وسماحة مبادئه الحقة.

لذا قبل الدخول إلى نظريات وأفكار هؤلاء المستشرقين لابد أن تعرف ما النهضة وما مقوماتها، وما الفرق بينها وبين الثورة؟ وعندها يمكن أن توصف الحركة الحسينية

بكونها ثورة كما نستطيع توصيفها بالنهضة. ولكن هل ثمة اختلاف بين التعبيرين؟

عند التأمل بهذين المفهومين بدقة نجد أنهما يشتركان بجوانب معينة ويختلفان بأخرى. حيث أنهما يتسعان ليستوعبا كل مجالات الحياة، إذ نستطيع إطلاق صفة النهضة أو الثورة على التغيرات الاقتصادية والصناعية والسياسية وغيرها. ويشتركان في التعبير عن حدوث تغييرات كبيرة وغير عادية في مجال إنساني ما.

وقد يختلفان في جوانب معينة منها: أن الثورة توحي إلى الحالة الانقلابية الجذرية في مجال ما، بينما النهضة لا تدل على هذه الحالة المتمردة، وقد توحي الثورة بالتغيير الدفعي السريع، بينما النهضة توحي عكس ذلك تماماً.

وقد تتميز النهضة عن الثورة بأنها وصف إيجابي يشير إلى حالة من التغيرات الإيجابية الكبيرة يختلف تماماً عن مفهوم الثورة الذي لا يعني في مدلولاته سوى التدمير والانقلاب وغيره.

وعليه فإذا ضممنا ما يتميز به كلا المفهومين من مميزات وخصائص خاصة به، ثم نسبناها للإمام الحسين عليه السلام، وجدنا أن عنوان الثورة الحسينية يشير فقط إلى أن هناك حركة عسكرية انقلابية مفاجئة صدرت من الإمام الحسين عليه السلام دون أن تحمل معاني أوسع، بينما نرى بالمقابل أن عنوان النهضة الحسينية، يشير إلى حصول وتبلور مضاعفات جذرية وتقدمية قد تكون شاملة للقيم والأفكار والممارسات السياسية والاجتماعية والممارسات الاقتصادية والعسكرية، مستوعبة بذلك كل بواعث الفكر للمؤسس لها ألا وهو الإمام الحسين عليه السلام.

لذا أعتقد أن توصيف الحركة الحسينية باعتبارها نهضة أنسب لها وأكثر انسجاماً مع مضمونها الفكري والتقدمي الشامل...

من هذا المفهوم النهضوي للحسين عليه السلام استوحى المستشرقون رؤآهم وأفكارهم ليضعوا النقاط على الحروف في استيعاب كل مقومات تلك النهضة. لذا فقد أشار المستشرق (ماربين) في أول مقومات هذه النهضة إذ جعلها إحياءً للإسلام من جديد حيث يقول: (... إن الحسين قد أحيا بقتله، دين جده وقوانين الإسلام، ولولا قتل الحسين عليه السلام لم يكن الإسلام على ما هو عليه قطعاً، بل كان من الممكن ضياع رسومه وقوانينه، حيث كان يومئذ حديث العهد...).

فبعد أن كان لها الأثر الواضح في إحياء الإسلام من جديد، أشار بعض المستشرقين إلى جعلها ركيزة فاعلة في تثبيت حركة التشيع والتشيع في العالم حيث يقول (سترتمان): (لقد كانت دماء الحسين التي سالت على سيوف القوات الحكومية هي النواة التي أنبتت العقيدة الشيعية أكثر من دماء علي الذي اغتالته يد متآمر خارجي).

وقد أفرزت هذه النهضة عند بعض المستشرقين معطيات كثيرة أثرت كثيراً في التاريخ الشيعي، حيث أصبحت عنواناً للظلم والحزن والألم كما ذهب إلى ذلك (جولد تسهير) حيث يقول: (... ومن خلال الحسين عليه السلام أصبحت نهضته عنواناً للحزن والألم والظلم ولشيعته من بعده وقد أفرزت هذه الظلامة وهذا الاضطهاد مزايا عالية في هذا المذهب مما أسهمت هذه النهضة في إضافة شيء آخر لعقيدة الشيعة...).

وقال أيضاً: (... إن تاريخهم - أي الشيعة - منذ كارثة كربلاء سلسلة لا تنقطع من التعذيب والاضطهاد... وقد وجد الشيعة في هذه النزعة الحزينة التي يتميز بها مذهبهم فضائل دينية عظيمة القدر...).

وقد أدرك البعض منهم أن نهضة الحسين عليه السلام شابهت مظلوميات كثيرة من الجانب الغربي وخاصة النصارى في قضية السيد المسيح، فهو قد ضحى بنفسه مختاراً في سبيل شيعته وأمته، حيث يقول (دونلدسون): (... إن قصة الاستشهاد، دون ادخال عنصر التضحية بنفسه لخلاص الناس وتحمل العذاب والمصائب حباً في الجنس البشري لا يمكن أن تجد عطفاً لدى الشيعة، ذلك أن قصة رجل ضحى بحياته في سبيل الآخرين والإخلاص المؤلم من الحسين يثير شعوراً بالإعجاب وإنكار الذات في أشد الناس أنانية، ويبعث ميلاً نحو المثل العليا في الأخلاق، ففي بذل الشهيد نفسه ما يؤثر أنه العنصر المسيحي في الإسلام...).

وقد جاءت هذه النهضة في النهاية توحيداً لصفوف الشيعة حيث أثارت مذبحة كربلاء العواطف والأحزان في نفوس الشيعة وجعلتهم يؤمنون قبل كل شيء بضرورة اتحادهم للأخذ بثأر الإمام العظيم عليه السلام الذي ثار من أجل العدل وإعادة حقوق المظلومين، وذلك توصل إليه (بروكلمان) بقوله: (... لقد أذكت تلك الدماء التي روت أرض كربلاء روح التشيع في نفوس الشيعة، وجعلتهم يشعرون بوجوب توحيد صفوفهم...).

مثل هذه المقومات والمعايير استنتج هؤلاء المستشرقين أفكارهم الجريئة وخطواتهم المحسوبة بما فيها من كبوات وعلل ■

---

(١) دوايت م. رونلدس، عقيدة الشيعة.
(٢) جولد تسهر، العقيدة والشريعة.
(٣) أحمد محمد صبحي، نظرية الإمامة.
(٤) عباس العقاد، أبو الشهداء.
(٥) باقر شريف القريشي، حياة الإمام الحسين.
(٦) عمر أبو النصر، الحسين بن علي.
(٧) سعيد ميرزا، نظرية النهضة الحسينية.
(٨) محمد رضا الجلالي، حول نهضة الحسين.
(٩) د. محسن جمال الدين، المستشرقون والأماكن المقدسة.
(١٠) د. مشتاق بشير، دراسات المستشرقين عن القرآن.
(١١) مالك بن نبي، انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي.
(١٢) نجيب العقيقي، المستشرقون.

مظاهر العالمية في الثورة الحسينية

• د. حافظ المنصوري
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

آن الأوان أن نقدم فكرنا الإسلامي وصروحنا البارزة في مسيرة هذا الفكر على طريق المواجهة والتحدي إزاء الهجمة الشرسة لدعاة الثقافة الغربية والفكر الغربي الذين يحاولون بسط هيمنة ثقافتهم من جهة وتهميش وتحجيم الثقافة الأخرى المنافسة للثقافة الغربية من جهة ثانية.

لقد اتخذ دعاة الثقافة الغربية أشكالاً مختلفة لترويجها فمرة باسم الديمقراطية التي يرون فيها أنها قادرة على كسب أصدقاء جدد في عالم يرون الحدود فيه مفتوحة كما تكون فيه التجارة مفتوحة، والعقول مفتوحة. ومرة أخرى باسم الشرعية الدولية فهي بديل عن شريعة الغاب كما يزعمون. هذا ما صرح به الرئيس الأمريكي الأسبق بوش في ٥/آذار/١٩٩١، ومرة ثالثة باسم حقوق الإنسان التي رأوا أنها تعوض فكرة القانون الطبيعي المرتبطة في بدايتها بوجود قوة إلهية عُليا كما هو الحال عند (شيشرون) وغير ذلك متجاهلين أن الإسلام دين السماء الحنيف أول مَنْ نادى بتلك الحقوق. ضمن قانون سليم يضمن للجميع حقوقهم كاملةً.

ولا أريد أن أسرف في استعراض ذلك، وإنما أريد أن أقول أن الثورة الحسينية التي انبثقت مبادئها وأهدافها من هذا الدين القويم هي أحد الصروح العظيمة التي يحق للعالم أن يفتخر بها على مدى الدهور والأزمان هذا الصرح يمكن أن نقدمه للعالم نموذجاً يحمل سمات العالمية جزءاً من فكرنا العربي الإسلامي مواجهاً للثقافة الغربية التي يحاول أصحابها إعطاءها صفة العولمة للهيمنة على الثقافة الإسلامية.

إن هذا البحث هو محاولة جادة لإعطاء الثورة الحسينية صفة العالمية لإخراج هذه الثورة من الشرنقة التي تحاول بعض الأوساط الثقافية أن تحيطها بها من أجل أن لا يسطع نور هذه الثورة غزو العالم. مهما كانت هذه الأوساط غربية أم عربية هادفين إلى إعطاء هذه الثورة العظيمة بعض ما تستحقه، ولكي يكون البحث منطلقاً لكل من يريد أن يخوض في هذا المضمار.

إن صفة العالمية هي في الحقيقة الأساس الذي أُشتق منه (العولمة) المصطلح المتداول بيننا في الوقت الحاضر ومعناه (إكساب الشيء طابع العالمية، وجعل نطاقه وتطبيقه عالمياً) كما جاء في قاموس (وبستر)/٤٨٥ وانطلاقاً من هذا المعنى نحاول أن ندل على عالمية الثورة الحسينية.

إننا نحاول أن نعطي الثورة الحسينية بما تحمل من أهداف نبيلة ومبادئ إصلاحية عامة صفة الشمول والعموم، من أجل أن نكسر الطوق الذي ضُرب حولها. إذ فُسرت على أنها ثورة قامت من أجل فئة معينة أو طائفة معينة أو إنها قامت بسبب عداء تقليدي موروث بين البيت العلوي والبيت الأموي أو أنها قامت من أجل مكاسب شخصية كان الحسين عليه السلام يروم تحقيقها. وترى أن بعض المتحمسين للثورة الحسينية يحملون بعض هذه المفاهيم من حيث يعلموا أو لا يعلموا.

إننا نؤكد عالمية الثورة الحسينية بمبادئها وأهدافها وطبيعتها من خلال النقاط الآتية:

١- إن من المبادئ المهمة التي قامت عليها الثورة الحسينية هو (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطلب الإصلاح) لقد جاء صريحاً وواضحاً على لسان قائد هذه الثورة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام سبط الرسول محمد صلى الله عليه وآله في مقولته المشهورة: (لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ولأأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر...).

فإذا عرفنا أن (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) هما من أبرز أركان الدين الإسلامي الحنيف، بل إن أهمية هذا أكثر من أهمية الصوم والصلاة عند بعض الفقهاء، بل هو الجهاد المطلوب من أجل إرساء أوامر الدين، وإذا علمنا أن الإسلام هو دين الإنسانية الذي يصلح لكل زمان ومكان كما يصلح لكل شعوب الأرض كما جاء في محكم التنزيل في الآيات:

أ - (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) سورة الأنبياء/ الآية:١٠٧.

ب - (وما أرسلناك إلا كافةً للناس)

سورة سبأ/ الآية:٢٨.

جـ - (ليكون للعالمين نذيرا) سورة الفرقان/ الآية:١.

د - (ليظهره على الدين كله) سورة الفتح/ الآية:٢٨.

إذا كان كذلك فالثورة الحسينية قد اكتسبت عالميتها من عالمية هذا الدين الذي ولدت في أحضانه وقامت على أهم أركانه ولا أريد أن أبرهن على عالمية الإسلام فهي واضحة من طبيعة الخطاب الإسلامي إذ لم نجد فيه ولا مرة واحدة أنه قد خاطب فئة معينة أو قومية معينة، فلم يقل يوماً يا أيها العرب ليخص العرب دون العجم أو الروم، بل يقول (يا أيها الناس) هذه الكلمة التي تعني كل الناس أو يقول (العالمين) ليعني العالم كله والثورة الحسينية كذلك، فالحسين عليه السلام قصد إصلاح الأمة أمة الرسول محمد صلى الله عليه وآله جده وهي أمة شاملة.

لقد أدرك الإمام الحسين عليه السلام أن دين الله في خطر ومن ثم أن الإنسانية جمعاء في خطر محدق، والعالم كله في خطر من وراء التصرفات المشينة لأفراد البيت الأموي، تلك التي حاولت طمس معالم الدين الإسلامي وتغليب غيره، وقد روى أن الرسول محمد صلى الله عليه وآله رأى في منامه بني أمية ينزون على منبره فأنزل الله (إنا أنزلناه في ليلة القدر...) وهناك من يؤكد أن الشجرة الملعونة في قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن) هم بنو أمية، والأدلة على انحراف البيت الأموي كثيرة فقد وصف المسعودي في كتابه (مروج الذهب...) (ج٢/ ٢٨) يزيد بأنه صاحب طَرَد وجواري وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب...) وان سيرته سيرة فرعون بل كان فرعون أعدل منه في رعيته وأنصف منه لخاصته.

كما أدرك الحسين عليه السلام أن الخطر أكبر من خطر الأمويين، إنه خطر الدولة الرومانية التي كانت تستهدف الإسلام وكان مخططها يجري على يد بني أمية وعلى أيدي أمثالهم من الحكام الطغاة في العصور اللاحقة فقد كان أثر الروم بعيداً في المجتمع الإسلامي من خلال ما تركوه من بصمات عريضة بوساطة ما ترجم عنهم من كتب وبوساطة وسائل أخرى إنساق وراءها أفراد البيت الأموي... فانبسط ما يقال في ثورة الحسين عليه السلام أنها ثورة أرادت أن تواجه ثورةً غربية كانت تريد الإطاحة بالإسلام. فهي الجرس الذي نبّه هؤلاء للعدول عن مسيرتهم الخائبة.

٢- ومن مظاهر عالميتها، أثرها الكبير في قيام ثورات عديدة بعدها فقد فتحت الطريق لثورات أخرى نهلت من معين مبادئها الإنسانية السامية متأثرةً بما حملته من قيم عالية من تلك الثورات، ثورة المختار الثقفي وثورة زيد بن علي بن الحسين عليه السلام وثورة ابنه يحيى بن زيد وغيرها وقد استمر هذا التأثير حتى زماننا الحاضر.

٣- ومن مظاهر عالميتها، استمرارية وديمومة تلك الثورة بمبادئها الأصيلة الهادفة، فهي ليست كالثورات التي لم تستند إلى فكر ومبادئ وقيم صحيحة فصار عمرها قصيراً وقد تبلغ تلك

الثورات أوج عظمتها وعنفوانها لكن الأفول والذبول والموت نصيبها لأنها ثورات ارتبطت بأهداف قصيرة زالت بمرور الزمن وقد تكون تلك الثورات مرتبطة بحزب أو فئة أو أشخاص لذا نراها تموت بموتهم. وتكون نسياً منسياً أما الثورة الحسينية فقد امتد عمرها إلى ما يقرب من أربعة عشر قرناً (٦١هـ - وقتنا الحاضر).

ولكنها ما زالت تتجدد بتجدد الفكر الحسيني ورواده ففي كل زمان ومكان يتهيأ لهذه المبادئ من يحملها والى مدى الزمن ولم نرَ أن جذوتها قد خبت وأن نجمها قد أفل في يوم ما.

إن السر في هذه الديمومة يكمن في أنها استمدت مبادئها من مبادئ الإسلام الحنيف ذلك الدين العالمي الذي يصلح لكل زمان ومكان فهو دين البشرية جمعاء.

٥- ومن مظاهر عالميتها تأثر قادة عالميين كبار بمبادئها وأهدافها من ذلك ما وجدناه في مقولة (غاندي) زعيم الهند وقائد أكبر ثورة في تاريخ الهند خلصت الشعب الهندي من براثن الاستعمار البريطاني يقول (غاندي): (تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوماً لأنتصر...).

٦- سمو الأهداف:

لم يكن هدف الإمام الحسين عليه السلام من ثورته هدفاً مادياً أو دنيوياً أو لمصلحة شخصية، وإنما كان أسمى وأنبل من كل ذلك ولو كان هدفه مادياً أو دنيوياً لقبل تلك العروض التي عُرضت عليه من أعدائه وهي توفر له الملك والحياة، وما أشبهه بجده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حين قدم له المشركون أمثال تلك العروض فرفضها وقال قولته المعروفة (... والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا...) إنه يهدف إلى تخليص البشرية من براثن الظلام ليخرجها إلى النور...

قارن ذلك بهدف معاوية من الخلافة على المسلمين إذ يقول في خطبة له حين انتهى الأمر إليه: (إني والله ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون...).

وفي دعاة الثقافة الغربية من أمثاله كثيرون، فأين الثرى من الثريا؟■

عن الوشا قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول:

إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وأن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً لما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة.

كامل الزيارات ص:٢٣٦

أجوبة مسابقة العدد الثامن
وأسماء الفائزين

السؤال الأول: أ. ثابت بن دينار.

السؤال الثاني: ج. حلب.

السؤال الثالث: ج. هاشم الكعبي.

السؤال الرابع: أ. في معركة أحد حينما وقى الإمام علي عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله بنفسه.

السؤال الخامس: ب. محمد يحيى الهاشمي.

السؤال السادس: ب. عبيدة بن الحارث.

السؤال السابع: أ. ١١٠٤ هـ.

السؤال الثامن: أ. أشخص أبو جعفر المنصور الإمام الصادق سبع مرات إلى أماكن مختلفة، وإلى بغداد ثلاث مرات.

السؤال التاسع: ج. زيد بن علي.

الفائز بالجائزة الأولى: خالد هاشم المسافر/ البصرة/ قضاء شط العرب.

الفائز بالجائزة الثانية: أم مصطفى الجابري/ النجف الأشرف/ الكوفة.

الفائز بالجائزة الثالثة: علياء حسين محمد الحسيني/ البصرة/ شط العرب.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

عاشوراء في العالم

ملحق مصوّر

يعرض مراسم إقامة الشعائر الحسينية

في بعض أنحاء العالم

عاشوراء في العالم

أمريكا ـ فلوريدا ٢٠٠٤

أمريكا ـ فلوريدا ٢٠٠٤

عاشوراء في العالم

أمريكا ـ ديترويت ٢٠٠٤

أمريكا ـ ديترويت ٢٠٠٤

عاشوراء في العالم

أمريكا ـ كاليفورنيا ٢٠٠٤

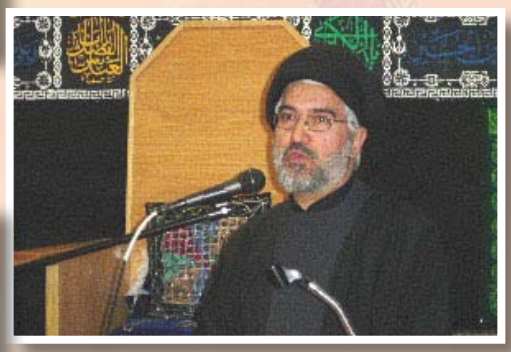

أمريكا ـ نيويورك ٢٠٠٣

عاشوراء في العالم

لندن ـ حسينية الرسول الأعظم ٢٠٠٣

لندن ـ حسينية الرسول الأعظم ٢٠٠٣

عاشوراء في العالم

لندن ٢٠٠٤

لندن ٢٠٠٥

عاشوراء في العالم

ألمانيا ـ كيل ٢٠٠٣

ألمانيا ـ كيل ٢٠٠٤

عاشوراء في العالم

ألمانيا ـ آيسن ٢٠٠٤

تركيا ٢٠٠٥

عاشوراء في العالم

الدانمارك ٢٠٠٣

الدانمارك ٢٠٠٤

عاشوراء في العالم

الهند ٢٠٠٥

باكستان ٢٠٠٥

عاشوراء في العالم

أفغانستان ٢٠٠١

إيران ٢٠٠٥

عاشوراء في العالم

الإمارات ـ دبي ٢٠٠٥

السعودية ـ القطيف ٢٠٠٥

عاشوراء في العالم

سوريا ٢٠٠٥

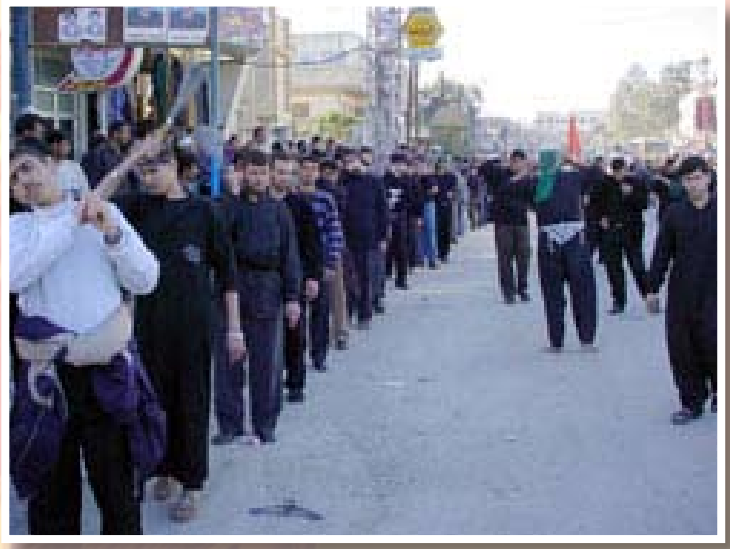

سوريا ٢٠٠٥

عاشوراء في العالم

البحرين ٢٠٠٥

البحرين ٢٠٠٥

عاشوراء في العالم

لبنـــان ٢٠٠٥

العراق ـ كربلاء المقدسة ٢٠٠٥

عاشوراء في العالم

العراق ـ بغداد ٢٠٠٥

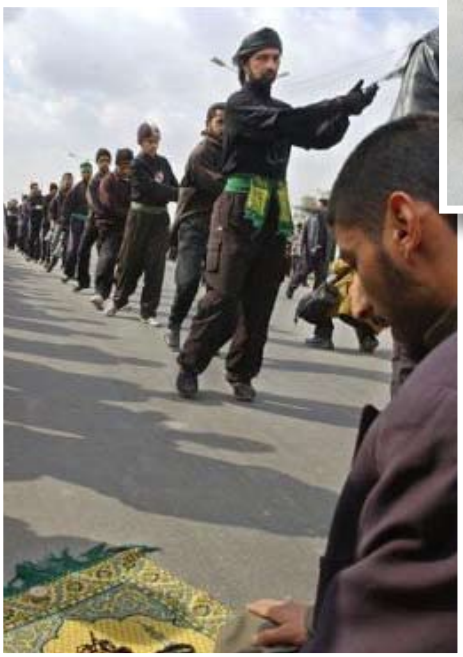

العراق ـ البصرة ٢٠٠٥

عاشوراء في العالم

العراق ـ النجف الأشرف ٢٠٠٥